

التَّارِخُ السِّرِّيُّ

لِلْعَلَقَاتِ الشَّيْوَعِيَّةِ الصَّهْيُونِيَّةِ

نهاد الغادري

التاريخ السري
للعلاقات الشيوعية الصهيونية

منشورات دار الكتب العربي
بيروت، كانون الثاني، ١٩٦٩
كانون الثاني ١٩٦٩

« يا رب :

لا تجعلني جزارا يدبح الخراف ، ولا شاة
يدبحها الجزارون .

ساعدني على ان اقول كلمة الحق في وجه
الاقوياء ، ولا اقول الباطل لاكسب تصفيق الضعفاء .

اذا اعطيني مالا لا تأخذ سعادتني ، واذا اعطيني
قوة لا تأخذ عقلي .

لا تدعني أصاب بالفروور اذا نجحت ، ولا
باليأس اذا فشلت . بل ذكرني دائما ان الفشل
تجربة تسبق النجاح . »

من دعاء طاغور

الى القارىء

لكل كتاب هدف يرمي اليه ، فما الهدف من هذا الكتاب ، وما هي العناصر التي جعلتني اومن بضرورته ، وشكلت قناعاتي في خطه واتجاهه ؟

سأحاول في عجالة كان يمكن أن تكون كتابا وحدها ، عرض وجهة نظري . ومهما بدا لأول وهلة من معارضتها ما نعارف عليه الكثيرون أو اقتنموا به وسلموا بصوابه ، فما اطلبه من القارىء هو أن يحاول معي رؤية ما وراء الاشياء : الحقائق بعيدا عن صخب التزوير وضجيج الخديعة .

وليست القضية دائما ما نعرف ، بل صحة ما نعرف . فبالعرفه تتشكل القناعة ، وبالقناعة يتشكل السلوك وتتحدد المواقف والاعمال .

وليس عيبا أن نجهل الحقيقة ، بعضها أو كلها . بل العيب في أن نفل نجهلها . ولا مناص لنا اذا كنا صادقين مع انفسنا من أن نتلمس الحقيقة دائما ونسعى اليها . ومهما بدا الطريق شاقا فهي جديرة به ، لان انسانية الانسان ووجوده مرتبطين الى حد كبير بالمعرفه وتوصحتها ، اي بالحقيقة .

ليست سفسطة . فلا قيمة لي أو لك اذا لم نعرف ، واذا لم يكن ما نعرفه صحيحا لا زغل فيه . والذي جعل الانسان أعلى دائما ورفعته فوق عصره بعد عصر ومرحلة بعد مرحلة هو ازدياد معرفته وليس ازدياد قوته العقلية . وفوارق التقدم هي في جوهرها فوارق المعرفة . حتى القوة ذاتها غدت نتاج المعرفة وابنتها . وكلما ازداد في أمة عدد الذين يعرفون ، ازدادت قيمتها وانسانيتها وعلت مرتبتها الحضارية .

من هنا كان البحث عن الحقيقة في ضميره هو الرغبة في الارتفاع ، وفي اكتساب انسانية أعلى ، وجود أعلى . وهو أيضا التصميم على الانتصار ضد الخطأ وضد الخديعة . فهو جوهرًا تحد لكل الظروف والعوامل التي تحاول اغراق الإنسان في الجهل تمهيدا للسيطرة عليه وتسخير .

بادق : ان البحث عن الحقيقة هو البحث عن الحرية وأمتلاكها .

والموضوع كما حددته لنفسه بحثا عن الحقيقة فيه هو دور الاتحاد السوفياتي في خلق اسرائيل وصلة الشيوعية فكرا وعقيدة ونظاما باليهودية والصهيونية .

ما هو هذا الدور ... ما حدوده ... ما أهدافه ... ما صلات الفكر اليهودي بالفكر الشيوعي من ماركس الى لينين ... ما صلات الشيوعية بالصهيونية ... ماذا يريد الاتحاد السوفياتي في بلادنا وماذا تريد اسرائيل ؟

رب سائل : ولماذا الاتحاد السوفياتي بالذات وليس الغرب ، وفي معرفتنا ان الغرب هو المسؤول ؟

والجواب : ليس في الصالح العربي من يجهل دور الغرب ومن لم يتحدث فيه ويكتب عنه . كلنا نعرفه وربما يكثر مما هو فعلا . ولكن القلة القليلة هي التي تعرف دور الاتحاد السوفياتي ، والذين كتبوا عنه اقل ، بل لست اعدو الصواب اذا قلت ان المكتبة العربية تكاد ان تخلو من كتاب او نشرة عن دور الاتحاد السوفياتي . والصحف العربية في ضحالتها او اربساطها اليساري لا تناد تشير الى ذلك الا تنفا وبغير تحقيق ولا تدقيق . حتى ليصح القول ان العالم العربي في جهله دور الاتحاد السوفياتي والشيوعية هو ضحية مؤامرة صمت كبرى !

اجل ، مؤامرة صمت . فليس من يكتب ولا من يتحدث ولا من يبحث او يبذل جهدا صفر ام كبير في هذا الحقل . وكان من اثر ذلك ان جهل الرأي العام العربي وبخاصة جيله الجديد الذي انقطع عن بداية الاحداث وعاش وسطها - وهو جيل يزداد تأثيره وفعله مع الزمن ويمسك بزمام السلطة في اكثر من بلد عربي - كان من اثر ذلك ان جهل كل ما يتصل بهذا الموضوع . وعيد الجهل الطريق أمام النشاط الشيوعي ، فكان من بعض آثاره القريبة ما نشهد

اليوم من صراع وتمزق وانقسام ، وسنشهد ان لم نصح على الحقيقة ونعرفها أبعد مما شهدنا الى اليوم خرابا والاما وكوارث . ولربما بكينا غدا بعد فلسطين غير فلسطين ، فالمستقبل فامض مجهول واحتمالاته متعددة وكلها خطير .

ان الراي العام العربي اليوم هو فريسة خداع منظم متصل ، ولا يقتصر خطره على دور الشيوعية فيه بل يتجاوزها الى مشاركة الصهيونية ، فاحدهما يتهم الآخر ، وكلاهما - اختلف الهدف أم اتفق - يروع أمننا ويهدد مستقبل الحياة على ارضنا .

واذا كان الحديث عن مسؤولية الاتحاد السوفياتي في خلق اسرائيل ليس جديدا تمام المجددة على القارئ - وان تكن التفاصيل والوقائع قد اغرقها الصمت الثقيل - فان دور الصهيونية في الايقاع ما بين العرب والغرب يكاد ان يكون مجهولا ، وحديثه مطويا ، والاشارة اليه مهددة بالقوة في الخفاء تتحرك بتنسيق مركزي التوجيه والامر للتطمس هذا الدور وتغطي عليه وتقتل ضد مثيره المتاعب !

وحديث الايقاع ما بين العرب والغرب هو الوجه الآخر للمؤامرة في قضية فلسطين . انه الاساس الذي بنت عليه الصهيونية كل انتصاراتها وما حققته الى اليوم .

فالتتبع لتاريخ الحركة الصهيونية يستطيع ان يلخص بوضوح كيف انها حاولت منذ مؤتمر بال عام ١٨٩٧ وبعد ان اخفقت في كسب السلطان العثماني والقيصر الالمانى الى جانبها اتجهت الى الغرب - بعد ان ايقنت ان حلمها في تحقيق وطنها القومي مرهون بموافقة الغرب على مخططاتها - ولم يمنحها من ان تتجه اليه وتحاول كسبه الى جانبها ان « اللاسامية » هي في اصلها مسوقف اوروبي من اليهود ، وان المسيحية الأوروبية عاشت قرونا طويلة على كراهة اليهود واعتبارهم مسؤولين تاريخيا عن مأساة السيد المسيح .

لم يمنع كره الغرب للصهيونية من ان تحاول فتح عقله وضميره لها . ولم يیشها الزمن ولم ينقصها الصبر ، بل هي ظلت تعمل بدأب وعقل وتنظيم حتى استطاعت ان تقيم لقياداتها بقيات الغرب صلات صداقة وطيدة ما لبثت ان تحولت بالتدريج الى موقف مؤيد لها في مطلب الوطن القومي .

كان جهد الصهيونية قبل الحرب العالمية الاولى منصباً

على كسب انكلترا حتى استطاعت ان تحقق ذلك ونجحت في استصدار وعد بلفور عام ١٩١٧ في الثاني من شهر تشرين الثاني ، كما نجحت اليهودية الشيوعية في العام نفسه في استصدار وعد لينين لها بوطن قومي في فلسطين ايضا !

وحين ادركت الصهيونية بثاقب نظرها ان مركز الثقل في مستقبل السياسة الدولية سيكون أمريكا نقلت اليها جهودها وظلت تعمل فيها حتى استطاعت ان تكسبها الى جانبها . وتخلل الفشل محاولات الصهيونية اكثر من مرة ، وفي اكثر من مرحلة . غير انها لم تياس ايضا وظلت تعمل بصمت ودهاء وتصميم حتى بلغت منها ما تريد !

في خلال ذلك ، وبعد ان حققت الصهيونية نجاحها الاول في استصدار وعد بلفور ، ثم فسي فتح باب الهجرة الى فلسطين ، كانت الصهيونية تعمل جانبيا وجزئيا على الايقاع بين العرب والغرب . ومنذ صدور الكتاب الابيض البريطاني عام ١٩٣٩ ، ثم نهاية الحرب ، ثم قيام اسرائيل ، ازداد الجهد الصهيوني في هذا الاتجاه ، وتساعد ، وحددت الصهيونية لنفسها في جميع مؤتمراتها منذ بداية الحرب الثانية والى اليوم مهمتين اساسيتين :

١ - المزيد من الصلات بالغرب ، والمزيد من التأكيد على اهمية دورها في اتجاوي الديمقراطية وحماية المصالح الاساسية للحضارة في منطقة الشرق الاوسط .

٢ - المزيد من الايقاع ما بين العرب والغرب وتفجير الخلافات بينهما منعا لاي لقاء محتمل تنائر به المصالح الصهيونية وتخشى منه على احلامها ومطامحها .

ولقد ساعد الصهيونية على تنفيذ مخططاتها عوامل كثيرة لعل اهمها وابرزها غفلة العالم العربي وجهله وركضه وراء الاكاذيب واستسلامه للادواهم وتسليم قيادته لمقامرين كل همهم ان يملأ ضجيجهم الاسماع وان يرتفع الهتاف لهم فوق كل اعتبار ، وان يتقدم الايمان بهم على ايمان الله بوطنه ، والتمسك بالانظمة والافراد على التمسك بالارض والحريه !!

ودافع آخر لي على الكتابة هو تسجيل ما اعرف - بحكم تجربتي - ويجهل الكثيرون من تاريخ الاحزاب الشيوعية العربية وصلاتها باليهودية واسرائيل ومواقفها الخزية من القضية القومية عموما وفلسطين بخاصة . ولقد

أوردت الوقائع بالقدر المقبول من الإيجاز ، لأن الدراسات المفصلة تحتاج الى أكثر من كتاب ، وهي جهد أكاديمي يحتاجه المستقبل أما اليوم فنحن أحوج ما نكون الى توعية سريعة تمنع الانجراف وراء الوهم ، وتوقف الانهيار الى القاع . كذلك أردت من الكتاب أن يعرض صورة سريعة لتلك الروابط التاريخية والمتصلة الى يومنا هذا بين الشيوعية والصهيونية كحركتين يهوديتين تتنافسان وتلتقيان . ولست أزعم أنني أمسكت بسر العلاقة بينهما ولا بعناصرها جميعا ، فذلك ما لا قدرة لي عليه ، وإنما تظل حدود هذه الدراسة الملاحظة السدائمة والامساك ببعض الوقائع التي عايشها الآخرون أو عايشناها .

ثمة أسرار كثيرة يطويها التاريخ وتظل مجهولة . وإسرار أخرى يكشف بعضها أو كلها . إلا أننا نستطيع من طريق الملاحظة والتأمل والتحليل ومتابعة الأحداث بدقة أن نصل الى بعض الحقائق وأن لم نصل إليها جميعا . وهذا البعض يكفي الآن مؤقتا ، غير أننا نظل محتاجين على الدوام الى من يلقي أضواء أخرى على المجهول . ودراسة بعد دراسة تكتمل في المكتبة العربية المعرفة حول هذا الموضوع وبغنى ووضوح لنا ما يستعصي اليوم على الفهم الكثيرين .

وعلى أي حال ، فهذه الدراسة مجرد جهد أولي .

أو هي بتعبير عسكري : مجرد فرقة استطلاع تتقدم الصفوف وتواجه الخطر . هي ليست كل القوة ولكنها طليعة تجس الأرض وتمهدا وتفتح الطريق لن بعدها .

وتبقى مسؤولية كل مثقف شجاع أن يقول كلمة . أن يقف في وجه الخطر . أن يدافع بشرف عما يتهدهه قراصنة الحرية ومفتاولوها .

فهل من يتقدم ؟

وملاحظة لا بد منها والتأكيد عليها :

ليس هدف هذا البحث أن يعرض على عداة اليهودية أو يعلن موقفا لا ساميا . فنحن نحترم الأديان كلها ونضمير الخير للناس جميعا بلا تفرق . واللاسامية في جوهرها موقف أوروبي من اليهود وليست موقفا عربيا . بل الأصح أن يقال أن اللاسامية في بعض جوانبها موقف معاد لنا لأننا ساميون أيضا . ثم أن تاريخ اليهودية في بلادنا لا يسمح

يمثل هذا الاتهام . فقد عاش اليهود قبل اسرائيل والشيوعية بيننا مواطنين ، وكانت لهم حقوق المواطنة كلها في كل بلد عربي . ولم يسمع أحد من قبل ان اليهود في هذه البقعة من الارض قد عانوا الاضطهاد او واجهوا الكراهية او التمييز . ولم يفجر المشكلة سوى قيام اسرائيل والهجرة اليهودية المستمرة اليها في مكان الهجرة العربية المستمرة منها . شعب مكان شعب . ذلك هو جوهر المسألة .

وليس لهذا الكتاب من هدف سوى توضيح الاخطار التي يواجهها شعبنا ، وهي اخطار تتجاوز مشكلة فلسطين ذاتها الى ما هو أبعد وادنى .

انه مجرد صوت يعلن موقفا مدافعا عن النفس . مجرد احتجاج على أن تمضي المؤامرة في طريقها بلا حدود ، ولا مقاومة ولا اعتراض .

وانا بعد راغب عن موقفي هذا كل الرضى ، مؤمن به أشد الايمان ، مصمم عليه اعظم التصميم .

وللقارىء ما يشاء . كل ما اطلبه هو ان يقراني بغير موقف مسبق وبغير حكم مسبق . ان يقرأ بعقل مفتوح للرأي ونقيضه ، فليس كالانفتاح ما يقود الى المعرفة ويوصل الى الحقيقة ويلجم الهوى والفرس .

نهكاد العكادري

« ان كارل ماركس حفيد الحاخام مردخاي
ماركس كان في روحه وفي اجتهاده وعمله
ونشاطه ، وفي كل ما قام به واعد له ، فكرا
واسلوبا ، اشد اخلاصا لاسرائيل من الكثيرين
ممن يتشدقون اليوم بادوارهم في مولد الدولة
اليهودية » .

الحاخام لويز برونس

الطافام (وزير دس)

ماركس اليهودي والمسألة اليهودية ...

كارل ماركس ، هو فيلسوف الشيوعية الاول وصاحب نظريتها المعروفة بالمادية الديالكتيكية ، اي الجدلية . وتقوم النظرية في جدليتها على أساس من الإيمان بأن الطبيعة ليست تراكما عرضيا للأشياء ، او حوادث منفصلا بعضها عن البعض الآخر ، وليست كذلك حالة سكون وجمود ، ولا حركة نمو بسيطة . وانما هي كل متماسك واحد مرتبط عضويا ، وفي حالة تغير وتجدد مستمرين ، تتراكم فيها التغيرات الكمية ببطء ثم تؤدي الى تغير ظاهر وأساسي . ولا يتم التغير تدريجيا ، بل فجأة ، وبقفزات سريعة . وليس التغير ممكنا بل هو محتسوم وضرورة لا مندوحة عنها . وذلك ان اشياء الطبيعة وحوادثها تحتوي متضادات داخلية ذات جانبين : سلبي وايجابي ، ومنها عناصر تتطور كما ان فيها عناصر تضمحل . وفي نضال هذه المتضادات تكمن حقيقة التطور وقانونه الاساسي .

وتؤمن النظرية في ماديتها ، بأن العالم مادي والوجود مادي . وليست حوادثه سوى مظاهر مختلفة للمادة المتحركة المحكومة هي الاخرى بقوانين ثابتة . وتوجد المادة أولا ، وخارج الإدراك أو الشعور ومستقلة عنهما . في حين ان الإدراك يجيء ثانيا ، وانعكاسا للمادة . فليست المادة انعكاسا للإدراك بل العكس . والفكر نفسه نتاج المادة ، والعالم المادي الذي تدركه حواسنا هو الواقع الوحيد .

هذا ملخص غير واف للنظرية ، ومن الواضح انها في جدليتها ،
العالم الوجودي ماركس !
أولاً : المادة خارج الإدراك ولشعور مستقل عنها
ثانياً : الإدراك ، والإدراك انعكاساً للمادة
ثالثاً : ليست المادة انعكاساً للإدراك
والعالم المادي الذي تدركه حواسنا هو لها هو الوحيد !



الاديان ، الفيت ، الله اشياء من صنع الانسان

وماديتها تنكر الاديان ، والفيت ، والله ، وتمتقد ان هذه كلها اشياء من صنع
الانسان . وبالتالي فهي تقف منها مواقف العداء وتحاربها .

ليس هذا موضوعنا ، وانما هو استطراد بسيط كان ضروريا في
التمهيد للحديث عن ماركس والمسألة اليهودية .

ولد ماركس عام ١٨١٨ وتوفي عام ١٨٨٢ . أبوه يهودي وجده الحاخام
مردخاي ، وقد تنصر أبوه عام ١٨٢٤ - بعد مولد ماركس - هربا من مطاردة
المجتمع له بسبب يهوديته - اللاسامية - ، ولكنه ظل يحمل في أعماقه
موقف اليهودية من الآخرين . وقد تأثر كارل ماركس كما يتأثر كل طفل ببيئته
الخاصة ، فحمل الحقد لمجتمعه ، وعبر فيما بعد بالشيعوية عن يهوديته .

فمن الواضح ان اليهودية تعاني ، أصلا ، من عقدة الاضطهاد ، وتحمل
احقادا لا حد لها ضد كل المجتمعات الاخرى ، وبخاصة ضد المجتمعات
المسيحية والاسلامية حيث هزمت اليهودية معهما في جميع معاركها التاريخية .

ولقد ساعد الفكر اليهودي ، ونمط المعيشة الخاص باليهود كطائفة في
كل بلد حلت به ، على نشوء هذه العقدة ، ونموها ، وايجاد ظروفها ومبرراتها .

فمن البداية ، وقبل ان يكون جميع اليهود في احياء خاصة بهم في
أوربا - وهو ما يطلقون عليه اسم الفيتو - عملا اجباريا ، كان اليهود يتجمعون
وبمحض ارادتهم في احيائهم الخاصة بهم ، ويمتنعون عن الاندماج في
المجتمعات الاخرى بسبب ايمانهم بالتفوق من نحو ، والخوف من ان يتعلمهم
المسيحية في أوربا من نحو آخر .

تقول موسوعة فالتاين اليهودية (١) ، في تعريف الفيتو ، اي الحي
اليهودي :

« مهما يكن من امر فقد أصبحت هذه الكلمة تطلق عموما على الحي
اليهودي . ففي التاريخ القديم كان اليهود يحتلون طوعا وبلاء حريتهم احياء

(١) موسوعة فالتاين اليهودية . ص ٥٨٩ . طبعة ١٩٢٨ . لندن .

لندبر مارل ماركس يهودية بالشيوعية
الفيتو = الحي اليهودي

١٨-٨٥
١٨٨٢
١٨١٨
٧٤

خاصة . وفي القرون الوسطى وجدت الاحياء والشوارع اليهودية - ابتداء من اواخر القرن الحادي عشر - ولم يكن الدافع الى تكتلهم دينيا او اجتماعيا كما كان فيما مضى ، بل ان التجارة هي التي حملتهم على الإقامة بالقرب من الاسواق ، والخطر جعلهم ينشدون حماية الامير الحاكم الذي كان يرغب في الوقت نفسه في أن يكونوا مجتمعين مما لتسهيل مهمة جمع الضرائب . ولم يتحول الحي اليهودي الى « غيتو » اجباري الا في القرن الثالث عشر . ومع ان حصر اليهود في الغيتو لم يكن مقصودا ، فقد كان له بالنسبة لهم افضل النتائج ، اذ هو حفظ الشعور الجماعي والثقافة اليهودية التقليدية .»

« وكان هنالك ، على الغالب ، سلطات معترف بها رسميا بين المجتمعات اليهودية في اوربا في القرون الوسطى ، لتنظيم شؤونهم الخاصة ، وللارتباط بالحكومة المدنية كهيئة موحدة . وحتى لو لم يكن لليهود دافع غير التقييد بمقتضيات دينهم ، فانهم كانوا مضطرين في كل مكان الى انشاء مجتمعات خاصة بهم ليتسنى لهم تنظيم المؤسسات الدينية ، والتربوية ، والخيرية . وكانت لهم محاكم خاصة بسبب انه كان ينتظر من المدعين اليهود أن يطيعوا قانون التلمود المدني .»

ولقد ادى تجمع اليهود او تجميعهم على مدى مئات السنين ، ونظرتهم الخاصة الى النفس والآخرين ، وايمانهم بأنهم شعب الله المختار ، وكون اليهودية الديانة الوحيدة التي لا تشكل مجتمعا موحدا في دولة ، الى عرقية من نوع فريد . فاليهود المؤمنون بتفوقهم وبأنهم الشعب المختار هم اقلية في جميع المجتمعات . وكل اقلية محدودة تشعر بالحاجة الى أن تكسر من حولها كل ما قد تحيطها به الاكثرية من اطواق اجتماعية . وهكذا شعرت اليهودية - جزئيا - بالحاجة الى الاندماج في المجتمعات البشرية هربا من النظرة الخاصة والمعاملة الخاصة ، دون أن تكون مستعدة في مقابل ذلك الى التنازل عن موقفها الخاص وحياتها الخاصة .

بمعنى آخر : شعرت اليهودية بالحاجة الى أن تفتح المجتمعات البشرية من حولها دون أن تفتح هي عليها . كانت تريد اندماجا يمنحها حرية اكبر ودون أن تنصهر !

وقد عبر فيما بعد « ناحوم غولدمان » رئيس المنظمة الصهيونية العالمية

عن هذه الحقيقة بقوله : « ان الغرض من الدولة اليهودية هو المحافظة على
التسبب اليهودي ، وهو أمر أوقفه التحرير والاستيعاب في خطر » (١) .

ولئن لم يكن بين أيدينا من الوثائق اليوم ما يكفي لندين كارل ماركس
بأنه ابتدع النظرية الشيوعية تعبيراً عن يهوديته ، وليضعها في إطار مختلف
ومقبول ، فان النظرية الشيوعية نفسها تقدم لنا هذا الدليل ، كما يقدمه
فيما بعد تطور الحركة الشيوعية ذاته . وليس ضرورياً أن يكون ماركس قد
وعى هذه الحقيقة وأرادها - وقد يكون واعياً لها - يكفي أن يكون ماركس
بحكم أنه يهودي الأصل قد عاش في بيئة خاصة حملته النظرة اليهودية
والمشاعر اليهودية ليعبر عنهما فيما بعد قولاً وعملاً . ولن يستطيع الإنسان
أن يتحرر مما تلقنه إياه بيئته الأولى ونشأته ، وسيظل أسير الكثير من تلك
البدايات سلباً وإيجاباً ، بوعي وبغير وعي .

وهكذا كان ماركس .

فقد عبر بالصراع الطبقي عن الحقد اليهودي ضد الآخرين . ولم ير
بين العامل ورب العمل سوى الكراهية والبغضاء والسرقة والاستغلال ،
متجاوزاً كل أشكال ومعاني العلاقات الإنسانية الأخرى وتمرّداً عليها .

رب العمل ضد العامل ، والعامل ضد رب العمل . العمال طبقه
اجتماعية متميزة وأرباب العمل طبقة أخرى . فالطبقة هنا في تفكير ماركس
نوع من الغيتو ، من الحي اليهودي الخاص . بمعنى أوضح : اليهودية في
مواجهة غيرها . أي الحقد اليهودي في مواجهة الاضطهاد .

ومن حاجة اليهودية الى الاندماج في المجتمعات البشرية ، أي الى كسر
الطوق من حولها ، عبر ماركس بالامية أي بالإخاء الإنساني بين ما أسماه
الطبقات المستغلة . وهكذا وفق ماركس ، شيوعياً ، بين نظرة اليهودية
الحاقدة وبين حاجتها الى الخروج من العزلة .

(١) يقصد « غولدمان » اعتراف بسمارك بتحرير اليهود عام ١٨٧١ ومحاولة استيعابهم
في المجتمعات البشرية التي وجدوا فيها ، أي جعلهم مواطنين بغير انفصال روحي .

كان الصراع الطبقي هو التعبير عن الحقد اليهودي والكراهية المتأصلة،
كما كانت الاممية هي التعبير عن الحاجة الى كسر اطواق الحصار والخروج
من الفيتو الاجباري ، مع البقاء فيه اختيارا !!

ذلك هو جوهر الماركسية ، أي الشيوعية .

وبقية نظرية ماركس لم تكن خالصة له . فقد تأثر الى حد بعيد بعدد
من الفلاسفة الالمان . اخذ من هيفل جدليته - أي الديالكتيك - فقد درس
ماركس في بون أولا ثم في جامعة برلين حيث كانت القلبة والسيطرة لافكار
هيفل . والتحق ماركس بالمدرسة الهيفيلية لفترة من الزمن ، وكان له فيها
رفاق ، ثم ابتعد عنها محتفظا على حد تعبيره بالنواة العقلية لمذهب هيفل ،
طارحا منه القشرة المثالية .

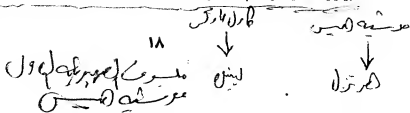
ثم اخذ من فيورباخ (١) ماديتته ، وسافر الى باريس فالتقى فيها
ببرودون الاشتراكي الفرنسي ، وتقلب في العمل وفي اتجاهه الفكري طويلا
قبل ان يستقر على نظريته مع زميله انفلز ، ويصدرا معا البيان الشيوعي
عام ١٨٤٨ ثم يضع ماركس فيما بعد كتابه المعروف « راس المال » .

على ان في حياة ماركس زاوية لم يلق البحث عليها الضوء الا مؤخرا .
فهو قد اتصل عام ١٨٦٢ بفيلسوف الصهيونية الاول وواضع اساسها
النظري : موشيه هيس وعن هذا اخذ هرتزل . وقد بلغ من اعجاب ماركس
وتأثره به ان كتب عنه فيما بعد يقول : « لقد اتخذت هذا العبقرى لي مثالا
وقدوة ، لما يتحلى به من دقة التفكير واتفاق آرائه مع عقيدتي وما أؤمن به .
انه رجل نضالي الفكر والسلوك » .

وموشيه هيس هذا هو صاحب كتاب الدولة اليهودية ، ولم يزد هرتزل
على افكاره سوى ان بسطها وارقام لها تنظيمها السياسي فيما يعرف بالحركة
الصهيونية . تماما كما كان لينين من ماركس . فماركس صاحب النظرية ،

(١) فيورباخ فيلسوف الماني ولد عام ١٨٠٤ وتوفي عام ١٨٧٢ وهو الذي ازاح
الهيفيلية المثالية عن مقام السيطرة والسيادة ليحل محلها في الفكر الالمانى ماديتته .

هيفل
صاحب الفكر الماركسي
الاشتراكي
الذي تأثر به
ماركس في
بداية حياته
فكريا
(انظر اسفل)



ولينين منفذها وموضح عويصها أي مبسطها ، بلاضافة الى ما زاد عليها .
وكذلك هرتزل .

وكان الاساس في تفكير هيس معلم ماركس ، هو : « ان ما لا يستطيع
اليهودي الفرد أن يحصل عليه بسبب يهوديته فان الشعب اليهودي يستطيع
الحصول عليه بسبب قوميته » . وقد حذر هيس الشعوب الاخرى من انه
سيكون هنالك شعب آخر في النضال القادم ، هو الشعب اليهودي ،
وسيخاصم هذا الشعب من يختار ويصادق من يختار ، وهو قادر على
أن يضر وينفع .

وممالفت النظر الى ان ماركس قد عبّر بالشيوعية عن يهوديته ما
كتبه فيما بعد الحاخام لويز برونس ، وهو أحد اقطاب الصهيونية الحديثة
قال :

« ان كارل ماركس حفيد الحاخام مردخاي ماركس ، كان في روحه
واجتهاده وعمله ونشاطه وكل ما قام به وأعد له أشد اخلاصا لاسرائيل من
الكثيرين ممن يتشددون اليوم بدورهم في مولد الدولة اليهودية » .

فاذا علمنا ان لليهود فكرا سريا متوارثا ، وعقيدة باطنية قلما يفصحون
عنها ، جاز لنا أن نعتقد بأن شيوعية ماركس كانت تعبيراً عن المسألة اليهودية
وحلا لها ، فهي مرتبطة بها منذ البدء : منها أخذ الحقن ، ولها أعطى الانقسام
والعنف والاممية . ولم يوفر لافكاره شروط الانتشار الواسع ثم الانتصار
في أرض المشكلة : الامبراطورية الروسية ، سوى اليهود والعناصر المنحازة
لهم في الوسيلة والغاية . وسنجد فيما يلي من البحث عرضا ينتهي بنا الى
قيام اسرائيل ودور الاتحاد السوفياتي معتقن افكار ماركس ومبادئه
في قيامها .

أرض اسرائيل ، الامبراطورية الروسية

الشيوعية ... والمسألة اليهودية ١

ليس يفيدنا كثيرا ان نعود طويلا الى الورا لنحدد تاريخ الوجود اليهودي في روسيا واسباب تجمع اليهود فيها ، فذلك ليس موضوع البحث ولن نذكر منه الا ما اتصل به واعاننا على فهم اوضح للمناخ الذي انتشرت فيه الشيوعية وحقت انتصارها الاول .

وقد راينا ، فيما سبق ، ان ماركس فيلسوف الشيوعية ومؤلف نظريتها المادية كان يهوديا ، وان معلمه هيس يهودي ايضا ، وهو واضع كتاب الدولة اليهودية قبل هرتزل . وعلى يد هذا الفيلسوف الالماني تتلمذ مؤسس الحركتين الصهيونية والشيوعية : هرتزل المجري وماركس الالماني .

تعود جذور المسألة اليهودية في اوربا الى الموقف المتبادل بينها وبين المسيحية لاسباب دينية محضة ما لبثت ان وئدت ظروفنا اجتماعية واقتصادية وثقافية ، وادت بالتالي الى نشوء الفيتو - الحي اليهودي الخاص - الذي جاء مزيجا من القسر والاختيار في وقت واحد . فهو اختيار بمعنى حرص اليهود على المحافظة على وجودهم الخاص في المجتمعات المسيحية دون ان تستوعبهم هذه المجتمعات ، وهو قسر بمعنى خوف المجتمعات المسيحية من ان يؤدي اندماج اليهود وحريتهم الى استيلائهم على اقتصاد البلاد بسبب براعتهم في التجارة وشؤون المال . ويعتقد « ه. ج. ولز » في كتابه خلاصة التاريخ ان تقاليد اليهود المالية والتجارية ليسا سوى تراث فينيقي .

على ان بداية المسألة اليهودية فيما خص بحثنا هذا هو القرن الرابع عشر ، حيث استوطن اليهود بولونيا بدعوة من ملكها « كازيمير الاول » الذي كان متأثرا بنفوذهم . وقد دلت النقوش المكتشفة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر - ١٨٧٢ م - على ان اليهود تولوا فيما بين ١١٧٣ و ١٢٠٥ سك النقود في بولونيا الكبرى والصغرى ، وان هذه النقود قد حملت الكتابات العبرية والبولونية معا .

وقد ادى تجمع اليهود في بولونيا الى ان تقع تحت نفوذهم الاقتصادي في هذه المرحلة . ثم حدث عام ١٧٩٣ على عهد كاترين الثانية ان اقتسمت بروسيا وروسيا فيما بينهما بولونيا ، فكان من نصيب روسيا القسم الاعظم من يهود بولونيا - في الشطر الشرقي منها - وبذلك اتصل التاريخ الروسي بالتاريخ اليهودي وادى ذلك فيما بعد الى انهيار الامبراطورية الروسية المسيحية ، وقيام الامبراطورية الشيوعية ذات المحتوى اليهودي محلها !

بولونيا

وبلاحظ هنا ان الدولتين اللتين ورثتا اليهودية روسيا وبروسيا ، هما اللتان حملتا المشكلة اليهودية ودفعتا ثمنها فيما بعد . فكارل ماركس يهودي الماني وهو فيلسوف الشيوعية الاول ، ولينين روسي يهودي الاصل (١) . وفي روسيا حققت الشيوعية - اي اليهودية - انتصارها الاول بقيام النظام الجديد عام ١٩١٧ ، وفي المانيا حققت اليهودية انتصارها الثاني فمزقتها وجزأت وحدتها الحرب العالمية الثانية . وبقطع النظر عن خطأ النازية وجرائمها فقد كانت المانيا - وما تزال - ضحية اليهودية سلبا وإيجابا ، معها وضدها !

بروسيا - المانيا

وفي اواخر القرن الثامن عشر - فترة تقسيم بولونيا - اصدرت الحكومة الروسية قرارا يحدد لليهود اماكن اقامتهم في روسيا الكبرى

(١) كان الاعتقاد السائد هو ان لينين وحده من بين المجموعة الماركسية التي قادت الثورة لم يكن يهوديا ، وان تكن زوجته يهودية . غير ان دراسة حديثة صدرت عام ١٩٦٥ لكاتب يهودي امريكي عاصر لينين ورافقه هو « لويس فيشر » تؤكد ان لينين يهودي الاصل . وهو ما سبق وذهبت اليه من قبل مجلة فرنسا القديمة عام ١٩١٨ ، وصحيفة « الساعة » الباريسية ذات الاتجاه الراديكالي الاشتراكي عام ١٩١٧ ، وقالت الاخيرة ان اسم لينين اليهودي هو « زيدر بلوم » .

ويمنحهم حرية ادارة شؤونهم المحلية بما فيها فرض الضرائب على اليهود وإقامة محاكم خاصة بهم . ولم يسمح لهم بالخروج من هذه الاماكن التي تشبه الى حد كبير مستعمرات خاصة هي تجسيد لفكرة الحي اليهودي الخاص - الفيتو - الا باذن خاص من السلطة وبقيود كانت هي ذاتها تعبيراً عن القسر والاختيار . وقد امتدت هذه المستعمرات من شبه جزيرة القرم الى بحر البلطيق ، وفيها وجدت الشيوعية والصهيونية ارضهما الخصبة وشهدت نوبات الحركتين اليهوديتين ، والى هذه المناطق تعود اصول اليهود المقيمين في امريكا اليوم حيث الصهيونية قوة مؤثرة ، واصول اليهود الذين اقاموا دولة اسرائيل ، واصول اليهود الذين انشأوا جميع الحركات الشيوعية الاولى في الشرق العربي وبغير استثناء .

وقد حظى اليهود في روسيا ، في احدى مراحل حياتهم ، بقبول روسي هو اسكندر الاول - ١٧٧٧ - ١٨٢٥ - منحهم ، رغبة منه في استيعابهم ، الكثير من الحقوق ودون ان يفرض عليهم شيئاً . وقد استطاع اليهود على عهد هذا القيصر تحقيق قدر من السيطرة على الاقتصاد الروسي . فلما جاء خلفه نقولا الاول - ١٧٩٦ - ١٨٥٥ - اقدم ، وبدافع من مخاوفه ، على إلغاء الانظمة الخاصة باليهود وحرّم عليهم ارتداء لباسهم التقليدي ما عدا المناسبات الخاصة وفرض الخدمة العسكرية عليهم للمرة الاولى .

ومن الغريب ان ما رمى اليه القيصر نقولا الاول كان نفس ما رمى اليه اسكندر الاول على اختلاف الاسلوب بينهما . فقد استهدف نقولا الاول من تدابير دمج اليهود في المجتمع الروسي وجعلهم مواطنين بدلا من ان يكونوا فئة مستقلة ذات وضع خاص مميز فيه ومستقل عنه .

غير ان سياسة « الترويس » هذه ادت على المدى البعيد الى غير ما هدف اليه نقولا الاول . تماما كما ادت من قبل تدابير سلفه اسكندر الاول الى غير ما اراد بمنحهم حق العمل وحرية الحياة .

فقد ادت سياسة نقولا الاول الى فتح ابواب المدارس امام اليهود ثم فرض عليهم التعليم الاجباري فأتاح لهم هذا ان يصبحوا فيما بعد النخبة الروسية المفكرة وان يجمعوا الى السيطرة الاقتصادية السيطرة الثقافية ايضا .

كانت إجبارية التعليم لليهود أخطر حدث في تاريخ روسيا ، وربما كان أخطر حدث شهده القرن التاسع عشر . فهي قد أتاححت لليهود ، من حيث أرادت القيصرية بالتعليم أن تدمجهم في المجتمع الروسي ، أن يرتفعوا كثيرا فوق هذا المجتمع حيث الامية سائدة وان يمتلكوا كل أسباب التفوق وبالتالي قيادة الثورة .

وما ان اطل عهد اسكندر الثاني حتى كان اليهود قد بلغوا ذروة السيطرة في روسيا ماليا ومهنيا . ففي يدهم كانت جميع اعمال الصيرفة ، وهم سادة المهن المختلفة ومعظم المرافق الصناعية والتجارية .

وتابع اسكندر الثاني سياسة « الترويس » لليهود فسمح لخريجي الجامعات منهم بأن يشغلوا المناصب الحكومية وان يقيموا خارج مستعمراتهم الخاصة . ثم اتسع القرار فشمّل فئات أخرى من اليهود سمح لهم بالإقامة حيث يختارون من أرجاء الامبراطورية . واستمرت هذه السياسة الروسية المنفتحة على اليهود بغرض استيعابهم روسيا ، حتى كانت محاولة اغتيال اسكندر الثاني عام ١٨٦٦ فادت الى تبديل سياسته العامة واتجه بعدها الى التشدد وشمل هذا اليهود فيمن شمل من فئات المجتمع الروسي .

كان ذلك بداية التحول . فقد نqm اليهود على القيصر واسسوا جمعية سرية ابراهيمية هي جمعية « نارودنايا فوليا » - أي ارادة الشعب - وظلوا ياتمرون به حتى عام ١٨٨١ حيث نجحت مؤامرة اغتياله في آذار من ذلك العام ، وكان رؤوس المؤامرة جميعا من اليهود وفي مقدمتهم اليهودية « هيسيا هيلفمان » . وقد اعتمد في هذه المؤامرة شقيق لينين الاكبر الكسندر اوليانوف وكان لاعدامه اثره النفسي البعيد في حياة لينين وفي اتجاهه الى الثورة .

ادى مصرع اسكندر الثاني الى رد فعل فوري معاد لليهود ، واتخذ رد الفعل اشكالا متعددة : فمن الطرد والاعادة الى المستعمرات ، الى القتل والمذابح ، الى قوانين ابار الاقتصادية التي رمت الى الحد من سيطرة اليهود على الاقتصاد الوطني ... الخ .

وحتى تلم بالكثير من الجو الذي ساد تلك المرحلة يجب ان نعود الى

المرسوم الذي أصدره اسكندر الثالث مهذا به لقوانين ايار . يقول المرسوم في عرض اسباب هذه القوانين :

« وخلال السنوات العشرين الماضية استولى اليهود تدريجيا على مختلف فروع التجارة والعمل وعلى جزء كبير من الاراضي اما بشرائها او بحراستها . وفيما عدا بعض الحالات لم يحصر اليهود اهتمامهم كهية موحدة لانماء ثروة البلاد او افادتها بل لسلب سكانها ولا سيما الفقراء منهم بحيلهم وخداعهم . وقد عبر الشعب في أعمال العنف والسراقة عن احتجاجه ضد هذا السلوك . وفيما الحكومة تبذل قصارى جهدها للقضاء على الاضطرابات وانقاذ اليهود من الظلم والقتل فهي ترى من ناحية اخرى ان الواجب والعدل يحتمان عليها ان تعتمد بسرعة تدابير حازمة لوضع حد لما يناله السكان من اضطهاد اليهود ولتحرير البلاد من غدرهم واختلاساتهم وهما سبب الاضطرابات كما هو معروف ... الخ . »

بمصرع اسكندر الثاني وفي جو ردود الفعل هذه ، والتدابير المختلفة، بدأت الحركتان الشيوعية والصهيونية تنتشران في صفوف اليهود واجوائهم الخاصة . فكانت الصهيونية تعبيراً عن طموح اليهود الى التجمع في دولة خاصة بهم والخلّاص من اضطهاد المجتمعات المسيحية لهم ، كما كانت الشيوعية تعبيراً آخر عن طموح اليهود الى الانتقام وتدمير القيصرية واقامة دولة جديدة تكون لهم فيها الكلمة العليا : دولة تستوعبهم من اعلى لا من اسفل . في ذروة السلطة وليس في حياة المجتمع !!

وكان فيما ادت اليه ردود الفعل الروسية ضد اليهود في اعقاب مصرع اسكندر الثاني ان خرجت جماعة منهم بلغ عددها ثلاثة آلاف يهودي تقريبا الى فلسطين حيث اسست فيها بالقرب من يافا اولى المستعمرات اليهودية مبتدئة بها الاتجاه الصهيوني وهو ما سيجيء معنا الحديث عنه بتفصيل اوفى فيما يلي من البحث .

وما ان اطل القرن العشرون حتى كانت روسيا مسرحا لنشاط ثوري اسسه اليهود واشرفوا عليه ، وتوزعوا فيما بين تنظيماته المتعددة - والمتضاربة احيانا - ، وقد استطاعت تلك التنظيمات السرية الارهابية فيما بين اعوام ١٩٠١ - ١٩٠٦ ان تقتال عددا من الزعماء بينهم عم القيصر .

١٨٨١
عقل اسكندر الثاني
مصرع اسكندر الثاني
على يد ثور من جماعة
نارود نايانولدا
(ادارة الشعب)

ونظم سلسلة الاغتيالات واعمال التنفيذ اليهوديان : « غرشوني » و « يفنو آزيف » . وقد اعدم هذا الاخير عام ١٩٠٩ بعد ان كان نظم مؤامرة اخرى لاغتيال القيصر نقولا الثاني آخر القيصرية الروس .

وفي عام ١٩٠٥ قامت اول ثورة شيوعية نظمها اليهود واستطاع فيها « تروتسكي » - وهو يهودي واحد اعلام الحركة الشيوعية وابرز عناصرها الفكرية بعد لينين - ان يصل الى رئاسة سوفيات بطرسبرغ الثوري ، وحين لقي عليه القبض حل محله رفيقه اليهودي « بارفوس » ونظم عددا من الاضرابات ما لبث ان اخمدت بعنف في ٣٠ كانون الاول .

كان اليهود الروس - كما اسلفنا - قد توزعوا في عدد من المنظمات السرية ذات الطابع الارهابي والثوري . وقد وقفوا في وجه جميع الإصلاحات التي اعقبت ثورة ١٩٠٥ وقادوها القيصر نقولا الثاني واعتبروا التنازلات الإصلاحية خطرا يتهدد برنامجهم الثوري ، فحاربوا الإصلاح بعنف وقسوة.

وفي عام ١٩١١ أقدموا على اغتيال « ستولبين » وزير القيصر الاول - رئيس الوزراء - والذي اشتهر ببرنامجه الإصلاح الواسع . فقد أعطى هذا المصلح الكبير والوصوم بالرجعية عند الشيوعيين ، دستوراً لروسيا ، ومنع الفلاح الأرض ، غير أنه ما لبث أن سقط صريعاً في مدينة « كييف » على يد المحامي اليهودي « مودكاوي بوغروف » . وقد بلغ من عمق إصلاحات « ستولبين » ومن تصميم الشيوعية اليهودية على إشعال نار الثورة لهدم المجتمع الروسي أن اعتبر لينين الثورة في سياق مع إصلاحات « ستولبين » وأنه إذا ما تأجلت الثورة وأتيح لهذه الإصلاحات أن تعطي نتائجها فسيستحيل على الشيوعيين أن ينتصروا . وكانت المفاجأة الكبرى للينين بعد الثورة هي أنه عندما دعا إلى تمليك الأرض لكسب الفلاحين إلى جانب الثورة وجد أن معظمهم قد امتلك الأرض فعلاً بموجب إصلاحات ما قبل الثورة التي قادها ستولبين ورعاها القيصر !

قاد المتمردين نقولا الثاني ثورة عام ١٩٠٥ للإصلاحية

تعتبر اليهود ذلك تهديداً لبرامجهم إلى حد أن أطاعوا
بالطاعة القيصرية ، فحاربوا الإصلاح بعنف وقسوة .

وفي ١٩١١ اغتالوا ستولبين وزير القيصر الأول ورئيس الوزراء
صيته انتهى الشيوعيون بالرجعية لبرامج الإصلاحية !

(نشره تحرير العمل)

١. فرقة الماركسيين الأولى (أ. ز. ليفش) (أ. ليفش) (أ. ليفش) (أ. ليفش)
 عام ١٨٨٢ وعاونته ثلاثة من اليهود :
 (١) (أ. ليفش) (٢) (ليودويش) (٣) (أ. ليفش)
 وسهمه (أ. ليفش) : نشر آراء ماركس !

الحلقات الماركسيّة الأولى
 والتنظيم الشيوعي ...

لنعد الآن خطوة الى الوراء : الى التنظيمات الشيوعية الاولى .

كانت الفرقة الماركسية الاولى التي نشأت هي فرقة « تحرير العمل »
 نظمها في جنيف بسويسرا بليخانوف عام ١٨٨٢ وعاونته ثلاثة من اليهود هم :
 زاتسولتش . ليودويش . أكسلرود . وكانت مهمة الفرقة نشر آراء ماركس
 وقد حققت بما توفر لها من عون التنظيمات اليهودية الخاصة في داخل
 روسيا وخارجها ، بعض مهمتها ، واعتبر لينين ثم ستالين من بعده ان ما
 حققته هذه الفرقة الماركسية كان النواة الاولى وانها اذت مهمة خطيرة جدا .
 ووصف لينين كتاب بليخانوف : « دراسة حول تطور المفهوم الوحداني
 للتاريخ » المنشور عام ١٨٩٠ بأنه ثقف جيلا كاملا من الماركسيين الروس » .

الا ان مهمة هذه الفرقة كانت - على حد تعبير لينين - هي : تأسيس
 الاشتراكية نظريا . اما الخطوة التالية في دمج الماركسية بحركة العمال فقد
 ظلت تنتظر رجلها الاقدر : لينين ، اليهودي الاصل (١) .

ولد لينين في سيمبرسك (٢) عام ١٨٧٠ . والتحق بجامعة قازان

-
- (١) اسمه الكامل : فلاديمير ايليتش اوليانوف .
 (٢) اسمها الجديد : اوليانوفسك .

عام ١٨٨٧ ، وقد انضوى في قازان تحت لواء حلقة ماركسية أسسها اليهودي فيدوتسايف .

وفي عام ١٨٩٢ ذهب لينين الى بطرسبرغ فأقام فيها ، وأنشأ حلقة ماركسية انضم اليها عدد واسع من اليهود ، ثم إقام بمهمة توحيد الحلقات الماركسية في المدينة - وكان يزيد عددها على العشرين - فجمعها في « اتحاد النضال لتحرير الطبقة العاملة » . وظل الاتحاد يعمل بقيادة لينين وفي اتجاه آرائه حتى اعتقل عام ١٨٩٥ ، ثم ما لبث أن تبدل اتجاه الاتحاد بدخول عناصر جديدة فيه تولت الدعوة الى قصر نضال العمال على الجانب الاقتصادي ، وترك السياسة للبورجوازية الحرة تتولى قيادتها وتوجيهها . وقد سمي هؤلاء فيما بعد « الاقتصاديين » وحاربهم لينين بقسوة .

بعد عامين من اعتقال لينين ، وفي تشرين الاول من عام ١٨٩٧ ، كانت المستعمرات اليهودية في الولايات الغربية من روسيا تشهد مولد حزب « البوند » ، أي الاتحاد العام للحزب الاشتراكي الديمقراطي اليهودي . ثم ما لبثت هذه الاحزاب والمنظمات والاتحادات العمالية والاشتراكية ان التقت عام ١٨٩٨ في اول محاولة لها للتجمع وعقدت جميعا مؤتمرها الاول في مدينة منسك في آذار ، وسمي : المؤتمر الاول لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا « ج. د. ر. » . وقد اعلن في قراراته تأليف حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا . ولم يحضر لينين هذا المؤتمر بسبب نفيه الى سيبيريا .

وفي اوائل عام ١٩٠٠ عاد لينين من منفاه وقد اختمرت في ذهنه كما اختمر في ذهن العناصر الماركسية الاخرى موضوع انشاء صحيفة تنطق بلسان الحركات الماركسية وتعمل على توحيدها ، وقد غادر روسيا لهذه الغاية والتقى في الخارج بـ بيلخانوف ورفاقه حيث اتفق معهم على اصدار صحيفة « إسكرا » اي الشرارة . وتألف مجلس ادارة الصحيفة من : بيلخانوف ، و زاتسوليتش ، و اكسلرود ، و لينين ، و بوتريسوف ، و مارتوف . ثم انضم اليهم عام ١٩٠٢ تروتسكي . وقامت بامانة السر كرويسكايا زوجة لينين .

وبذلك ضم مجلس ادارة تحرير الصحيفة الشيوعية الاولى التي تولت

١٨٩٨
المؤتمر الاول
٢٤ > ٢٥

صحيفة
إسكرا الزارة

بلجيكا نوفا، تحرير يهودي !

نشر وتنظيم وتوحيد الماركسية في روسيا سبعة أعضاء بينهم أربعة يهود هم :
 زاتسوليتش . أكسلرود . مارتوف . تروتسكي . وخامس يهودي الاصل
 هو : لينين . وأمينته سر يهودية هي : كرويسكايا زوجة لينين . ولم يبق من
 أعضاء مجلس التحرير سوى اثنين غير يهوديين هما : بليخانوف .
 وبوتريسوف .

وقد علق مؤسسو الصحيفة عليها املا كبيرا في جمع الحزب فكريا
 وتوحيد المنظمات المحلية ، وكان لينين يقول : ان هذه الصحيفة لن تكون
 اداة دعاية وتحريض جماعية فحسب بل هي اداة للتنظيم الجماعي ايضا .

وفي عام ١٩٠٣ انعقد في بروكسل عاصمة بلجيكا مؤتمر التوحيد
 الثاني بهدف جمع الحركات الماركسية كلها تحت لواء حزب العمال الاشتراكي
 الديمقراطي الذي تأسس عام ١٨٩٨ ، ولم يحقق الوحدة الحزبية تماما ،
 واقتصر أعضاء مؤتمره الاول على تسعة أعضاء .

وقد حضر المؤتمر الثاني الجديد ستون عضوا ، بينهم سبعة عشر
عضوا من غير اليهود ، وثلاثة وأربعين عضوا يهوديا . واشترك فيه ممثلو
حزب « البوند » اي الاتحاد العام للحزب الاشتراكي الديمقراطي اليهودي ،
وديموقراطيي روزا لوكسمبورغ الاشتراكيون وهي الاخرى يهودية .
 ولم يتم المؤتمر انعقاده في بروكسل بسبب موقف الحكومة البلجيكية وابعادها
 بعض أعضائه ، فانتقل الى انكلترا . وفي هذا المؤتمر انشطر أنصار لينين
 الى شطرين : البولشفيك والمنشفيك . وكان الاولون بقيادة لينين اليهودي
 الاصل ، والآخرين بقيادة مارتوف اليهودي الارهابي . وايد الاتحاد اليهودي
 وأنصار روزا لوكسمبورغ مبدئيا مارتوف ، غير انهما في عام ١٩١٧ اندمجا
 في الحزب الشيوعي واصبح الكل شيوعيين لينينيين !!

انتهى مؤتمر التوحيد الثاني الى انتصار لينين ، واقر المؤتمر برنامجه
 ذا الحدين : الأقصى والادنى . فاعتبر برنامج الحد الأقصى ان مهمة الحزب
 الكبرى الآتية هي الثورة الاشتراكية وقلب سلطة الرأسماليين واقامة
 ديكتاتورية البروليتاريا . واعتبر برنامج الحد الأدنى ان مهمة الحزب الآتية
 هي : قلب الاوتوقراطية القيصرية ، واقامة الجمهورية الديمقراطية وجعل

المؤتمر الثاني
 في بروكسل عام ١٩٠٣

المشكلة
 معاهدة كينس
 المستقلة
 بقيادة تروتسكي

ساعات العمل ثماني ساعات في اليوم ومحو آثار القنانة (١) في الريف ،
واعادة ما استلب كبار الملاك من أرض الى الفلاحين . وظلت هذه الاهداف
برنامج الحزب في حديه الاقصى والادنى حتى المؤتمر الثامن المنعقد في
آذار ١٩١٩ بعد الثورة .

بعد المؤتمر الثاني عام ١٩٠٣ عقد الحزب مؤتمرين آخرين : عام
١٩٠٥ - نيسان - في لندن وحضره ٢٤ مندوبا عن البلشفيك ولم يشترك
به المنشفيك وقد هاجمهم المؤتمر الثالث ونعتهم بالانقساميين ، وعام ١٩٠٦
- نيسان ايضا - في ستوكهولم ، وقد سمي مؤتمر الوحدة وحضره ممثلون
لجميع المنظمات الاشتراكية : حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في
روسيا ، حزب البوند - الاتحاد اليهودي - ، الحزب الاشتراكي الديمقراطي
- البولوني - روزا لوكسمبورغ اليهودية ، المنظمة الاشتراكية الديمقراطية
في ليتوانيا . الحزب الاشتراكي الديمقراطي (البولوني) - روزا لوكسمبورغ

وكان انعقاد مؤتمر الحزب الرابع في أعقاب هزيمة ثورة ١٩٠٥ ، تلك
التي قادها اليهود ، ولعب فيها تروتسكي وبارفوس اليهوديان دورا خطيرا .
غير انها ما لبثت ان اخمدت .

وفي عام ١٩٠٧ ايار - حزيران - انعقد في لندن مؤتمر الحزب الخامس
والاخير قبل الثورة ، وحضره ١٠٥ مندوبين عن البلشفيك بزعامة لينين ،
و ٩٧ من المنشفيك بزعامة مارتوف ، و ٤٤ من الديمقراطيين الاشتراكيين
يتزعمهم روزا لوكسمبورغ ، و ٥٥ من الاتحاد اليهودي يتزعمهم رفاييل
ابراموفيتش و ١٠٠ م. ليبس - فولدمان ، و ٣٥ من الديمقراطيين الاشتراكيين
الليتوانيين يتزعمهم دانيشفسكي - هرمان - ، وكانت قيادات هذه المنظمات
جميعا لليهود : لينين . مارتوف . روزا لوكسمبورغ . ابراموفيتش . ليبس .
دانيشفسكي . وضم المؤتمر من أصل ٣٣٦ مندوبا ٢٢٠ يهوديا و ١١٦ من
أصل غير يهودي !

واعقب هذا المؤتمر اصدار صحيفتين : صحيفة « بروفيتاريا » وتمثل

البلشفيك ويحررها لينين وبروفنسكي وزينوفيف وكامينيف وكلهم من اليهود ما عدا بروفنسكي . وصحيفة « غولوس سوسيال ديموكرات » - أي صوت الاشتراكي الديموقراطي - ويحررها مارتوف وبلخانوف واكسلرود ودان ومارتينوف - بيكل - ، وكلهم يهود ما عدا بليخانوف . ثم اصدر تروتسكي - اليهودي ايضا ! - في نفس العام ١٩٠٨ صحيفة « فيينا برافدا » ، وهكذا كانت مصادر الفكر الشيوعي جميعا تسيطر عليها عناصر يهودية ، كما كانت المنظمات الماركسية كلها من صنع ايديها ، وتنظيمها وقيادتها .

وفي عام ١٩١٠ غدت صحيفة « الديموقراطية الاشتراكية » صحيفة الحزب العام واشترك في تحريرها لينين وزينوفيف من البلشفيك ومارتوف ودان من المنشفيك ، أما صحيفة تروتسكي « فيينا برافدا » فاعتبرت صحيفة الحزب الرسمية وانتسب الحزب كامينيف لمعاونته في تحريرها والاشراف عليها .

ومضت اصوام ١٩١١ ، ١٩١٢ ، ١٩١٣ ، حتى ١٩١٦ في التنظيم والدعوة والتهيئة والخلافات ، غير ان الثورة جاءت برغم كل ذلك مفاجئة للكل ، واقرب من تصور وتقدير أكثر العناصر الماركسية تفاؤلا .

ففي عام ١٩١٧ ، ونتيجة ضعف النظام القيصري ، وتكاثر المؤامرات ضده ، والحرب المهلكة التي كان يخوضها على الجبهة الألمانية ، بدأت اضطرابات ٩ كانون الثاني في موسكو وظلت تنتشر وتستفحل وتوسع حتى بلغت حد الثورة في شباط ١٩١٧ . ولم تكن الثورة في بدايتها شيوعية ، بل ديموقراطية ذات اتجاه اصلاحى . وقد اتخذت الحكومة الموقته برئاسة الامير لغوف - وقد انضم اليها كيرنسكي وهو يهودي ايضا ممثلا للاشتراكيين الديموقراطيين - بعض التدابير الاولى للتهدئة وفي ظنها انها تفعل ذلك لمصلحة روسيا ، فكانت النتيجة : الثورة . ولعل اخطر تلك التدابير هو قرارها باعادة جميع المنفيين في سيبيريا والسماح لمن كان يقيم في الخارج بالعودة . فماذا كانت النتيجة ؟

عاد لينين - في نيسان ١٩١٧ - من سويسرا عبر خطوط النار بطريق المانيا وبمعرفة السلطات الألمانية لتخريب المجهود الحربي الروسي مع رفاقه :

مارتوف ، رادك ، كامينيف ... الخ . وكانت عودة لينين بمفاوضات طويلة مع السلطات الالمانية قام بها اليهودي الدكتور « هلفاند » في ستوكهولم ، واليهودي « غريتزكي » في كوبنهاغن .

✓ وعاد من سيبيريا : ستالين ، سفردلوف ، زينوفيف ..

✓ وعاد من نيويورك : تروتسكي مع مئات من الشيوعيين اليهود ..

وقد بلغ عدد اللاجئين الذين سمحت الحكومة الجديدة بمودتهم تسعين ألف روسي ، معظمهم من المثقفين اليهود !

وفي نيسان اجتمع البلاشفة برئاسة لينين ووضعوا مخططا لتحويل الثورة لمصلحتهم ومصادرتها . ولم تمض شهور قليلة حتى استطاع البلشفيك الاستيلاء على السلطة في شهر تشرين الاول ١٩١٧ ، واعتقلوا الحكومة المؤقتة برئاسة كيرنسكي ، وغدت السلطة بكاملها في يد لينين وأنصاره . وباستيلاء الشيوعيين على السلطة انتهت مرحلة تميزت بأربع علامات :

✓ ١ - قيادة العناصر اليهودية للحلقات الماركسية: أولا ، ثم لتنظيماتها وصحفها ثانيا ، واستيلائها على تيار الثورة بعد أن عملت طويلا في اذكاء نارها وتسعيرها ، والتخريض عليها .

✓ ٢ - بخلافات وانقسامات العناصر التالية : منشفيك . بلشفيك . ديموقراطي روزا لوكسمبرغ . حزب اليوند - الاتحاد اليهودي - الخ ... ولم تكن الخلافات الفكرية ولا الانقسام التنظيمي - في الجوهر - خلافا حول الهدف والغاية بل خلافا في الوسائل والاساليب .

✓ ٣ - باتحاد معظم هذه التيارات ، بعد استيلاء البلشفيك على الثورة وتحويلها لمصلحتهم ، والتقاء عناصرها جميعا تقريبا في جهاز مركزي واحد حكم روسيا بقوة الحديد والنار .

✓ ٤ - يتمويل اليهود للحركة اليسارية عموما ، وبكل اتجاهاتها وتفرعاتها وانقساماتها ، وكان هذا أحد عوامل نجاحها .

ونحب أن نقف قليلا عند هذه النقطة ، فلم يسبق أن عرضنا لها فيما تقدم من البحث .

ففي تقرير رفعته المخابرات الاميركية عام ١٩١٦ الى جميع الدول الديموقراطية الكبرى وبينها فرنسا وانكلترا ، يقول التقرير :

((في شباط ١٩١٦ علمنا للمرة الاولى بأن هناك ثورة تهيأ في روسيا واكتشفنا بأن الاشخاص والبيوتات التالية مرتبطة بهذا العمل التخريبي :

- جاكوب شيف .
- مورتيمواف شيف .
- كوهين ولويب وشركاه .
- أوتوكاهن .
- فيليكس واربورغ .
- جيروم هاهدر .
- كاغنهايم .
- ماكس بروتينغ « .

ثم صرح جاكوب شيف المليونير اليهودي بأن الثورة الروسية نجحت بفضل دعمه المالي ، وقال انه عمل على تحضيرها مع تروتسكي . وفي ستوكهولم كان اليهودي « ماكس واربورغ » ينقذ بسخاء على هدم النظام القيصري بسبب عداائه لليهود . ثم انضم الى هذه المجموعة من أصحاب الملايين اليهود « والف أشبورغ » و « جيفولوفسكي » الذي تزوج ابنته تروتسكي .

وتشير مجلة فرنسا القديمة الى ارتباط البيوتات المالية اليهودية التالية :

كاهن ، لوب وشركاه في أمريكا ، لازار في باريس . غونسبرغ في

پتروغراد ، - باريس - موسكو . سباير في لندن - نيويورك - فرانكفورت .
بنك نبي في ستوكهولم .

وبارتباط هذه البيوتات ودعم بعضها المالي المكشوف والمعروف للحركة
البشفيه يتضح انها ليست سوى حركة يهودية سرية يربطها ويوجهها التمويل
اليهودي ، فضلا عن القيادات اليهودية : فكرا وتنظيما !

وتؤكد صحيفة فرنسا القديمة في عددها رقم ١١٥ الصادر عام ١٩١٩
ان اقامة دولة يهودية في فلسطين هو الهدف !! وسيجد القارئ في نهاية
هذا الفصل بعض النصوص المثبتة مأخوذة عن المجلة فوتوغرافيا وبالنص
الفرنسي .

في اعقاب نجاح الثورة واستيلاء الشيوعيين على السلطة تمت ثلاثة
احداث ذات صلة بموضوعنا الاساسي . هذه الاحداث كانت :

١ - قرارا اصدره لينين بتجريم العداء لليهود . وقد اعتبر لينين
هذه الجريمة معاقبا عليها ، وكان قراره هذا تعبيرا عن عرفان الثورة
بالجميل ليهود روسيا في دورهم الاساسي بتقويض النظام القيصري . وان
كان لينين قد اعطى لقراره هذا معنى انهاء اللاسامية ، أي الموقف المعادي
ليهود بوصف هذا الموقف غريبا عن الروح الاشتراكية - طبعا يلاحظ هنا
ان هذا القرار يهودي الجوهر ، لانه وحيد الطرف . فهو قد أنهى « غيتو »
القصر ، ولم ينه « غيتو » الاختيار . أي انه ألغى الموقف الرسمي والمجتمعي
من اليهودية دون ان يلغي في المقابل موقف اليهودية من الدولة والمجتمع .

٢ - اعلانا اصدره لينين أيضا يعد فيه بتأييد اقامة وطن قومي لليهود
في فلسطين . وكان ذلك في نفس المرحلة الزمنية التي اصدر فيها بلفور
الانكليزي وعده المشهور . فحققت اليهودية بذلك انتصارين في اتجاهين
مختلفين وبقوتين متناقضتين . وكان هذا الموضوع نقطة الالتقاء الوحيدة
عام ١٩١٧ بين الشيوعية والراسمالية الغربية . تماما كما كان ملتقاها
الوحيد عام ١٩٤٨ ثم عام ١٩٦٧ . . وربما في المستقبل !!

٣ - مؤتمرا أوصت بمقده اللجنة المركزية للحزب لتحديد اتجاه ومبادئ السياسة السوفياتية في منطقة الشرق الأوسط بوجه عام ، واتجاه المسلمين بوجه خاص . وقد أوكلت اللجنة الى الثوري « راندك » وهو يهودي ورفيق لينين ، مهمة صياغة نداء المؤتمر والإشراف على موضوعاته . كما تولى رئاسة المؤتمر زينوفيف ، وهو يهودي أيضا . وقد جاءت المقررات والنداء الى المسلمين طبقا لما توخى اليهود ، وورقه عن هنغاريا بيلا كون ، وعن فرنسا روزمار ، وعن أمريكا ريد ، وعن روسيا راندك ، وعن النمسا شتاين هارد ، وعن هولنده جانسين ، وعن البلقان شابلين . وجميع هؤلاء كانوا يهودا . وكان في النداء اليهودي الى المسلمين تحريض على الغرب ، وحديثه مبكر عن البترول .

كان انتصار الثورة الشيوعية في الجوهر انتصارا يهوديا ضد القيصرية . وقد أطلقت الثورة يد اليهود السوفيات اطلاقا كاملا ، وظهر اليهود في الحياة العامة وعلى جميع المستويات في وقت واحد : العلوم ، الآداب ، الفنون . وكانوا يملكون طاقات حيصة هائلة ، وضعوها في خدمة الثورة .

لقد هدم الانطلاق جذران الاحياء اليهودية المنعزلة ، وأتاح لثقافة جديدة ان تزدهر . وكانت هذه الثقافة الجديدة ثابتة ونشيطة : مدارس ، صحف ، مسارح يهودية ، وتعاونيات صناعية وزراعية اخذت تظهر في طول روسيا الغربية وعرضها . وقد ضمت المدارس التي تعلم اللغة « اليدية » - لغة اليهود في روسيا - ٦٠ ٪ من اطفال اليهود في أوكرانيا وروسيا البيضاء . كما أسسوا ١٦ مسرحا يهوديا ، وثلاث صحف يومية ، وبلغ عدد نسخ المطبوعات « اليدية » ١٢٥.٠٠٠ نسخة ، وكثر عدد المجالس الوطنية اليهودية فبلغت ٢٧ مجلسا عام ١٩٢٢ في روسيا البيضاء و ١٦٠ في أوكرانيا ، وتآلفت فروع يهودية انبثقت عن منظمات الحزب ووزارات ومؤسسات ثقافية ... الخ .

ومن أعماق الضمير الشعبي ظهرت معطيات جديدة راحت تتغنى من منابع الفولكلور اليهودي : رهط من الرسامين - مانيه ، كاتر ، شافال - وآخر من الكتاب والشعراء باللغة « اليدية » - ماركيش ، كفيتكو ، فليكن ،

بغير ، وكثيرون غيرهم ...

ذلك هو الارث الذي خلفه لينين فيما خص اليهود (١) .

وحتى وفاة لينين عام ١٩٢٤ - كانون الثاني - كان اليهود ما زالوا مسيطرين على قيادة واتجاه الحركة الشيوعية في روسيا والخارج . ولم يكن ذلك مخفيا ولا بعيدا عن اعين المراقبين ، ولا مجهولا من الصحافة العالمية ، فقد طالما اشارت اليه وتحدثت عنه واستوقفتها من الثورة ظاهرتها اليهودية . وقد نشرت صحيفة «الساعة» اليارسية الاشتراكية الراديكالية عام ١٩١٧ في شهر تشرين الاول اي شهر انتصار الثورة تقول :

« لسنا اعداء للسامية ، ولكننا لا نستطيع ان نمتنع عن ابداء ملاحظة صغيرة عن تركيب مجلس السوفيات في بتروغراد وأصل الدين يتألف منهم .

ان الاسم الحقيقي لـ « ستيكوف » مصدر الامر رقم واحد للجيش الروسي وهو الامر الذي قضى على الانضباط فيه ، هو « ناهينسكس » وهو يهودي الماني .

والاسم الحقيقي لـ « تشيرنوف » وزير الزراعة السابق والخصم اللدود لكيرنسكي الآن هو فيلدمان ، وهو يهودي .

ومن الاربعة اعضاء في مجلس السوفيات الذين زاروا مؤخرا أوروبا الغربية اثنان هما : «غولنبرغ» و «اهرليش» وكلاهما يهودي الماني الاصل .

وكان الوسيط بين لينين والمانيا في ستوكهولم اليهودي الدكتور « هلفاند » وقد تستر باسم بافوس . وفي كوبنهاغن اليهودي «غرينتزكي» واسمه الحقيقي « فيرستنبرغ » (٢) .

(١) المشكلة اليهودية في الاتحاد السوفياتي . جريدة « لوموند » الفرنسية عدد رقم ١٦٢٦٦ ١٦٧٧ .

(٢) الوساطة التي انتهت بالسماح للينين بالعودة الى روسيا عبر خطوط النار ليقود الثورة ، في مقابل ان يشل المجهود الحربي القيصري ويعقد الصلح مع المانيا ويعطيها فرصة التركيز على الجبهات الاخرى مع الغرب .

١
 زوركر اسم اليهودي هو زوركر
 ليس = = = زوركر بلوم

والثلاثة الذين يتلون لينين في مجلس السوفييات هم : زينوفيف ،
 وتروتسكي ، وكامينيف ، وجميعهم من اليهود ، واسماؤهم الحقيقية هي
 بالترتيب : ابغلوبوم ، برونشتاين ، روزنفيلد .

وكانت لجنة السوفييت التي سميت لتحقيق في قضية لينين مشكلة
 من : غوتز ، هاندلمان ، لير ، دوهن ، كروشمال ، وجميعهم من اليهود .
 ونستطيع ان نضيف اليهم غور ، وميتسكوفسكي ، فكلاهما يهودي ، واسمهما
 الحقيقي هو : غولدمان وغولبرغ .

ان هذه الاسماء كافية لتكشف ان قادة السوفييت هم من اليهود
 الامان باكثرتهم العظمى .

وبالاضافة الى هذه الاسماء نستطيع ان نعد ايضا : ماشتور واسمه
 الحقيقي - اي اليهودي - زيدرلوم . سوخانوف واسمه الحقيقي هيمر .
 زيفورسكي واسمه الحقيقي كراشمان . ميشكوفسكي واسمه السابق
 هولاندر . لاران واسمه الحقيقي ليومر . يوغدانر ، سيفر . . الخ .

اما لينين فالكمل يعرف ان اسمه هو « زيدرلوم » . ولقد ادخلت
 الحكومة الموقته في روسيا ، في مجلس الشيوخ الذي هو في نفس الوقت
 مجلس الدولة ومحكمة النقض تسعة يهود دفعة واحدة (١) .

وفي اللجنة التنفيذية في مكتب السوفييت في بتروغراد يوجد ٤٣
 يهوديا .

ولقد ظل لليهود سيطرة شبه مطلقة على الثورة وقيادتها حتى وفاة
 لينين ، وبوفاته آذنت شمس اليهودية بالمغيب . فستالين الذي تقدم لقيادتها
 اتخذ صراعه على السلطة اتجاها معاداة اليهود بسبب ان اليهود زاحموه

(١) حكومة كيرنسكي الموقته التي قامت في أعقاب الثورة على القيصريّة بعد حكومة
 الأمير لفوف وكان عضوا بها ثم أطاح بها البلاشفة واستولوا على قيادة الثورة كلها. وكيرنسكي
 يهودي أيضا .

وعملوا على اقصائه بدءا من تروتسكي وانتهاء برادك ، مرورا بزينوفيف وكامينيف .. الى آخر القائمة .

لم يكن ستالين معاديا لليهود بالطبع ، فهو شيوعي أولا وقد نشأ في قلب حركة قادها وغذاها اليهود ، وانما هي طبيعة الصراع ساقته الى عداء العناصر اليهودية بحكم أنهم كانوا العناصر الأبرز والأقدر والأكفا ، والمنافسين الوحيدين له ، وقد تمكن من تصفيتهم واحدا بعد آخر . وهناك من يعتقد أن بعض أسباب تأييد ستالين لإنشاء دولة في فلسطين يعود الى رغبته في التخلص من يهود الداخل والتحرر من نفوذهم الفكري وتأثيرهم في اتجاهات الحزب .

على أنه مهما تكن أسباب التأييد - وهو ما سنناقشه فيما بعد - فقد كان موقفا منسجما مع حقائق الحركة الشيوعية وجوهرها ، وليس كما يزعم البعض منافيا لها ولا مخالفا لمبادئها . فالشيوعية مذهب يهودي أرادت به اليهودية أن تكسر أطواق الحصار من حولها وأن تفتح المجتمعات المغلقة عليها دون أن تفتح هي بالمقابل . فكان يهيا أن يلقي قيام الدولة اليهودية : إسرائيل ، تأييد الحركة اليهودية الأولى : الشيوعية ، وأن تعمل الصهيونية والشيوعية بتنسيق متقن داخل وخارج الأمم المتحدة طوال عشرين عاما ، متجاوزا كل منهما في موقفه من الآخر كل مظاهر العداء الفكري ، وكل أسباب الخلاف ، مصطنعة كانت أم حقيقية !

الشُّيُوعِيَّة - الْيَهُودِيَّة فِي بِلَادِنِ أُوْرُوْبَا الشَّرْقِيَّة

ولم تقتصر نشأة الحركة الشيوعية يهوديا على روسيا . ولا هي ظلت في اطارها الروسي المحلي . فالشيوعية اصلا هي حركة اُممية لا وطنية ومعادية للقومية . هدفها اذابة كل ما هو قومي ووطني ليندمج في حركة عالمية تقسم البشرية كلها اُمّتين : اُمة العمال وَاُمة ارباب العمل ، اُمة المستغلين وَاُمة المستغلين . من هنا كانت الشيوعية حركة مترابطة، يشدها ولاء وحيد ، وتوجهها قيادة مركزية صارمة هدفها أن تقيم الدولة العالمية بالثورة العالمية ، وأن تجمع من حول المركز الذي هو روسيا - وكان يمكن أن يكون أي بلد آخر لو نجحت الثورة فيه - كل اقوى الثورة ونشاطها . وحين تحقق هدفها البعيد يكون العالم قد انتهى الى اقامة دولة عظمى واحدة ، يقف في الذروة منه روسيا ، وفي الذروة من روسيا قيادات وعناصر ومفكرو الامة اليهودية المتفوقة !

ذلك هو الطموح ، والحلم ، والهدف .

ولو نحن دققنا في قيادات الحركات الشيوعية الاخرى خارج روسيا، لوجدناها غاصة باليهود أو يهودية الاكثرية ، أو يهودية بتمامها .

كذلك اذا نحن دققنا في الثورات الشيوعية الاخرى ، ما أخفق منها او نجح فسيروعا أن نجدها جميعا يهودية القيادة والتنظيم كما هي يهودية الفكر والمحتوى . تماما كما كان حال الثورة الشيوعية في الاتحاد السوفياتي

مما سبق ذكره واستعراض أحداثه .

ففي ألمانيا ، وبعد نجاح الثورة الشيوعية الأولى عام ١٩١٧ ، قامت ثورة شيوعية مماثلة قادتها « روزا لوكسمبورغ » اليهودية ، وكانت هذه قد شاركت وأسهمت في النشاط الشيوعي مع التنظيمات الماركسية الأولى خارج الاتحاد السوفياتي ، وضمتها معها العمل المشترك ، والموحد في بعض المراحل .

قامت الثورة الألمانية عام ١٩١٨ وكان للحزب الاشتراكي الديمقراطي الذي يقوده اليهود دور في تهيئة عوامل الثورة وأسبابها وجوها النفسي . وفي ٣ تشرين الثاني أعلنت القوات البحرية العصيان في ميناء كيبل وتلا ذلك شغب شعبي قاده الاشتراكيون وانتهى الى تنازل القيصر « غليوم الثاني » ثم اعلان قيام جمهورية اشتراكية المانية في تشرين الثاني من عام ١٩١٨ . وسارع الحزب الاشتراكي الى الموافقة على عقد هدنة مع الحلفاء ، وحتى يضمن استمراره في الحكم امر بتسريح القوات المسلحة ، وأدى هذا الى اضعاف موقف ألمانيا تجاه الحلفاء وبدلا من الهدنة انتهت الحرب بالتسليم ، مما جعل الشعب الألماني يتقم على اليهود ويرى فيهم طابورا خامسا وعناصر تخريب مستمر . وقد أفسح هذا المجال فيما بعد الى انتشار الحركة النازية وإقبال الشعب الألماني عليها وتأييدها في موقفها من اليهود انتقاما منهم لموقفهم في نهاية الحرب العالمية الأولى وما الحقوه بثورة الاشتراكيين من خراب أدى الى التسليم .

وكما حدث في روسيا حدث في ألمانيا . فسرعان ما تقدمت العناصر الأكثر تطرفا في الحركة الاشتراكية للاستيلاء على الثورة . وتحرك انصار « روزا لوكسمبورغ » اليهودية بسرعة ، وقامت عصابتها المسنعة « عصابة سبارتاكوس » في كانون الثاني من عام ١٩١٩ بثورة دامية ضد الثورة ولسوقها أكثر في اتجاه التطرف ، غير انها قمعت ثم أعدمت « روزا لوكسمبورغ » .

وقد أوفدت الاممية الشيوعية « كارل راندك » لقيادة الحزب الشيوعي الألماني في اعقاب فشل روزا لوكسمبورغ ، ثم تبعته « روث فيشر » وكلاهما يهودي .

في نفس المرحلة التي قام بها الاشتراكيون الديمقراطيون بقيادة العناصر اليهودية وتخطيطها بثورتهم في ألمانيا ، قام يهودي شيوعي آخر هو « بيلاكون » بثورة مماثلة في هنغاريا . وكان هذا عام ١٩١٩ . وقد أعقب الثورة مجازر مرعبة ذهب ضحيتها عشرات آلاف المواطنين من تجار وملاكين وأصحاب حرف وضباط عسكريين وكهنة وأطباء ومحامين .. الخ .

وكان « بيلاكون » هذا قد اشترك في ثورة روسيا ، ومنها اتجه بعد نجاحها الى المجر بجواز سفر مزور ، واستطاع في فترة قصيرة أن يقلب نظام الحكم ويصبح دكتاتورها الاحمر . وقد عمد كما فعلت كل ثورة شيوعية الى مصادرة الاملاك الخاصة بالقوة وبلا استثناء . وأقام في بداية حكمه جبهة مشتركة مع الديمقراطيين الاشتراكيين غير أنه ما لبث أن استنفدهم وانفرد بالسلطة وأتم المصارف وكل المصالح التي يزيد ما تستخدم على مائتي موظف ، وما يزيد على ألف فدان من الارض ، وكل الابنية ، وأباح الحمامات الخاصة للعامة كل يوم سبت وحدد الالبسة الشخصية ببلتتين وزوجي احذية واربعة اجربة واربعة قمصان ، وصادر الحلى والجواهر وعزل نخبة المجتمع مدنيا وسياسيا . وكان الحصاد مجاعة عامة انتهت الى اسقاط « بيلاكون » فعاد الى روسيا ليتسلم فيها ادارة منظمة الارهاب في الجنوب منها .

وفي بلدان اوروبا الشرقية الاخرى لم يكن اليهود اقل نفوذا او ارتباطا بالحركة الشيوعية .

ففي رومانيا كانت سكرتيرة الحزب اليهودية « انا باوكر » وقد ولدت في بوخارست لابوين يهوديين ثم هاجر والدها - وكان جزارا - مع أحد أخوتها الى اسرائيل واستوطنها . عاشت ردحا من الزمن في أمريكا ، ثم استطاعت أن تبلغ ذروة السلطة في الحزب الشيوعي الذي تسلم الحكم في اعقاب الحرب العالمية الثانية من الجيش الاحمر .

وفي بولونيا ظل يحكمها الى فترة غير بعيدة اربعة يهود وهم : مينك ، وسكريزفسكي ، ومودزليفسكي ، وبرمان . والاخير كان يعيش في روسيا ثم اختارته موسكو ليكون حاكم بولونيا الخفي بعد الحرب .

وفي المجر - بعد الحرب الثانية - ظل يحكمها طويلا الثلاثي اليهودي
ماتياس راكوزي ، وايرنو جيرو ، وزولطان فاس . وقد جاء الحزب الشيوعي
الى السلطة كما جاء في بلدان اوربا الشرقية الاخرى بحراب الجيش الاحمر .

وفي تشيكوسلوفاكيا استطاع اليهودي « سلانسكي » ان يفرض عليها
ديكتاتورية حمراء اخرى . ثم شملته حملة تطهير ولكن الذين حاكموه كانوا
ايضا من اليهود : ستيفان رايتز وغيره . وظلت تشيكوسلوفاكيا حتى اليوم
تحت سلطة اليهود الشيوعيين . وقد تمكن هؤلاء من تنظيم مساعدة اسرائيل
عام ١٩٤٨ عسكريا ويشريا وامدوها بالكثير من اسباب القوة . ثم صاروا
يمدونها بعد ذلك بكل انباء صفقات التسليح الشيوعي الى البلدان العربية ،
ومواقع جيوشها وكفاءتها وتنظيماتها ، وكل ما اتصل باسرارها العسكرية .
والى جهود هؤلاء بالاضافة الى العوامل الاخرى - يعود الفضل فيما حققت
اسرائيل من نصر عسكري خاطف عام ١٩٥٦ ، ثم عام ١٩٦٧ !!

ومن العجيب حين نبحث عن اصول وزراء المعارف في جميع بلدان
اوربا الشرقية اليوم ، ان نجدهم يهودا وبغير استثناء . ويرجع حرص اليهود
على هذه الوزارة بالذات الى حرصهم على توجيه النشء وصياغة افكاره
وعقله وفق مخططهم السري : الشيوعي مرة ، والصهيوني مرة ، وهو في
الحالين واحد !

عَنِ الصَّهْيُونِيَّةِ ... وَسِيَاسَةِ الْعَزَلِ ؟

راينا فيما سبق كيف ان اليهود هم الذين ابتكروا الشيوعية اولا ، ثم امدوها فكريا وعناصر قيادية وشجعوها بالمال ووفروا لها داخل روسيا وخارجها كل اسباب الانتصار، حتى حققت اول نجاحها فدمرت الامبراطورية الروسية القديمة واقامت مكانها امبراطوريتها الجديدة ، تلك التي يستطيع في ظلها ان يامن اليهود وان يحققوا احلام الفوز ومطامع السلطة .

على ان اغتيال اسكندر الثاني وما اعقبه من ردود الفعل اليهودي والروسي معا - وهو الذي اوجد المناخ الملائم لنشاط الحركة الشيوعية فيما بعد - قد شجع بعض اليهود على الخروج من روسيا هربا وخوفا ، ولم يسمح لهم بان يستوطنوا بولندا فاتجه بعضهم الى افريقيا ، وبعضهم الى اوربا الغربية ، وبعضهم الى فلسطين . وقدّر عدد الذين هاجروا الى فلسطين من هؤلاء بثلاثة آلاف يهودي .

وكانت اولى بوادر الحركة الصهيونية انشاء مستعمرة قرب يافا عام ١٨٨٢ باسم Richion le zion ، وفي نفس العام انشئت في روسيا حركة حب صهيون باسم Chibba Thzion ، ونظم اتباعها انفسهم في جمعيات عرفت باسم « احباء صهيون » واستطاع هؤلاء ان يحصلوا على اعتراف رسمي بهم عام ١٨٩٠ باسم جمعية دعم الزراعيين والحرفيين اليهود في فلسطين وسورية . غير ان هذه الحركة الصهيونية الوليدة لم يتم لها ان

تنتشر ولا أن تكون ذات أثر فعال في حياة اليهود بالرغم من كل جهود المفكرين منهم ، وعلى الاخص « ليوبينسكي » (١٨٢١ - ١٨٩١) الذي قدم في كتاب « التحرر الذاتي » تصورا لحل المشكلة اليهودية أساسه أن يتجمعوا كأمة في فلسطين أو غيرها . وأكد « ليوبينسكي » على ضرورة وأهمية المبادرة اليهودية في حل مشكلتهم ، وقال « أن اللاسامية ستظل ما دمنا لا نملك وطننا قومية خاصا . وأن التحرر الحقيقي يكمن في خلق قومية يهودية للشعب اليهودي بحيث يعيش على أرض واحدة محددة » .

لم تلاق الدعوة رواجها المطلوب وكان عليها أن تنتظر سنوات أخرى حتى عام ١٨٩٦ حيث وافتها قيادة مدربة وخبيرة وذات قدرة خارقة على العمل وكسب الانتصار للهدف اليهودي . هذه القيادة هي « (تيودور هرتزل) » اليهودي المجري ، الذي تلقى دراسته في فيينا وتعلم على أفكار « موسى هيس » معلم ماركس ، وبسطها .

تيودور هرتزل - ١٨٦٠ - ١٩٠٤

كان هرتزل حقوقيا ، إلا أنه عمل في الصحافة مراسلا في باريس لصحيفة : Neue Freie Presse التي تصدر في فيينا . وقد أثارته موجة اللاسامية التي اجتاحت أوروبا ، وبخاصة فرنسا في أعقاب قضية دريفوس عام ١٨٩٤ ، فوضع دراسة بعنوان « الدولة اليهودية » استقى فكرتها الأولى وعنوانها وخطوطها العامة من « هيس » ودعا فيها إلى أن تساعد بريطانيا على استعمار يهودي للأرجنتين أو فلسطين . وقد نشر دراسته هذه عام ١٨٩٦ ، فأثارت اهتماما واسعا ، معها وضدها ، إلا أن معظم الرأي العام اليهودي انجذب إليها . وفي آب من عام ١٨٩٧ استطاع هرتزل أن يجمع في مدينة « بال » بسويسرا أول مؤتمر صهيوني حدد فيه رسالته ببرنامج ذي ثلاثة أهداف :

- ١ - استعمار يهودي لفلسطين منظم وعلى نطاق واسع .
- ٢ - الحصول على حق شرعي معترف به دوليا لهذا الاستعمار .

٣ - انشاء منظمة دائمة توحد جميع اليهود من اجل هذا الهدف .

وفي نهاية مؤتمر « بال » سجل هرتزل في مذكراته (١) ملخص ما انتهى اليه المؤتمر قال :

« لو أردت ان اختصر مؤتمر « بال » في كلمة واحدة ، ولن افعل هذا صراحة ، لقلت : لقد اسس مؤتمر « بال » الدولة الصهيونية . ولو قلت ذلك اليوم لقابلي العالم بالضحك والسخرية . ولكن بعد خمس سنوات احتمالا ، وبعد خمسين سنة تأكيدا سيرى الناس جميعا هذه الدولة . »

ومن غرائب المصادفات ان تقوم الدولة اليهودية بعد خمسين عاما من نبوءة هرتزل ، وان تحقق الحركة الصهيونية اهدافها في الموعد الذي حدده لها منشئها بغير تقديم ولا تأخير !

لم تكن الحركة الصهيونية حركة دينية تماما . ولئن بدا منها ذلك في الظاهر فهو خطأ محض مرده الى انها حاولت وما تزال تحريك موضوع « الوطن القومي » مستندة الى العواطف الدينية ودون ان تتجمد عندها . والاصح ان يقال ان الحركة الصهيونية هي حركة علمانية أولا ، ودينية ثانيا . هي حركة علمانية لان منطلقها كان حل مشكلة « اللاسامية » بايجاد الوطن القومي . وهي حركة دينية لانها افادت من الشعور الديني وأذنته لخدمة الهدف القومي . فالصهيونية مزيج غير واضح المعالم من العلمانية والدين . وقد يبدو منها هذا الوجه أو ذلك بحسب المرحلة التي تجتازها وضرورات العمل . بل لقد يبدو منها هنا وجه ديني وهناك وجه علماني في وقت واحد!

ويعتقد الدكتور « آل تايلر » واضع كتاب « تاريخ الحركة الصهيونية » ان اهتمام هرتزل كان يكمن في حل مشكلة اللاسامية وليس في تحقيق النبوءات التقليدية لليهود . فالصهيونية السياسية في مراحلها المبكرة كانت اذن حركة علمانية جوهريا . وقد بقيت لها هذه الصفة العلمانية دائما ، ولم تقم فكرة العودة الى فلسطين الا لجاذبيتها العاطفية . غير ان هذا لا يغير

(١) مذكرات هرتزل - ج ٢ . وتاريخ الصهيونية المختصر .

من حقيقة كون الصهيونية السياسية حركة عقلية لا مذهبية ، فقد بحث
عن حل محدد لقضية محددة وليس عن تمجيد لمثال ديني عنصري (١) .

ويستدل الدكتور تايلر على صواب نظريته بكتاب هرتزل : « الدولة
الصهيونية » الذي نشره عام ١٨٩٦ . فقد دعا هرتزل في كتابه الى استعمار
يهودي للأرجنتين أو فلسطين بدعمه بريطانيا ، والنظر فيما يترتب على ذلك
من خلق دولة قومية يهودية ذات سيادة . وكان مجرد اقتراح الأرجنتين
دليلا على ان الصهيونية بدأت حركة عقلية لا مذهبية . وعلمانية لا دينية .
وفي هذه النقطة غير الرؤية تماما للنظرة العابرة يجد المدقق الالتقاء واضحا
بين الشيوعية والصهيونية . فكلاهما لا ديني !

بانتهاؤ مؤتمر « بال » كانت الصهيونية قد انتظمت في عمل وهدف .
وقد انتخبت « هرتزل » رئيسا لها ، وبدأت عملها .

اتجه هرتزل أولا الى القيصر الالماني « ولهم الثاني » فعرض عليه
فكرة الوطن القومي في فلسطين وحاجة اليهود الى الاعتراف بحق شرعي
لهم في استعمارها . غير ان القيصر الالماني رفض العرض . ثم اتجه هرتزل
الى السلطان العثماني عام ١٩٠١ فعرض عليه تنظيم مالية الباب العالي
وتطوير المصادر الطبيعية للدولة العثمانية وتسديد ديونها في مقابل استعمار
فلسطين . فرد السلطان العثماني هذا العرض واعتبره رشوة ثم اصدر
امرا بمنع الهجرة الجماعية الى فلسطين . وقد دفع السلطان العثماني فيما
بعد ثمن هذا الرفض في انهيار امبراطوريته . ولم يتنصل اليهود من
مسئوليتهم في ذلك ، بل كان احدهم « قراصو » ثالث ثلاثة ابلغوا السلطان
عبد الحميد قرار الخلع ! وقد وجه السلطان العثماني كلامه الى الصدر
الاعظم ، وكان احد الذين ابلغوه القرار ، قائلا : أفهم أن يخلصني المسلمون
وتبلغني أنت قرار الخلع بحكم مركز الديني . ولكن ماذا يفعل معكم هذا
اليهودي ؟ وأشار السلطان الى « قراصو » !

وقد سبق خلع السلطان عبد الحميد جهد منسق طويل بين الحركتين

الشيوعية والصهيونية ، عملتا فيه على اسقاط الدولة العثمانية ، وشجعتا الحركتين : القومية التركية ، والانفصالية العربية المبرر عنها بالقومية العربية . فلما سقطت الدولة العثمانية وجاء الانتداب الانكليزي في اعقاب ذلك على فلسطين حقق اليهود اول حلمهم في استيطان فلسطين وخطوا خطوة واسعة في اتجاه هدفهم البعيد . ولم يكن وعد بلفور سوى بداية النصر .

ولقد يبدو غريبا هنا أن نرى الحركتين: القومية والليبرالية، قد ارتبطتا بشكل غير مباشر بالحركتين الشيوعية والصهيونية وأن مناخ هذه الحركات ظل واحداً وأن اختلف قدر الاسهام اليهودي بين حركة وحركة وتأثيره فيها.

ومما يكشف لنا هذه الحقيقة ما ورد على لسان اللورد « بيرسي » وأعيد نشره بموافقة اليهود في الصحيفة الكندية « جويش كرونكل » وهي الصحيفة المعبرة عن افكارهم . قال :

« قامت الليبرالية والقومية مصحوبتين بدق الطبول ، بفتح ابواب المعازل - الغيتو - اليهودية ، وعرضتا حقوق الرعوية المتكافئة على اليهود. وعبر اليهود الى العالم الغربي وشهدوا لنا فيهم سلطان ومجد، واستخدموه، وتمتعوا بالحياة فيه ، ووضعوا ايديهم على المراكز العصبية لحضارته ، فوجهوها وارشدوها واستقلوها ، ثم ارفضوا المرض الذي تلقوه - يقصد عرض الاستيعاب - يضاف الى هذا ، وهو امر مهم كل الاهمية ، ان اوربا القومية والليبرالية، واوربا الحكم العلمي والمساواة الديمقراطية هي بالنسبة اليه - اليهودي - امر لا يطاق ، ويزيد في حقيقته على الاضطهاد القديم والطفان ! » .

« ففي عالم السیادات الاقليمية الكاملة التنظيم ، ليس لليهودي الا سيبلان للخلاص والامان : فاما أن يهدم دعائم نظام الدولة القومية كلها (1) ، او يخلق لنفسه سيادة اقليمية خاصة به (2) ويقوم في هذين الاتجاهين

(1) الشيوعية .

(2) الصهيونية .

التفسير الصحيح للبلشفية اليهودية والصهيونية، وما زال اليهود الشرقيون مترددين بين الفكرتين . ويبدو ان البلشفية والصهيونية تنموان في اوربا الشرقية جنبا الى جنب تماما كما قام النفوذ اليهودي بصياغة الفكر الجمهوري والاشتراكي طيلة القرن التاسع عشر الى ان وصل الى ثورة تركيا الفتاة في القسطنطينية قبل نحو من حقبة من الزمن، لا لان اليهودي يكثر بالناحية الايجابية من الفلسفة الراديكالية، ولا لانه يرغب في ان يكون مسهما في قومية الاغيار او ديمقراطيتهم ، بل لانه يعتبر ان اي نظام للحكم قائم عند الاغيار غير مستساغ بالنسبة اليه (٣) . «

(٣) اليهودي المالي . فورد .

النشاط الصهيوني في انكلترا

ورعد بلفور...

ولقد عملت الصهيونية بتنظيم وداب كبيرين منذ اتجه هرتزل نحو انكلترا لتحقيق حلمه في مطلع القرن العشرين وحتى نهاية الحرب العالمية الاولى . وقد اتم رسالة هرتزل من بعده **حاييم وايزمن** اول رئيس فيما بعد لاسرائيل ، وقائد المنظمة الصهيونية وهو عالم كيميائي يهودي روسي .

لم تلبس الصهيونية لبا لاقت من فشل اول امرها . كانت تدرك اهمية الاعتراف العالمي بها . وقد عبر وايزمن عن هذا بقوله : « ان الصهيونية السياسية تعني جعل المسألة اليهودية عالمية . » وفي سبيل هذا الهدف استوطن وايزمن انكلترا وانضم اليه بعض العناصر الصهيونية القيادية . وربما واتته ظروف الحرب العالمية الاولى بسبب ما قيل من انه ابتكر مادة متفجرة وضعها بتصرف الحلفاء ، على كسب وعد بلفور وزير الخارجية البريطاني ، وهو الوعد الذي صدر في ٢ تشرين الثاني عام ١٩١٧ من بلفور الى اللورد روتشيلد احد زعماء اللجنة الصهيونية وجاء فيه :

« بالنيابة عن حكومة جلالة الملك ، يسرني جدا ان ابلفكم بان حكومة جلالتنا تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، مع البيان الجلي بان لا يفعل شيء يضر الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة حاليا في فلسطين ولا الحقوق والمركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الاخرى . »

ذلك كان نص وعد بلفور .

وتتفق المصادر التاريخية على التأكيد بأن هذا الوعد كان مجرد صفقة تجارية بين أنكلترا وبين اليهود تم بموجبها وضع الجهود اليهودية عالميا في خدمة الحرب الى جانب أنكلترا وكان من نتائجها دخول امريكا الحرب بعد ان احجمت عنها طويلا ، وفي مقابل ذلك تدفع أنكلترا لليهود فلسطين ثمن هذا الجهد !!

ويروي الدكتور « تايلر » مؤرخ الحركة الصهيونية ان رسميا بريطانيا صديقا لوايزمن قد أوجز في كلمات قصيرة قصة التخطيط الصهيوني للحصول على وعد بلفور ، قال :

« ان من افضل الامثلة للدبلوماسية الناجحة هي تلك التي اوجد بها الدكتور حايم وايزمن الوطن القومي اليهودي . فقد كان العبء الذي كرس له وايزمن نفسه في نقل مركز الصهيونية الى لندن والحصول على عون بريطاني في فلسطين أصعب من عبء اي سياسي آخر من سياسيي الدول الصغرى . فقد أخبرني مرة انه قام بالفي مقابلة - ٢٠٠٠ - للوصول الى تصريح بلفور . وقد كيف نقاشه بحذق لا يخطئ بحسب الحالة الخاصة لكي سياسي . ففيها يتعلق بالبريطانيين والامريكيين استعمل اللغة الانجليزية وايقظ فيهم صوتا عاطفيا عميقا . وتحدث الى غيرهم بلغة المصالح . فقد أخبر السيد لويد جورج ان فلسطين بلد جبلي غير بعيد الشبه عن ويلز . ومع اللورد بلفور استعرض الاساس الفلسفي للصهيونية . ومع اللورد سيسيل طرحت القضية بشكل منظمة عالمية جديدة . بينما صور اللورد « ملنر » وبشكل حيوي توسيع القوة الاستعمارية . اما بالنسبة لي واقد عنيت بهذه الامور كضابط صغير في الاركان العامة فقد جاءني من مصادر كثيرة بجميع الادلة التي يمكن الحصول عليها عن اهمية الوطن القومي اليهودي للمركز بريطانيا الاستراتيجي . ونوّه دائما بمئة نفمة من صوته عن اعتقاده في انني سأفهم أكثر من رؤسائي المسائل الأكثر دقة وغموضا . بيد ان هذا العرض الحاذق للحقائق ما كان ليصبح مجددا لو لم يقنع كل من اتصل به باستقامة سلوكه . »

بوعد بلفور تحقق للصهيونية أحد أهدافها الثلاثة . وقد انصرفت فور الوعد الى كسب تأييد الدول الأخرى لهذا الهدف ، فلم يمض عام ١٩١٨ حتى كانت قد حصلت على تأييد كل من فرنسا وأمريكا وإيطاليا واليابان لوعد بلفور .

وبذلت الصهيونية جهدها في مؤتمر الصلح الذي أعقب الحرب العالمية الأولى ، والمنعقد في كانون الثاني ١٩١٩ في باريس ، لتحديد صيغة التنفيذ، وأسلوبه . وأصررت الصهيونية على أن يتضمن صك الانتداب البريطاني على فلسطين تصريح بلفور ، وأن يكون هدف الانتداب إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين يتطور الى كومنولث مستقل ، يشمل كل فلسطين وليس جزءا منها .

وقد نجحت الصهيونية في جعل صك معاهدة سيفر بين تركيا وانكلترا بنطوي على تصريح بلفور ، كذلك نجحت في تضمين التصريح صك الانتداب، ومنح اليهود حق إنشاء مؤسسات ذات حكم ذاتي والتزمت السلطة البريطانية بتسهيل الهجرة اليهودية وسنت القوانين لإنشاء وكالة يهودية تساعد الإدارة .

ولقد حاولت السياسة البريطانية نتيجة رد الفعل العربي ومخاوفها ان تراجع قليلا فأصدر تشرشل كتابه الأبيض عام ١٩٢٢ وضمنه بعض النقاط التي اعتبرتها الصهيونية كنسمة موقوتة لها ، لتحديد الهجرة بمبدأ القدرة الاقتصادية على الاستيعاب ، غير أن « وايزمن » المؤمن بسياسة تحقيق الهدف على مراحل لم يفرغه هذا التراجع بل ظل مؤمنا بأن كل ما لا يمس مبدأ الوطن القومي والهجرة ، يظل في خدمة الهدف الصهيوني مهما بدا ، شكلا ، غير مقبول وضعيفا من وجهة النظر الصهيونية .

وقد انصرف وايزمن وقيادة الحركة الصهيونية فيما بعد الى تركيز عناصر الإدارة البريطانية في فلسطين بجعلها عناصر مزدوجة : انكليزية يهودية ، وحقق في هذا نجاحا بعيدا فكان المندوب السامي البريطاني « هريت صموئيل » مرشح الصهيونية ، كما جاء الكولونيل فردكيش زعيم الهيئة التنفيذية الفلسطينية باقتراح وايزمن نفسه لأنه كان يهوديا لاب شرقي ، وسبق له أن انتمى الى منظمة « شوفيي زبون » الصهيونية .

ثم ركزت الصهيونية على تحقيق هدفها الثاني وهو استعمار فلسطين فانشأت صندوقا مركزيا لشراء الاراضي ، ونظمت احتلال فلسطين بالتدريج ووفقا لبرنامج التملك والهجرة المترابط . **والى جانب هذا ، كانت تجهد لتكسب ولاء وثقة جميع اليهود** وهو واحد من اهداف هرتزل الثلاثة وبرنامجه المحدد لاقامة الوطن القومي .

واستمر النشاط الصهيوني ما بين بداية الانتداب وحتى عام ١٩٣٩ أي في فترتي العشرينات والثلاثينات يعمل في الاتجاهات التي رسمها مؤتمر « بال » :

١ - كسب التأييد الدولي .

٢ - تنظيم الهجرة الى فلسطين وضبطها .

٣ - كسب ثقة اليهود وجعل أهداف الحركة الصهيونية تعبيرا عن المسالة اليهودية ، وحلها الوحيد .

وقد حققت الصهيونية من اهدافها هذه معظمها ، الا انها اصيبت بنكسة خطيرة عام ١٩٣٩ حين اصدر « مكدونالد » كتابه الابيض ، فلم يأخذ بوجهة النظر الصهيونية وغدت بريطانيا اميل الى اتخاذ موقف مستقل من القضية الفلسطينية ليس صهيونيا ولا عربيا ، وانما هو بين بين ، او هو تعبير اوضح موقف بريطاني اولا يضع مصالحه قبل كل شيء . وقد ادى هذا الى أن تبدل الصهيونية خطتها السياسية ، فبعد أن كانت حريصة على الانتداب اتجهت الى مقاومته والمطالبة بانهاؤه . وساعدها على اتخاذ موقفها المتشدد ثم اتباع سياسة الارهاب في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، أن الانتداب البريطاني نفسه قد افسح المجال لهجرة يهودية واسعة زادت في عدد اليهود وفي قدرتهم الداخلية على اتخاذ المواقف وفرضها .

وفي ايار من عام ١٩٤٢ انعقد المؤتمر الصهيوني الاستثنائي في فندق « بلمور » بنيويورك ، وانتهى الى برنامج يعرف باسم برنامج « بلمور » وفيه قررت الصهيونية أن الغرض من تصريح بلفور ثم من الانتداب البريطاني على فلسطين كان ايجاد حكومة يهودية فيها وليس مجرد ارتباط الشعب

اليهودي بفلسطين . وهاجم المؤتمر اتجاه الكتاب الابيض وأكد على أن تسوية ما بعد الحرب يجب أن تتضمن حل المسألة اليهودية - التشرّد - وأعطى الوكالة اليهودية حق التحكم في الهجرة ، وفي النهاية أعلن أن اتجاه الأحداث يجب أن ينجم عنه إقامة دولة يهودية في كل فلسطين .

وقد أدت سياسة الكتاب الابيض البريطاني لعام ١٩٣٩ ، إلى تحول الحركة الصهيونية عن انكسار إلى أمريكا . وفي سنوات الحرب الثانية استطاعت الصهيونية أن تركز نشاطها فيها، وأن تجعل منها قاعدة انطلاقها وعملها ، وقوتها الضاغطة في أكبر مركز من مراكز القوة شهدته التطور الانساني منذ بداية التاريخ .

هدفان للصهيونية :

بناء علاقاتها وتخريب العلاقات العربية !

ولقد ادى تخلي بريطانيا عن تأييدها المطلق وغير المحدود للسياسة الصهيونية في فلسطين عام ١٩٣٩ ، ومحاولتها فرملة هذه السياسة جزئيا بما يعيد التوازن الى سياستها، ادى الى عملية مراجعة خطيرة في السياسة الصهيونية ، انتهت فيها الى اقرار خطة عمل واسعة وجريئة حددت لنفسها هدفين كبيرين ، تتفرع عنهما اهداف متممة :

١ - بناء علاقات اوثق بالغرب ، وبخاصة أمريكا مصدر القوة المقبلة ومركز التطور الذي سيتاح له في نهاية الحرب أن يقف في ذروة العالم .

٢ - تخريب العلاقات العربية العربية ، بما يجعل الصهيونية ودولتها المقبلة أمل الغرب الوحيد في حماية مصالحه وحراسة مواقع الشرق الاستراتيجية !

ويتفرع عن الهدف الثاني اهداف ثانوية اخرى متممة . فما دام العرب هم القوة المقاتلة التي قد يضطر الغرب الى رعاية وجودها وحققها وقد يضعف هذا من قدرة الصهيونية على كسب الغرب وجنبيه الى حقها ، فلا بد من اضعاف العرب وتقطيع صلات بعضهم ببعض ، ثم تقطيع صلاتهم بالقوى التاريخية التي تقف الى صفهم وبخاصة في موضوع فلسطين ، هذه القوى هي العالم الاسلامي الذي تربطه الى العرب روابط العقيدة وله في

فلسطين والقدس ما يدافع عنه ويلتقي فيه مع البلدان العربية كلها في موقف مشترك .

واذا كان يصعب لندرة المعلومات حول هذا الموضوع بسبب صمت الجانب الصهيوني واخفائه أساليبه وفكره السريين - تقديم دراسة وثائقية مفصلة عن هذه السياسة ، فان من المفيد ان نرصد أحداثا معينة هي اقرب الى البرهان الثابت ، وادل على ما تهدف اليه الصهيونية من كل دليل آخر .

هذه الاحداث هي :

١ - مقتل اللورد موين في مصر .

٢ - قضية لافون .

٣ - قضية كوهين .

٤ - زيارة الملك فيصل الى امريكا .

وعلى بعد ما بين هذه الاحداث ظاهرا ، فانها جميعا تلتقي في نقاط مشتركة ويوجهها لتحقيق الغرض الصهيوني عقل مدرب خبير .

مقتل اللورد موين ؟

في عام ١٩٤٤ فوجيء الرأي العام العربي والدولي بمصرع اللورد «موين» المندوب السامي البريطاني في مصر ، وكان بدهيا ان تتأزم العلاقات المصرية - البريطانية ، وتتجه نحو صدام جديد ، لولا ان قوى الامن استطاعت بسرعة ان تقبض على القتلة وكانا يهوديين وهما : الياهو بنزوري ، والياهو حكيم . وقد اعترفا في التحقيق انهما معا ينتميان الى عصابة شتيرن الارهابية في فلسطين ، وانهما صرعا اللورد البريطاني احتجاجا على موقف بريطانيا من القضية الفلسطينية وللفت نظر العالم الى هذا الموقف . ثم ، لتأزيم العلاقات المصرية البريطانية !

ورفض القاتلان أن يبوحا بأسماء زملائهما من بقية أفراد العصابة وقد حكما بالإعدام ونفذ فيهما فعلا .

ليس المهم هنا زعمه قاتلا اللورد موين سوى نقطة صغيرة مرا بها بسرعة في التحقيق الاولي ، فقد اعترفا بأن الهدف كان تازيم العلاقات المصرية - البريطانية . لماذا ؟

لم يحاول التحقيق يومها أن يتوسع كثيرا في هذه النقطة ، ولا أن يسلط عليها الضوء الكافي لرؤية ما وراءها . على أننا اليوم ونحن نستعرض تاريخ الحركة الصهيونية ومواقفها وسياساتها وخطتها ، نكتشف أن تازيم العلاقات المصرية البريطانية في مقتل اللورد موين كان يهدف الى اصطناع جو خاص في داخل انكلترا للضغط على حكومتها في اتجاه دعم السياسة الصهيونية ومطالبها في فلسطين .

ومن البداية أن مصرع اللورد موين كان سيؤدي الى اصطناع مثل هذا الجو - لولا أن التي القبض على القتل وعرف العالم أنهما يهوديان وليسا وطنيين مصريين - وسيساعد الصهيونية على الضغط وإيهام الرأي العام البريطاني والحكومة البريطانية بأن اليهود وحدهم يمكن الاعتماد عليهم في فلسطين وأن السبيل الوحيد المؤدي الى حفظ المصالح البريطانية في المنطقة العربية هو تأييد المطالب الصهيونية وفتح باب الهجرة ، والعودة عن سياسة التوازن وامساك العصا الفلسطينية من وسطها .

ولقد اختارت الصهيونية مصر بالذات ، لان مصر اكبر بلد عربي ، ولان المصالح البريطانية في قناة السويس كانت مركز الثقل في سياستها الشرق - اوسطية ومحور اهتمامها الدائم . ولقد سبق للدكتور « حاييم وايزمان » رئيس المنظمة الصهيونية بعد هرتزل ، وأول رئيس لاسرائيل بعد قيامها ، أن طرح القضية الصهيونية في لندن من خلال المحافظة على قناة السويس . ثم ما هي ذي الصهيونية تقتال اللورد موين لتمنع أي اتفاق بين مصر وبريطانيا ، لا سيما وان مثل هذا الاتفاق كان ممكنا بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية ومشاركة مصر في موقف مؤيد للحلفاء ضد النازية .

قضية لافون

ومن مصرع اللورد موين ، ننتقل الى حادث آخر ذي هدف مماثل بعد عشر سنوات ، وفي مصر نفسها ايضا . هذا الحادث هو ما يعرف باسم « قضية لافون » .

ما هي قضية لافون هذه ؟

ليس يعرف الراي العام خارج اسرائيل - ولا داخلها - سوى النذر اليسير عن هذه القضية . و « لافون » هو وزير الدفاع السابق في حكومة « موسى شاريت » عام ١٩٥٤ . وهو السكرتير العام السابق « للهستدروت » . وكل ما انكشف من اسرار القضية هو أن المخابرات الاسرائيلية نظمت في ذلك العام سلسلة من أعمال التخريب تتناول مكاتب السفارتين الامريكية والبريطانية في القاهرة والاسكندرية ، وجعلها تبدو وكأنها من فعل الوطنيين المصريين . وكان الهدف هو الايقاع ما بين مصر وامريكا ، ومصر وانكلترا ، بحيث تتخذان مواقف معادية من الحكم المصري الجديد بعد ثورة ٢٣ تموز .

وكان ما دفع المخابرات الاسرائيلية الى تنظيم هذه العملية هو ما تسرب الى الصهيونية عن دور مخابرات امريكا وانكلترا في تقويض حكم الملك فاروق . وقد أدى هذا الى نجاح مفاوضات الجلاء عن مصر ، مما أشعر السلطات الاسرائيلية بالخطر فتحركت بسرعة لتنسف جسور العلاقات المصرية - الامريكية ، والمصرية - الانكليزية ، ونظمت ما أسمته الصحافة الاسرائيلية فيما بعد « قضية لافون » . و « الحادث المخزي » . و « حادث الامن » . و « النسخة الاسرائيلية لقضية دريفوس » .

وقد اكتشفت العملية من قبل أن تتم جميعا في مصر ، وألقت سلطات الامن القبض على ثلاثة عشر يهوديا ، اعدم منهم اثنان وانتحر ثالث هو ضابط في المخابرات الاسرائيلية وحكم على الباقيين العشرة بالسجن ، ثم توسط

للافراج عنهم النائب العمالي المستر « لاورياخ » وحمل للرئيس عبد الناصر رسالة خاصة من المستر « تشرشل » . ومما يذكر ان الجاسوس الاسرائيلي كوهين الذي اعدم بعد اثنتي عشرة سنة في دمشق كان فيمن القى عليهم القبض في هذه القضية بمصر ثم اطلق سراحه !!

كان لاكتشاف المؤامرة اثر بعيد في اسرائيل ، فقد اضطر لافون الى تقديم استقالته متهما بن غوريون بأنه وراء العملية وأن الذي أمر بتنفيذها كان « الضابط الكبير » الذي تبين أنه « حايم لاسكوف » رئيس الاركان العامة للجيش الاسرائيلي فيما بعد .

بدأت خيوط المؤامرة تتجمع في اذهان المسؤولين الاسرائيليين في اعقاب نجاح المفاوضات المصرية - الانكليزية للجلاء عن مصر ، وازدياد قوة التيار الامريكي البريطاني المؤيد لتوثيق صلات الغرب بهذا البلد العربي الكبير . وقد خشيت الصهيونية من أن تؤدي هذه العلاقة الوثقى بين مصر والغرب ، الى التأثير فيما تتلقاه اسرائيل من اسباب الدعم والقوة .

وفي تموز من عام ١٩٥٤ ، كان « لاسكوف » الضابط الكبير يتحدث الى لافون وزير الدفاع عن جلاء بريطانيا عن قناة السويس وحرية الملاحة . وكان من رأي « لاسكوف » ان اجلاء بريطانيا عن قناة السويس سيؤدي بالحثم الى تغيير حاسم في وضع المنطقة ، وسيكون لهذا التغيير اثره في مستقبل اسرائيل وسيمس أمنها وكيانها اذا لم يتضمن الاتفاق ضمانا صريحا لسلامتها . ثم انتهى لاسكوف ولافون الى ضرورة تأخير عملية انسحاب بريطانيا وتأخير مفاوضات الجلاء ، والى ضرورة نفس العلاقات المصرية الامريكية والمصرية الانكليزية بنسف مكاتب السفارتين الامريكية والبريطانية في القاهرة والاسكندرية . وانتهى تقديرهما المشترك الى أن امن اسرائيل وسلامتها مرتبطان الى حد كبير ببقاء الغرب بعيدا عن العالم العربي ، وتخریب كل علاقة له به . اذ يجب من أجل مستقبل اسرائيل أن تكون للغرب هيمنة ولامريكا بخاصة « عين واحدة لا عينان ، واذن واحدة لا اذنان » يجب مهما كان الثمن أن تظل اسرائيل أمل الغرب وأن يقطع كل صلة له أو أمل بالعالم العربي !

وفي النصف الثاني من شهر تموز عام ١٩٥٤ صدرت الاوامر بتنفيذ العملية . اي بنسف السفارات، اي بتخريب العلاقات المصرية - الامريكية، والمصرية - البريطانية !!

وبفشل الخطة وانكشافها تنصل منها الكل ، واضطرت اسرائيل لتحفظ صلاتها بأمريكا وانكلترا ان تلصقها بلافون وحده ، فاستقال ، وتبعته حكومة شاريت ، وجاء على انتقاضه بن غوريون . .

ولقد أدى هذا الحادث فيما بعد الى انشقاق الحزب الحاكم في اسرائيل ، وظلت السلطات الاسرائيلية برغم كل شيء تضرب حول تفاصيله وجزئياته ستارا من الصمت الثقيل ، واعتبرت القضية برمتها « مسألة أمن محرمة » ، ومنعت الصحافة من الخوض بها أو الحديث عنها ، وادت فيما ادت الى استقالة بن غوريون وانشقاقه عن حزب « الماباي » الحاكم واخز عام ١٩٦٤ ، والى صعود أشكول مكانه . كذلك ادت الى استقالة « لاسكوف » من قبل ، وببدلت في شكل وعلاقة القيادات السياسية والعسكرية في اسرائيل .

بالتمعق في فضيحة « لا فون » يتضح لنا ان اسرائيل كانت تنظر الى كل علاقة عربية - عربية ، بجزع وفزع وتعمل على تخريبها . وقد راعها ان يكون لامريكا دور في ثورة مصر عام ١٩٥٢ وأن تكون على احسن الصلات واعمقها بفادتها . كذلك راعها أن تتجه انكلترا الى الجلاء عن مصر ومنحها استقلالها ، فسارعت اسرائيل الى اعتماد سياسة تخريب العلاقات المصرية - الغربية من جديد ، معيدة بذلك أهداف مقتل اللورد موين .

وليس ما تخشاه اسرائيل انحياز الغرب الى جانب العرب ضدها ، وانما هي تخشى أن «تظل للغرب عين وأذن مفتوحان على العرب» ، فيؤدي ذلك بالتالي الى موقف متوازن وربما محايد بينها وبينهم . وفي مثل هذا الموقف فان اسرائيل هي الخاسرة « لان مستقبلها - كما يقول لاسكوف - مشدود الى الرهان الغربي الامريكي عليها » . فاذا توقف الرهان غدت اسرائيل « كيانا وبقاء مطلقة في الفضاء ، وتحول عنصر الزمن ضدها » . من

هنا كان أشد ما تخشاه هو « أن تظل للعرب جسور معلقة مع الغرب وصلات ومصالح » ، وأشد ما تتمناه هو أن تنسف تلك الجسور وتقطع الصلات وتنهال المصالح . « بذلك فقط تظمن إسرائيل لان بقاءها يعني آنذاك اتصالا غير مقطوع بالحضارة ومراكز القوة » .

قضية كوهين

وتشكل قضية كوهين هي الأخرى ، فسي أحد جوانبها ، حلقة في سلسلة الجهد الصهيوني لعزل العالم العربي والإيقاع ما بينه وبين كل القوى التي يمكن أن تقف بجانبه .

ففي كانون الثاني من عام ١٩٦٥ اكتشفت السلطات السورية شبكة للتجسس يرأسها المفترب كامل أمين ثابت ، الذي اتضح فيما بعد أنه اليهودي « كوهين » من مواليد الاسكندرية ، وقد تلقى تدريباً خاصاً على التجسس في إسرائيل واستطاع في أقل من عام أن ينشئ صلات صداقة قوية في أوساط حزب البعث السوري الحاكم وأن يبلغ من النفوذ الفكري والسياسي درجة أصبح « كوهين » فيها معلماً من معلمي البعث ورائداً من رواد القومية العربية !!

وليس يهمنا الآن ما كانت اغراض كوهين الأخرى ولا ما استطاع أن يحقق في حقل التجسس وتزويد إسرائيل بالمعلومات عن سورية . فقد أثبت التحقيق الذي طواه الصمت والخوف أن كوهين كان واحداً من أكبر جواسيس العصر ، وأن ما حققه لبلده قد لعب دوراً كبيراً فيما انتهت إليه حرب الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ على الجبهة السورية !

على أن في جملة مهام كوهين - بالإضافة إلى التجسس وإنشاء الصداقات الوثقى بقيادات الحزب والتوجيه الفكري في صفوف البعثيين الجدد - كان الإيقاع ما بين سورية والآخرين وفرض العزلة عليها بدفعها

أكثر فاشكر نحو التطرف (١) .

وثمة قصة قد تفيد معرفتها في كشف بعض أغراض الصهيونية وأهدافها . ففي مرحلة من مراحل النشاط « الكوهيني » المستتر ، دعي فريق من مثقفي دمشق من حزييين وغيرهم الى محاضرة يلقيها « الفريق المناضل والفكر القومي كامل أمين ثابت » الذي تبين فيما بعد انه كوهين . وكان موضوع المحاضرة « عريستان » وهي منطقة ايرانية تحادد اراضي العراق وفيها بعض العرب . واقد دعا كامل أمين ثابت - كوهين - فسي محاضراته القومية تلك الى المطالبة بها بوصفها منطقة عربية سابقة . واعتبر ان من « مهمات حزب البعث ، حزب الطبيعة العربية والقضية القومية ، استرجاع الاراضي المقتضية تاريخيا وأولها عريستان ولواء الاسكندرون » !!

واذيعت المحاضرة من راديو دمشق ، فادت الى قطع العلاقات بين سورية وايران وتوترها ، وتبادل البلدان الاتهام ، ووجد الراي العام السوري - والعربي من حوله - نفسه فريسة دعوة جديدة من دعوات التحريض البعثي لم يستطع أن يفهم سببها لها ولا مبررا ، حتى انكشف كوهين وانضحت حقيقته ، فانكشف بالتالي سبب الدعوة ومبررها .

ولقد كان لقطع العلاقات مع ايران ثم لانكشاف كوهين اثره في نفوس بعض الحزييين الذين لم يجدوا في ظروف سورية بخاصة والقضية العربية بعامة ما يوجب هذه السياسة او يفرها ، فالحوا على ضرورة اعادة العلاقات مع ايران ، واصفى الدكتور ابراهيم ماخوس - وزير خارجية البعث - الى ذلك ، فابرق الى سفير سورية في جده - وكان قد أعلن عن موعد سفر الملك فيصل الى ايران في زيارة رسمية لها - يطلب اليه مقابلة الملك والرجاء منه بأن يتوسط بين سورية وايران خلال الزيارة لاعادة العلاقات بين البلدين ورأب الصدع الذي أحدثته مطالبة كوهين بعريستان !

(١) كان أحد أهداف الصهيونية دائما منع قيام دولة مستقرة ومستقلة في سورية . ففي تشرين الثاني من عام ١٩١٤ اتصل « هربرت صمويل » بوزير الخارجية « غراي » يحثه على تبني قيام دولة يهودية في فلسطين تكون حليفة لبريطانيا وعلى مقربة من مصر وقنصاة السويس . واقتراح عليه أن يعمل ويسعى لمنع قيام دولة عربية مستقلة ومستقرة في كل من سورية والعراق لان مستقبل الدولة اليهودية متوقف على مدى قوة جيرانها أو ضعفهم !

ولم يستطع السفير السوري مقابلة الملك فيصل لوجوده في الرياض وكان اليوم التالي هو موعد السفر ، فسارع الى مقابلة وكيل الخارجية الدائم السيد عمر السقاف - وزير الدولة للشؤون الخارجية اليوم - وأبلغه رجاء الحكومة السورية .

وطار السيد السقاف الى الرياض ليلا يبلغ الملك الرجاء ، فاستجاب له ، مرحبا بكل ما يزيل جفوة بين بلدين صديقين فكيف وهما سورية وايران . وبذل الملك جهده في زيارته لطهران وكاد ينجح المسعى ، لولا ان اصدقاء « كوهين » ويقاياه في دمشق سارعوا الى شن حملة القسوى ضد ايران . وأعيد - حتى بعد اعدام كوهين واكتشاف أمره - اذاعة محاضراته « القومية » من راديو دمشق وفيها يطالب بعريستان !

ذلك وجه آخر من وجوه النشاط الصهيوني لغرض العزلة على العالم العربي والإيقاع ما بينه وبين الآخرين جميعا : غربيين ومسلمين . لان الصهيونية وحدها ظلت تترك ان مكن القوة العربية هو في اتصالها بالعالم من حولها وافتتاحها على الغرب وتوثيق صلاتها بعالمها التاريخي : الاسلام . وان ضعفها هو في قطع هذه الصلات ، وانفلاقها ، وفرض العزلة الخائفة عليها . ومن عجب ان تحقق الصهيونية اغراضها هذه جميعا بغير جهد كبير ، فقد استجاب العالم العربي بسهولة ويسر للسياسة الصهيونية وحقق لها كل ما تطلب وأكثر منه ببعض أبنائه وقياداته . ويجب ان لا ننسى هنا التنسيق الخفي الذي ظل قائما من وراء كل خلاف ظاهر بين الشيوعية والصهيونية لتحقيق هذا الهدف ! وسنعود الى الموضوع مرة أخرى ببعض التفاصيل .

زيارة الملك فيصل الى أمريكا

وتجيء محاولات قطع زيارة الملك فيصل الى أمريكا ومن قبلها منعها ، دليلا آخر وحلقة أخرى . ففي أيار وحزيران من عام ١٩٦٦ ، شهدت المنطقة

العربية حملة مشبوهة ضد زيارة الملك فيصل الى أمريكا المحدد لها ٢٠ حزيران ١٩٦٦ . وكانت الحملة تهدف الى منيع الملك من زيارة واشنطن والالتقاء بالرئيس الأمريكي جونسون . وفيما خلا قلة أدركت مغزى الحملة وأهدافها ، فقد استطاعت الصهيونية أن تغطي حملتها بأغراض وإقلام ووجوه هزبية . وبلغ من دقة تخطيطها أن أقدمت بواسطة عناصرها في داخل أمريكا على كشف صفقة أسلحة كانت قد زودت أمريكا إسرائيل بها ردا على صفقات الأسلحة السوفياتية الى مصر ، لتستخدم العناصر والإقلام والوجوه العربية ذلك في مطالبتها الملك العربي بالفاء الزبارة . ثم حين لم تغلح في تحقيق مطلبها سارعت الى اصطناع مشكلة شخصية للملك في نيويورك بدفع عمدة المدينة الى الفاء حفلة التكريم التي كان مقررا اقامتها له بدريعة ان فيصل هاجم الذين يؤيدون إسرائيل في أمريكا . وكان رد الفعل المتوقع هو ان يقطع الملك زيارته فورا ويعود الى بلده ، وأن تدخل العلاقات السعودية - الأمريكية بعد العلاقات المصرية - الأمريكية مرحلة توتر وصدام . غير ان فيصل فوت ببرود اعصابه وثقته بنفسه وتقديره مصلحة بلده وقضية أمته على كل دواعي النزق الشخصي وأسبابه ، فوت الفرصة على الصهيونية وأتم زيارته وفق البرنامج المقرر ، وكان لموقفه هذا اثر بعيد في عقل وضمير الشعب الأمريكي . بل لقد كسب فيصل في موقفه هذا أضعاف ما كانت الصهيونية ترجو أن تحقق فيما لو استجاب فيصل لرد الفعل الطبيعي في أعقاب الفاء المأدبة .

طبعاً يجب ان لا يتوقع المرء تبديلاً في السياسة الأمريكية لمجرد زيارة قام بها مسؤول عربي وحديث مفتوح صادق إداره مع الرئيس الأمريكي جونسون أو غيره . فالعلاقات الطيبة التي تؤدي الى موقف وسياسة لا تبني في زيارة وحديث . وإنما تبني في زمن وبجهد دؤوب متصل . مثال ذلك ما حققته الصهيونية ، فهي لم تبلغ هذا التأثير والنفوذ في أيام ولا في شهور ولا في سنوات . ولم يكن تاريخها كله انتصاراً متصلاً ، فقد تخللته هزائم وانتكاسات ، غير ان ذلك لم يضعف عزميتها ولا أوهن قواها ولا بدل سياستها . وظلت أبداً تتطلع الى بناء العلاقات مع الغرب وزيادتها ، وتجاوز النكسات والهزائم ، وتعميق الصلات الشخصية لقادتها بقيادة العالم كله ... الخ .

والغزى العميق لموقف فيصل في أمريكا يكمن ليس في النتائج التي تمخضت عنها الرحلة بقدر ما يكمن في اصراره على فتح الحوار مع الغرب ، ومع اعظم قواه ، لئلا يؤدي انقطاع هذا الحوار الى المزيد من تايد اسرائيل والمزيد من الانحياز بجانبها . وتلك مجرد خطوة اولى على طريق طويل يبدو ان لا مناص من السير عليه اذا نحن اردنا حقا ان نصل الى حل عادل ومقبول ، والى تحقيق تقدم نزداد به قوة وانسانية ونحرر من عقد الخوف والجهل والعصية .

ليس دفاعا عن الغرب ولا من اجله . بل هو دفاع عن انفسنا ومن اجل مصالحنا ومستقبلنا . فنحن أحوج الى الغرب منه الينا . ذلك منطق الاشياء وحقائقها . والغرب - وأمريكا منه بخاصة - هو اليوم مصدر الحضارة ومركز القوة . وحتى روسيا في قوتها ما زالت تعيش بعد خمسين سنة من الثورة على حضارة الغرب تأخذ منها ولا تعطىها ، وتتطلع دوما الى أن تبلغ مستواها ، بل تضع في صلب برامجها وسياستها وبيانات قادتها ان تكون يوما كالغرب وأن تحقق ما حقق دون ان تضيف الى الحضارة شيئا او تزيد في عناصرها وقواها غير اليسير .

ونعود الى الموضوع .

كان هدف الصهيونية من الحملة ضد الملك فيصل هو ذاته - فسي جوهرة ومحتواه - ما هدفت اليه في مؤامرة لافون ومن قبلها في مقتل اللورد موين ، ومن بعدها في قضية كوهين . انه عزل العالم العربي وفرض الحصار عليه ومنع تأثيره على الاحداث والقوى المحيطة بقضية فلسطين . واذا كانت الصهيونية لا تخشى بدءا ان تتحول أمريكا ضدها ، فاتها تخشى على المدى الطويل ان يتحول الحوار الى تقدير مشترك للمصالح والحقائق . وليس كالصهيونية من يدرك ان جوهر المصالح الأمريكية والغربية يلتقي بجوهر المصالح العربية ، وان حوارا عاقلا مفتوحا ومتصلا يمكن أن يلجم الصهيونية ، ثم ان يتحول قوة ضاغطة مثلها ، ثم يؤدي الى تعديل فتبديل السياسة الأمريكية ، والى اتجاه مختلف وربما مناقض لاتجاهها الحالي .

ومن الغريب ان ما عجزت الصهيونية عن تحقيقه كاد بعض العرب ان ينجح به ، ولذلك حديث طويل وكتاب آخر .

وتبقى ملاحظة صغيرة .

ان نجاح الصهيونية النسبي في تحقيق اهدافها بالايقاع بين العرب والغرب ، وبين العرب والعرب ، وبين العرب والمسلمين ، وربما بين المسلمين والمسيحيين في المنطقة ، لم يكن مجرد خطة صهيونية نفذت بدهاء وبفير الظروف المواتية . فقد قدمنا نحن بجهلنا مرة وسوء قصدنا مرة ، كل اسباب نجاح السياسة الصهيونية ، وكنا عوناً لها على تحقيق اغراضها ، ولم يكن دورنا في الاساءة الى انفسنا - اقاصدين او غير قاصدين - اقل من دور الصهيونية في الاساءة اليها .

ولئن كان الايقاع بين العرب والغرب هدفا صهيونيا محددا عملت له الصهيونية وخططت ، فان بعض العرب حقق منه ابعد مما ارادت الصهيونية وما تصورت . وفي سنوات قليلة استطاع هذا البعض ملفوما بالتوجيه الصهيوني مرة ، وبالشيعوية مرة ، ان يحقق غرض القطيعة او ما يشبهه القطيعة بين كل العرب وكل الغرب .

ولئن كان الايقاع بين العرب والغرب ، هدفا صهيونيا آخر عملت له الصهيونية وخططت ، فان بعض العرب قد حقق منه ايضا اكثر مما توقعت الصهيونية او ارادت ، فقد بلغ هذا حد الحروب الاهلية مرة ، وحد الصدام او التهديد بالصدام مرات ، وحد الخوف الدائم المتصل في كل بلد عربي من كل بلد آخر . حتى الذين تحالفوا من الثوريين يخشى بعضهم بعضا ويأتمر بعضهم بعض !!

ولئن كان الايقاع بين العرب والمسلمين هدفا « كوهينيا » عملت له الصهيونية وخططت فان ما حققه العرب من هذا الهدف تجاوز ابعد مطالب الصهيونية .

ونظرة سريعة نلقيها على علاقات بعض العرب بتركيا وايران وربما

بباكستان ، تظهر لنا صحة هذا التقدير .

والقول نفسه يقال عن العلاقات الإسلامية المسيحية . فلئن كان الايقاع بين المسلمين والمسيحيين هدفا صهيونيا أيضا عملت له الصهيونية وخططت لتمزق الوحدة الوطنية من نحو وتعزل العالم الإسلامي عن العالم المسيحي من نحو آخر . فإن ما حققنا منه نحن انفسنا ببلادة التفكير وسخف التصرف وسوء النية جاء اضعاف اضعاف ما تطلعت اليه الصهيونية وارادته . وليس مصادرة المدارس الخاصة في سورية في شهر تشرين الاول من عام ١٩٦٧ بغير مبرر وفي ظرف نحن أحوج ما نكون فيه الى تركيز الجهد والاهتمام على فلسطين والعنوان ، ليس ذلك سوى واحد من وجوه السياسة الداخلية المحققة للفرض الصهيوني ! وكدت أقول : سوى واحد من وجوه الصهيونية ذاتها !!

في مقابل هذه السياسة ، ما كان منها صهيونيا مخططا لنا أو عريبا متوافقا معها ، ماذا نجد في السياسة الصهيونية من الآخرين ، كل الآخرين ؟

على صعيد العلاقات القريبة الصهيونية رأينا في استعراضنا السريع الموجز لتاريخ الحركة الصهيونية نماذج من الاسلوب الصهيوني في بناء العلاقات . فهو أسلوب دؤوب ، مثقف ، يني الصلات يوما بعد يوم ويتطلع الى المزيد منها كل يوم ، ليضعها فيما بعد في خدمة غرضه القومي . ولقد استطاعت الصهيونية في نصف قرن أن تحول العداء التاريخي لليهود في أوروبا المبرر عنه بالانسانية الى صداقة وطيدة ، وأن تبني عليها مواقف مشتركة وسياسة مشتركة وأهدافا مشتركة . ولم تياس الصهيونية من تحقيق هدفها على الرغم مما واجهت من متاعب وما اعترض طريقها من معاطب . وظلت تعمل عبر اليأس والامل وفي النصر والفشل بثقة لا حد لها بالنفس وايمان لا حد له بالعلم والعقل . وكان حصاد كل ذلك ما نرى من نفوذها وقدرتها ، ومن صلاتها بالعالم كله ، شرقه وغربه ، صغيره وكبيره .

وعلى صعيد علاقاتها بالمسيحية يحسن أن نعرف ان « وايزمن »
— ١٨٧٤ — ١٩٥٢ — اول رئيس لاسرائيل وثاني رئيس للمنظمة الصهيونية

بعد هرتزل ، قد تخرج عام ١٨٩٩ من جامعة « فريبورغ » في سويسرا وتمكن في وقت محدود وبجهد عقلي منظم ان ينشئ جمعيات للصدائة الاسرائيلية المسيحية ، ذات ثلاثة مراكز اليوم في زيورخ ، وبال ، وجنيف . وحتى تستطيع الحركة الصهيونية ان تذيب جليد الجفاء التاريخي بين اليهودية والمسيحية ، ظلت طوال نصف قرن تتقرب من المسيحية ، والفاتيكان بوجه خاص ، وتقيم معها اوثق الصلات وافضل الروابط .

وفي جملة النشاط اليهودي غير المحدود ، العمل على نشر كل ما يجمع بين المسيحية واليهودية من عقائد وتقاليد مذكرين دوما بان انبياء العهد القديم والسيدة العذراء مريم والسيد المسيح وپطرس وبولس ، هم جميعا من اليهود .

والى جانب هذا ، تنشط الصهيونية لايها الم العالم الغربي بان اسرائيل وحدها تمثل قوة الحضارة الغربية في الشرق الاوسط وتحمي القيم المسيحية ، وهي التي تستخرج مياه الصحراء وتحيي موات الارض وترفع مستوى الشعب وتبني المعاهد العلمية والانسانية ، في حين ان العرب غرقى في ظلام الجهل والذائد الخبيثة ، وهم يتخطون فسي فوضى سياسية ، وتحكمهم ديكتاتوريات متآمرة على الغرب تكيّل له الشتائم وتنفق الاموال على امجادها الشخصية فلا تخدم هدفا حضاريا ، وتحمل العداء للمسيحية وتصادر مدارسها !

وتستغل الصهيونية في نشر كل ذلك وسائل الاعلام باخر وابرع ما وصل اليه العلم الحديث . وقد ساعدها على توثيق صلاتها بالمسيحية الموقف الغوغائي والتاجر في داخل العالم العربي الذي يظاهر المسيحيين العداء ويرمي عليهم اسباب الجهل والامية ولا يعرف كيف يفتح لهم قلبه وعقله ليقيم معهم علاقات مواطنة هي اعلى وارفع من كل تعصب جاهل ، بل هي جزء من تراث اسلامي سابق كان يفترض ان نحبيه يدلا من ان يعيننا التعصب المريض فنتنكر له .

وعلى صعيد العلاقات اليهودية الاسلامية ليس من يجهل ان الصهيونية استطاعت لفترة سابقة ان تكسب الى جانبها تركيا فتعترف هذه باسرائيل وتقيم معها علاقات الود والصدائة . كذلك هي حاولت وكادت تنجح في

اقامة علاقات مماثلة مع ايران . وحين قام الملك فيصل بمحاولة جادة لاعادة ما انفصم من روابط البلدان الاسلامية لخير العرب وخير قضية فلسطين ارتفعت اصوات الشيوعية والصهيونية المستترة تشتم وتتهم . ومن عجب ان هذه الاصوات سكنت بعد العدوان حين فوجئت بموقف تركيا الايجابي والمؤيد للعرب وموقف ايران المائل . وواضح انه كان لزيارة الملك فيصل وسياسته الاسلامية المنفتحة غير المغلقة على الآخرين اكبر الاثر في موقفى تركيا وايران ، وفي موقف بلدان اسلامية اخرى .

وما زلت اذكر حديثا قريبا مع صديق يعيش في اوربا ويتابع الاحداث من بعيد وبغير هوى او غرض او ارتباط قال : ثمة حدثان في السنوات الاخيرة انقذا العرب والحقا باهداف الصهيونية الهزيمة . اولهما زيارة فيصل لامريكا ، فقد اعادت الزيارة الحوار المقطوع بين العرب والغرب . وثانيهما قرار مؤتمر الخرطوم باعادة ضخ البترول ، فقد ابقى هذا القرار في لحظة جد خطرة على شعرة العلاقات العربية - الغربية ، وابطل جانبها هاما من الزعم الصهيوني بان العرب باعوا الغرب وانحازوا ضده وهم موشكون ان يعطوا مصالحه . وكان غرض الصهيونية من هذا ان تاخذ الغرب الى جانبها بغير حساب ، ولو نجحت الصهيونية في هذا لانتهت القضية العربية ولحكم على العرب بان يعودوا الى خيامهم مرة اخرى ودون ان يحققوا هدفا .

وقال : لقد لعبت الصحافة الصهيونية دورا بعيدا في ابراز موقفى سوريا والجزائر المتطرف من موضوع اعادة ضخ البترول ، وكان الهدف من ذلك تشجيعهما على المضي في هذه السياسة الى النهاية بحيث تفرضان على العالم العربي وقف الضخ وتحقق الصهيونية ما لم تستطع ان تحققه في عدوان الخامس من شهر حزيران . غير ان قرار اعادة الضخ جاء لطمة لها قاسية ونبه عقاء الغرب الى حقائق كادت الدعاية المنظمة ان تطمسها وتزورها .

طبعا لقد كان ما ارضى الثوريين من القرار هو انهم قبضوا ثمن موقفهم هذا . غير ان ما ارضى الغرب كان مختلفا جدا . انه الموقف بحد ذاته والمبدأ . لقد اشاع القرار اطمئنانا عاما وجعل الغرب ينظر الى الصهيونية كقوة في المنطقة وليس كحارس لمصالحه . وفي هذا تكمن اهمية القرار وخطورته ، بله ايجابيته .

الشيوعية - الصهيونية

صِلات وروابط

استعرضنا الى الآن شيئا من تاريخ الحركة الشيوعية وراينا كيف ان اليهود هم الذين صاغوا فكرها ، واسسوا تنظيماتها الاولى ، وقادوا ثورتها في روسيا ، وظلوا المهيمنين عليها .

كذلك استعرضنا جانباً من تاريخ الحركة الصهيونية واهدافها ، واسلوبها في العمل ، فهي حركة متممة للشيوعية وليست مناقضة لها . وذلك ان الشيوعية هي موقف اليهود من الآخرين : فقد يعبر عن نفسه بالطبقية ، ورغبة في الخروج من الفيتو اجبارا والبقاء فيه اختيارا يعبر عن نفسه بالاممية .

اما الصهيونية فهي موقف اليهودية من نفسها . هي مطلب اليهودية القومي .

وقد يذهب البعض الى القول ان الشيوعية والصهيونية حركتان يهوديتان ، الاولى حركة العمال اليهود والثانية حركة الاغنياء اليهود ، وما بينهما من اختلاف حقيقي او ظاهري هو اختلاف الاغنياء والفقراء لا اكثر ولا اقل .

على انه مهما يكن من خلاف ظاهر او حقيقي بين الصهيونية والشيوعية فمما لا جدال فيه انها معا يمتحان من نبع واحد ويصبان في بحر واحد .

ويظل ما بينهما من نقاط الاختلاف الظاهر اقل مما هو بينهما في الجوهر من نقاط الاتفاق الخفي . فلم يسبق أن اضطرت الصهيونية والشيوعية صراع حياة وموت ، بل ظل خلافهما يدور حول الاشكال والاساليب وليس حول الغايات والاهداف .

يقول « هنري فورد » في الدراسة التي نشرت باسمه تحت عنوان « اليهودي العالمي » ان الصهيونية بمعناها السياسي المعاصر قد « نشأت عتصريا وجغرافيا في نفس المكان الذي نشأت فيه البلشفية وهو روسيا ، وانه كان ثمة علاقة وثقى دائما بين صهيوني روسيا وكيهلا نيويورك - مجلس الطائفة اليهودية - كما ظهر في التصريحات العلنية التي قيلت في روسيا بعد نجاح الثورة والتي مجدت فيها الكيهلا - أي مجلس الطائفة اليهودية !

ويتساءل « فورد » : لماذا تؤيد اليهودية وهي تجسيد للراسمالية الحركة البلشفية التي تمثل العدو الاكبر للراسمالية ؟

ويجيب : « لا ريب في ان السؤال ممتنع . ترى لماذا يمول يهودي نيويورك مطبوعة حمراء لا تستطيع حتى حكومتنا المتسامحة ان تستيفها ؟ ان راس المال غير اليهودي هو وحده الذي تهاجمه البلشفية . واليهودي الأمريكي عابد العجل الذهبي يود ان يظل على صلة حسنة مع يهودي الشرق ، اليهودي المغولي الذي يحاول تحطيم أنظمة المجتمع القائمة . ومن المفيد جدا عندما تنشب ثورة في باريس مثلا ان توفر الجماهير الثائرة التي تعمل في الحرق واشعال النيران بيوت اليهود ، تماما كما وقع لبيوت « آل روتشيلد » ابان الثورة الفرنسية . والصهيونية هي احدى المواضيع التي يستطيع يهود الشرق والغرب ان يتحدثوا في خدمتها » .

وقد سبق ان اوردنا في مكان سابق من البحث ما نشرته صحيفة « الجويش كرونيكل » الكندية وهي الصحيفة الناطقة بلسان اليهود ، من اقوال اللورد « بيرسي » . يقول اللورد : « ان الشيوعية والصهيونية تنموان في اوربوا الشرقية جنبا الى جنب ، تماما كما قام النفوذ اليهودي

بصياغة الفكر الجمهوري والاشتراكي طيلة القرن التاسع عشر الى ان وصل
لثورة تركيا الفتاة في القسطنطينية !

على ان ما هو ادل على صلات اليهودية - صهيونية كانت ام مستقلة -
والشيوعية وروابطهما الخفية ، مجموعة قضايا التجسس في أمريكا وتهريب
الاسرار الذرية الى روسيا . . ثم مواقف الاتحاد السوفياتي الى جانب قيام
اسرائيل منذ وعد لينين بمنح فلسطين لليهود حتى مناداته بتقسيم فلسطين
عام ١٩٤٨ ، وفي عدواني ١٩٥٦ على مصر ، و ١٩٦٧ على مصر وسورية
والاردن .

فما هي هذه الصلات ، وما حقيقتها وما عناصرها ودلالاتها ؟

فضائح الجاسوسية في أمريكا

منذ عام ١٩٤٥ وحتى عام ١٩٥٢ تكتفت في أمريكا سلسلة من فضائح الجاسوسية بينها فضائح كان لها اثرها في تعديل ميزان القوى في العالم وفي اصطناع التوازن الوقت ، وقد اتضح ان جميع ابطال تلك الفضائح كانوا من اليهود ، وبعضهم كان ينتظم في الحركة الصهيونية ، ومن عناصرها البارزة .

هذه السلسلة من فضائح الجاسوسية كانت :

- * فضيحة « اميرجيا » .
- * فضيحة « الدجر هيس » .
- * فضيحة « ايسلر » .
- * فضيحة « هوليود » .
- * فضيحة « فوخس - غولد اللرية » .
- * فضيحة الحزب الشيوعي الامريكي .

ليس في موضوع كتابنا تقصي فضائح التجسس مهما كان طابعها ، الا ان هذه الفضائح بالدات هي بعض الدليل على الصلة الخفية المنتظمة المستمرة بين الشيوعية واليهودية - وسواء اكانت يهودية مستقلة ام صهيونية فالاختلاف بينهما يكاد ان لا يراه المدقق وهو قس كل حال ليس

اختلافا على الغايات والاهداف بل على الوسائل والاساليب .

ولن نذكر هنا تاريخ او تفاصيل هذه الفضائح ، وانما نحن نقدم على عجل شيئا عنها واسماء ابطالها ليمسك القارىء معنا بالخيط الرقيق الدقيق الذي يشد الحركتين اليهوديتين ويربط بينهما .

ففي فضيحة اميريجيا - ١٩٤٥ - التي القبض على ثلاثة من اليهود اتضح انهم سرقوا من ملفات وزارة الخارجية الامريكية لحساب روسيسا ١٧٠٠ وثيقة . وهم : « فيليب جافه » وهو يهودي روسي الاصل . « اندرو روث » وهو يهودي امريكي وملازم في المخابرات البحرية . و « مارك غاين » وهو كاتب ولد في امريكا لابوين يهوديين روسيين واسمه اليهودي جوليوس غتتربورغ .

وفي فضيحة الدجر هيس وهو يهودي اتهم بسرقة وثائق من وزارة الخارجية ايضا ، تحرك يهود امريكا بسرعة في محاولة لانتقاذه ، غير انه حكم بتهمة التجسس واقتيد الى السجن . وكان المدافع الاول عنه « فرانكفوتر » اليهودي النمساوي الاصل واحد اعظم العناصر اليهودية نفوذا في امريكا .

وفي فضيحة « جوديث كولين » اليهودية - ١٩٤٩ - التي عليها القبض وهي تعطي وثائق من وزارة العدل الى جاسوس روسي موظف في الامم المتحدة . واعترفت بالتجسس وحكم عليها خمسة عشر عاما !

وفي فضيحة « جيرهارت ايسلر » اتضح انه كان زعيما للحزب الشيوعي الامريكي وقد تستر بأسماء كثيرة مستعارة وكان كثير التردد على روسيا فيما بين أعوام ١٩٣٥ - ١٩٤٧ ، ينقل اليها الاسرار ومنها التعليمات والاورام . وله أخت ظلت تعمل في الجاسوسية الشيوعية منذ عام ١٩٤٠ حتى عام ١٩٤٦ واسمها « روث فيشر » . ومساعدته في الحزب يهودي ايضا اسمه المستعار « بيترز » والحقيقي « غولد برغر » . ولاسرة ايسلر بشكل عام ، وهي أسرة يهودية ، نشاط واسع في كل حقل من حقول الشيوعية والنشاط الثوري . وقد هرب « ايسلر » فيما بعد الى أوروبا

الشرقية وتسلم في ألمانيا الشيوعية المحتلة من الروس منصب مديرية
الدعاية !

وفي فضيحة كتاب هوليود - ١٩٥٠ - اتضح للجنة التحقيق في
النشاط غير الأمريكي التي أشرف عليها الشيخ « مكارثي » ان ستة منهم
كانوا أعضاء سريين في الحزب الشيوعي الأمريكي والآخرين أصدقاء . وان
تسعة منهم كانوا يهودا . وان مهمتهم كانت كتابة « السيناريو » وحشو
الدعاية الشيوعية واليهودية في وقت واحد في جميع ما تنتج هوليود من
أفلام ، وهم : الفاسي . هيريت بيرمان . لستر كول . ادوارد دمتريك .
رنغ لاردنر الابن . جون هوارد لوسون . ألبرت مالتز . سام أورتنز .
أوريان سكوت . دالتون ترامبو . وباستثناء « أدريان سكوت » فجميع
الآخرين من اليهود .

وفي فضيحة الحزب الشيوعي الأمريكي الذي ألقي القبض على قيادته
عام ١٩٤٩ اتضح ان ستة من تسعة من قادة الحزب كانوا يهودا ، وهم :

« جيكوب ستاشل » يهودي روسي .

« جون غايتس » واسمه اليهودي « إسرائيل رينغشتراف » ، وكان
رئيسا لتحرير صحيفة « ديلي ووركر » وضابطا سابقا في الفرقة الشيوعية
التي حاربت ضد فرانكو في إسبانيا .

« غلبرت غرين » واسمه اليهودي « غرينبرغ » .

« غس هول » واسمه اليهودي « آرنومايك هليز » .

« إيرفنج يوتاش » يهودي روسي الأصل .

« كارل ووتر » واسمه اليهودي « فيليب كارل فايسبرغ » .

ولم يثبت ان الثلاثة الآخرين من قادة الحزب وهم : يوجين ديفيس ،
روبرت تومسون ، وجون ويليامسون ، كانوا يهودا ، كذلك لم يثبت التقيض .

وقد تسلم قيادة الحزب الشيوعي الأمريكي بعد هؤلاء مكتب سياسي من رجال الصف الثاني يتألف من ٢١ عضوا بينهم أربعة عشر يهوديا هم :

« إيزيدور بيغون » يهودي روسي .

« ماريان مكسويل ابت » يهودية أمريكية .

« إسرائيل امتر » يهودي أمريكي روسي الاصل .

« جورج تشارني » يهودي روسي .

« البرت لافون » يهودي مجهول الجنسية !

« لويس فاينشتوك » يهودي مجري .

« الكسندر بتلمان » يهودي روسي .

« بيتي غانيت » يهودية بولونية .

« سايمون غرسون » يهودي أمريكي .

« فكتور جيروم » يهودي بولوني .

« جاكوب مندل » يهودي روسي .

« الكسندر تراشتنبرغ » يهودي أمريكي .

وفي فضيحة فوخس - غولد الجاسوسية اللرية ، اتضح ان « كلاوس فوخس » وهو يهودي ألماني الاصل قد نقل الى روسيا اسرارا ذرية خطيرة . وقد القى القبض عليه رجال المخابرات البريطانية في شباط ١٩٤٩ . وبالتحقيق معه تبين انه سبق له ان دخل بريطانيا في مستهل الحرب الثانية فالقى القبض عليه بصفته اجنبيا ومن دولة معادية - ألمانيا - ثم ما لبثت سلطات الامن ان افرجت عنه بواسطة « آينشتاين » العالم الكبير واليهودي ايضا . وقد دخل فوخس فيما بعد أمريكا واتيح له ان يطلع قيما بين عام ١٩٤٢ و ١٩٤٥ على اخطر الاسرار اللرية ، وان ينظم شبكة سرية للتجسس اعتقلت منها سلطات الامن الأمريكية تسعة اشخاص بينهم ثمانية يهود .

وكانت هذه الشبكة الخطيرة والتي اعتبر ما نقلته من اسرار ذرية الى

روسيا ، أخطر قضايا التجسس خلال الحرب وبعدها ، كان لتلك الاسرار اثرها البعيد في تعديل ميزان القوى العالمي وفي انقاذ الشيوعية بعد الحرب واطلاق اقواها وتعزيز مركزها .

واليهود الثمانية هم :

١ - ٢ - **جوليوس ، روزنبرغ وزوجته ايتل** : وهو مهندس كهربائي ولد في امريكا لابوين يهوديين روسيين . سرق رسوما سرية لاختراع هام من شركة « ايمرسون » الكهربائية واعطاه للروس ، وقد استعمل ضد الطائرات الامريكية في كوريا . كذلك ساعد على سرقة الاسرار الدرية ، وكانت مهمته ان يتذكر ما يعطيه جاسوس آخر هو غرينكلاس ثم ينقلها الى الروس . وقد اعدم مع زوجته ايتل في عام ١٩٥٣ ، وكانت هذه تنقل الاسرار ايضا وهي شقيقة غرينكلاس .

٣ - **غرينكلاس** : وهو يهودي لاب روسي وام بولونية . كان واحدا ممن زودوا « غولد » احد العناصر الرئيسية في شبكة التجسس وصلة الوصل بين الجواسيس ورئيس الشبكة الروسي « سيمونوف » . وقد عمل غرينكلاس في المصانع الذرية في ولاية مكسيكو بين عام ١٩٤٤ وعام ١٩٤٦ ، واتاح له مركزه ان يعرف الكثير عن اسرار القنبلة الذرية . وهو الذي زود روزنبرغ بمعلومات هامة حول استعمال كبسولة التفجير . وزود هاري غولد بتفاصيل اخرى عن القنبلة الذرية . وكان يرأس مصانع العمل في تلك المرحلة « روبرت اوبنهايم » اليهودي !!

٤ - **هاري غولد** : وهو يهودي كيماوي ، ولد في سويسرا لابوين يهوديين روسيين . اسمه الاصلي « غولد دنييتسكي » . كان صلة الوصل مع « سيمونوف » رئيس الشبكة الروسي ، وكان ينقل اليه ما يتجمع عنده من معلومات من اعضاء الحلقة الموزعين في جميع مؤسسات الدفاع والذرة .

٥ - **ابراهيم برونمان** : وصف مسؤول روسي ما قدمه من معلومات بأنه يعدل قيمة فرقتين من جيش روسيا . زود « غولد » بمعلومات سرية عن بنزين الطائرات والمحركات الجوية والمطاط الاصطناعي . وهو يهودي ، وكان يرأس مؤسسة « برونمان » وشركاه الهندسية في ولاية نيويورك .

٦ - **مورتون سويل** : يهودي امريكي ورفيق روزنبرغ الدراسي . اقدم الى روزنبرغ معلومات الكترونية تتضمن اسرار الرادار .

٧ - **مريم موسكوفتش** : يهودية وموظفة في لجنة القوات الحربية بين سنوات ١٩٤٢ - ١٩٤٤ ، وكانت تعمل في مؤسسة « بروثمان » . اعترفت باشتراكها في حلقة التجسس ونقلها المعلومات .

٨ - **سعدني فاينباوم** : واسمه اليهودي « اسرائيل » . كان يعمل في مختبر للاشعاع الذري وقدم لروسيا اسرازا ذرية ثمينة . وهو روسي الاصل . ولقد حدث دائما ان تساءل الراي العام في امريكا وخارج امريكا ، كيف تمكن هؤلاء من الوصول الى مراكزهم تلك ؟

والجواب نجده في النفوذ الصهيوني المعروف داخل امريكا ، وهو نفوذ ضاغط .

فمثلا تمكنت القوة الصهيونية عام ١٩٤٦ من ان تفرض على ترومان تعيين مجلس امريكي للاشراف على جهود امريكا الذرية ، ويرأس هذا المجلس المؤلف من خمسة اعضاء يهودي هو « دايفد ليلنتال » ، ويضم في عضويته « شتراوس » وهو يهودي ، و « بيتشر » وهو يهودي ايضا . وكانت ثمة اكثر من علامة استفهام حول ميول « ليلنتال » نفسه الشيوعية .

طبعا لسنا نملك دليلا نهائيا وحاسما وأخيرا على وجود تلك الصفة الخفية بين الصهيونية والشيوعية ، غير ان الدلائل كلها وهي كثيرة تشير الى مثل هذه الصلة وتؤكددها . وما ذكرناه عن حوادث التجسس في امريكا التي ادين في معظمها اليهود هو مجرد نماذج من أدلة متوافرة لمن اراد البحث والتقصي .

ونستطيع ان نضيف الى تلك الحوادث والاسماء حوادث مماثلة في كندا ، وكلها تتصل بالتجسس لحساب روسيا ، من عناصر يهودية . وهي قضايا شهرت في حينها وطواها النسيان اليوم . غير انه لا ينبغي دلائلها ولا يضعف من أهميتها ومفزاها .

ففي عام ١٩٤٥ اكتشفت السلطات الكندية شبكات تجسس واسعة
اتضح ان ابرز اعضائها كانوا من اليهود :

ديندروز - روزنبرغ - وهو يهودي بولوني .

ريمون دوير - استاذ جامعة ، زود روزنبرغ بمعلومات عن متفجر
سري ، وهو متزوج من اليهودية انيتا كوهين ، وقد حوكم معه كل من
صموئيل غرسون وهو يهودي روسي ، ودافيد شوغار . واشترك في حلقة
التجسس هذه ايزيدور غوتهايسل ، واسرائيل هلبيرين ، وسام كار
- كوهين - الخ .

فاذا تركنا حوادث التجسس الخطيرة في دلالتها على يهودية الشيوعية
وصلات وروابط الصهيونية بها ، فاننا نجد مثالا آخر وأدلة أوضح وأوثق
في قيام اسرائيل ذاتها ، وفي موقف الاتحاد السوفياتي من القضية
الفلسطينية بوجه عام : منذ عام ١٩٤٨ وحتى اليوم .

فما هو هذا الموقف ؟ ..

وماذا كان الاتحاد السوفياتي يقول عنها ؟ ..

وما نقاط الالتقاء والتوافق بين الشيوعية والصهيونية في موضوع
فلسطين بالذات ؟!

النأيءالسوفياق للصفهفوففة ١٩٤٧-٤٨-٤٩

فف الأهم المففة... وفام اسرائف !!

انففف السفاسة الصففوففة فف اعقاب الفف الفالفة الفاف السف
انففاف ففففف للفف ، بفف ان افففف ان الماف الفوف مسفف لها فف ففففف
فففها . هافان الفففان كاففا :

١ - ففففا ففر مففوف للهجرة الففوفة من الفاف .

٢ - ففففا ففر مففوف للارهاب فف الفافل .

وافف بفاف الصففوففة سفاستها هفف بالففف المفافف على الففوففف
الامرفكة والانكلفزة للسماف بفجرة مئة الف ففوفف الى فلسففن . ونففف
فف البفف مع الرففس فرومان ماففرا بلففرفففة من ففو وبفففف على اللافففف
الففوف فف اوروبا من ففو آفر ، فافف ففسم الهجرة ، واففف افلف رففس
وزراء برففافا فالف لففة امرفكة انكلفزة مشفكة للفففف فف المشكفة
الفلسففففة والفوففة بما فرف ، ففاف قرار اللففة مؤففا السماف بالفجرة
المففوفة الى فلسففن ، الا ان الففوفة البرففاففة ففففف من الموافقة على
ذلك وعبر بففن وزفر الفاففة البرففاففة عن مفافف ففوففة من هفف
الاففاه وقال فف مفاففة له امام مفسف الموم ان المشكفة سفاسففة فف
فوفرها . ولو ان الموفوف كان مشكفة الففوف اللافففف انسانفا لامكفف
فسوففها ، ولكن الفرفة الصففوففة ففففها على اساس سفاسف ، والفكالة

اليهودية تجمل منها بداية لهجرة أوسع تتحدث فيها منذ اليوم عن هجرة الملايين .

كان هذا الموقف المتمنع بداية توتر جزئي في العلاقات اليهودية الانكليزية ، ادى فيما بعد الى تفجير سياسة الارهاب في الداخل على نطاق واسع للضغط على الحكومة البريطانية . . وانتهى ذلك كله الى اعتراف بريطانيا بفشل انتدابها على فلسطين ، **والى مذكرة اقدمتها في الثاني من شهر نيسان عام ١٩٤٧ الى الامانة العامة للامم المتحدة طالبت فيها بادراج المسألة الفلسطينية في جدول أعمالها .**

وقد تضمن الطلب البريطاني دعوة الجمعية العامة الى جلسة استثنائية وتاليف لجنة خاصة مهمتها تقديم دراسة مبدئية عن المسألة الفلسطينية تتم باشراف الامم المتحدة ، ثم تقرر ما ترى بشأن مستقبل الحكم في فلسطين .

وقد وافقت اغلبية الدول الاعضاء على عقد الجلسة واحيل الموضوع على اللجنة التوجيهية للجمعية العامة لتقرر في الطلب البريطاني ما تراه . وكانت اللجنة مؤلفة من اربعة عشرة دولة : مصر من الدول العربية ، ودولتين اشتراكيتين هما : الاتحاد السوفياتي وبولونيا ، ودولة نصف اشتراكية هي : تشيكوسلوفاكيا (١) ، وعدد من الدول الاوروبية وغيرها .

وقد طلبت الدول العربية الاعضاء يومذاك في الامم المتحدة المشاركة في اجتماعات اللجنة التوجيهية بوصفها دول ذات صلة مباشرة بالقضية ، فوافقت اللجنة .

وسارعت الدول العربية لتقطع الطريق على أية مناورة وراء الكواليس الى تبني مطلب واضح محدد هو : **انهاء الانتداب البريطاني على فلسطين واعلان استقلالها .** غير ان اللجنة التوجيهية ردت المطلب العربي ولم يؤيدها

(١) لم تكن تشيكوسلوفاكيا قد سقطت بعد فريسة الشيوعية تماما ، ولكنها كانت تعيش في ظل النفوذ الروسي ، وبمشاركة الحزب الشيوعي الحاكم فيها .

الاتحاد السوفياتي ، ثم أيدت الدول الاعضاء في اللجنة بما فيها الاتحاد السوفياتي المطلب البريطاني ، وغدا عنوان البحث وموضوعه : مستقبل الحكم في فلسطين ، بدلا من انتهاء الانتداب البريطاني عليها واعلان استقلالها .

ومما يلفت النظر ان المندوب الروسي السيد غروميكو - وزير الخارجية اليوم - وقف يعلن بوضوح معارضته للموقف العربي المنادي باستقلال فلسطين وانهاء الانتداب . وقد حدد مواقفه الصريح هذا في جملة واضحة قال : « لا يستطيع أحد ان يرغم الجمعية العامة على اتخاذ قرار يؤيد مطلب العرب » .

ولم يدرك المندوبون العرب يومها ان هذا الموقف الروسي لم يكن غير بداية ، وان جبل التأييد الشيوعي للصهيونية سيكر طويلا حتى يومنا هذا ، على الرغم من كل حديث الخلاف والمعارضة . فليست الشيوعية ولا الصهيونية سوى وجهين مختلفين لعملة يهودية واحدة !

الاتحاد السوفياتي والوكالة اليهودية

لم يكتف الاتحاد السوفياتي برفض مبدأ استقلال فلسطين ، ولا بتأييد المطلب البريطاني الغامض ، وانما خطا خطوة أبعد حين أصر في اجتماعات الجمعية العامة على ان تشارك الوكالة اليهودية بوصفها ممثلة للشعب اليهودي في عرض وجهة النظر الخاصة بفلسطين . ثم زاد على ذلك بان دعا الى مشاركة هيئات يهودية أخرى بينها الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، واللجنة العربية للتحرير الوطني ، ولجنة العمل الفلسطيني . . الخ ، فسي بحث المشكلة الفلسطينية . واستطاع الضغط السوفياتي بتأييد ومشاركة الدول التابعة له ، والدول الغربية المتأثرة بالتنفيذ الصهيوني فيها ، أن يجعل الاستماع الى وجهة النظر اليهودية امام اللجنة السياسية موزعا على ست لجان وهيئات واحزاب يهودية . ولم يجد دعاة الاشتراكية المتشدقون بمكافحة الاستعمار ، المرتفعة اصواتهم ابدا بالحديث عن حقوق الشعب وتقرير المصير . . لم يجدوا ما يبرر دعوة ممثلي عرب فلسطين للاستماع

الى وجهة نظرهم . وحين طرح على الجمعية العامة اقتراح بدعوة اللجنة العربية العليا عارضه السوفيات ، وظلت الدعوة لممثلي شعب فلسطين قائمة من اللجنة السياسية ، وهي فرع ، لا من الجمعية العامة وهي الاصل . وقد بذل السوفيات جهودا مستميتة ليحولوا دون اتخاذ قرار يضعف من مركز الوكالة اليهودية بوضعها مع اللجنة العربية العليا على قدم المساواة ، وظلوا الى اللحظة الاخيرة يعتبرونها قوة الدولة اليهودية القادمة والمثقلة الرسمية لها .

كل ذلك ، ولم يكن قد اتخذ اي قرار بشأن فلسطين . فقد كانت الجمعية العامة ما تزال في بداية جلساتها الاستثنائية لبحث طلب بريطانيا حول مستقبل الحكم فيها .

اللجنة الخاصة ، وتحديد الأهداف !

انتهت الامم المتحدة في اوائل شهر ايار لعام ١٩٤٧ ، من الموافقة على الطلب البريطاني ، ورد الطلب العربي ، ودعوة الوكالة اليهودية والهيئات والاحزاب اليهودية الاخرى للاستماع الى وجهة نظرها في موضوع فلسطين . . لتنتقل الى الموضوع الذي حددته المذكرة البريطانية وهو تشكيل اللجنة الخاصة لتقديم الدراسة المبدئية المقترحة باشراف الامم المتحدة عن المسألة الفلسطينية .

وقد تمكن الجهد الشيوعي المنسق مع الجهد الصهيوني ، من ضم دولتي يوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا الى اللجنة الخاصة . وكان عدد اعضائها احدى عشرة دولة هي : الهند ، ايران ، هولنده ، غواتيمالا ، السويد ، يوغوسلافيا ، تشيكوسلوفاكيا ، كندا ، استراليا ، بيلو . ولم يكن في هذه المجموعة سوى دولتين تقفان بجانب العرب هما ايران اولا والهند ثانيا ، ودولة محايدة يتيمة هي السويد ، وثمان دول تخاصم الحق العربي وتنحاز الى خصومه لاسباب تختلف وتلتقي جميعا عند نقطة واحدة هي التعاطف مع الموقف الصهيوني !

تألفت اللجنة في أيار ، وسارع السوفييات الى تحديد أهداف اللجنة بتوسيع صلاحياتها بحيث تقدم دراسة كاملة للمسألة اليهودية من خلال بحث مشكلة فلسطين . وأصر « غروميكو » وممثلو الدول التابعة على أن تشمل مهمة اللجنة دراسة طاساة اليهود فسي أوروبا وزيارة معسكرات اللاجئين منهم والاستماع الى كل الهيئات والاحزاب اليهودية . وكان في نصوص الاقتراحات والمشاريع التي قدمها الاتحاد السوفياتي والدول الملحقه به - وبينها بولونيا - دعوة صريحة الى اللجنة لتتجمع وتحلل وتدرس كل ما يتصل بالقضية الفلسطينية ، وتستمع الى جميع الآراء وتتقبل الدراسات والمذكرات والرسائل من كل الهيئات التي تجد نفسها مهتمة بها .

ثم ما لبث الاتحاد السوفياتي أن خطا خطوة أبعد ، مفصحا في وقت مبكر جدا عن التزاوج بين الهدفين الصهيوني والشيوعي في المنطقة ، فدعا الى مساهمة الدول الكبرى في حل المشكلة الفلسطينية ، وطالب غروميكو في جلسة اللجنة السياسية المنعقدة بتاريخ الثامن من أيار بحل دولي للمشكلة يشارك فيه الاتحاد السوفياتي . وكان مما قاله :

« ان أيسر الطرق لتسوية مستقبل فلسطين هو أن تتفق الدول الكبرى ذوات المقاعد الدائمة في مجلس الامم على الحل . والاتحاد السوفياتي مستعد أن يتعاون الى أبعد الحدود . ليفهم بعضنا بعضا فهما اصح من الآن : ان لنا جميعا مصالح مشتركة هناك » .

أقترح التقسيم الأول !

وحتى يكون الموقف الروسي أوضح في الكشف عن أهدافه ومرامييه ، أطلق غروميكو في خطابه ذلك اقتراحه الاول موجها فيه اللجنة الخاصة محددا لها مهمتها ، فنأدى « بحكم يتساوى فيه العرب - وهم الاكثرية - مع اليهود - وكانوا الاقلية - في دولة واحدة يحكمها العرب واليهود حكما مزدوجا » ، « فاذا تعذر ذلك فقد يكون الحل في تقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية » .

كان اقتراح التقسيم هذا اول اقتراح رسمي اطلق في اجواء الامم المتحدة يومذاك . وابكر مظاهر المؤامرة الشيوعية - الصهيونية على فلسطين . فلم يكن قد تحدث بعد اي مندوب غربي ولا غير غربي عن اقتراح التقسيم - وهو في جوهره دعوة الى اقامة دولة اسرائيل - ولا دعا اليه قبل غروميكو احد !

حتى الولايات المتحدة الامريكية لم تكن قد ايدت بعد فكرة التقسيم ، وربما لم تكن راودتها . وذلك ان السياسة الامريكية لم تعلن تأييدها للتقسيم الا في الحادي عشر من شهر تشرين الاول عام ١٩٤٧ ، وبعد خمسة شهور من اقتراح الرفيق غروميكو . وهكذا تكون السياسة الشيوعية اسبق من زميلتها الغربية في طعن القضية الفلسطينية والتنكر لحق شعب فلسطين في الحرية والاستقلال .

ومضت اللجنة الخاصة في تنفيذ مهمتها وفق البرنامج الشيوعي الذي حدده الرفيق غروميكو في طلبه التعديل لفاياتها . فاستمعت اللجنة الى شهود يمثلون عددا واسعا من المنظمات والهيئات اليهودية في داخل فلسطين ، وفي البلدان الاشتراكية حيث كانت الحركة اليهودية تتلبس صفتيها المزدوجتين : الشيوعية مرة والصهيونية مرة .

ففي داخل فلسطين تطوع للشهادة امام اللجنة خمس منظمات يهودية يسارية هي :

- ١ - منظمات النساء اليهود .
- ٢ - الحزب الشيوعي اليهودي .
- ٣ - الاتحاد الشيوعي الفلسطيني .
- ٤ - اتحاد العمل العام اليهودي .
- ٥ - رابطة التعاون العربي - اليهودي .

وفي داخل البلدان الاشتراكية استمعت اللجنة او ادرجت في وثائقها مذكرات عدد من المنظمات اليهودية وهي :

- ١ - المجلس اليهودي في تشيكوسلوفاكيا ومقره براغ .
- ٢ - اتحاد الجمعيات اليهودية ومقرها براغ ايضا .
- ٣ - مكتب اليهود الاقليمي ومقره يودايست .
- ٤ - المكتب الرئيسي ليهود المجر ومقره يودايست ايضا .
- ٥ - الهيئة اليهودية الاشتراكية ومقرها رومانيا (١) .
- ٦ - هيئة التحرير الديمقراطية ومقرها يوغوسلافيا .
- ٧ - الاتحاد الاشتراكي العالمي ومقره صوفيا .

وزادت اللجنة الخاصة التي تضم ممثلين للشيوعية في شخص مندوبي يوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا على كل ذلك بأن أوفدت لجنة فرعية منها لزيارة مراكز احتشاد اليهود ومعسكرات لاجئهم . ولم تستمع اللجنة في مقابل كل ذلك الى صوت عرب فلسطين لان- اللجنة العربية العليا كانت قد قاطعت اللجنة منذ بداية مهمتها ولم تجد فيها الكفاية لتحقيق أمل الاستقلال .

وانتهت اللجنة بأغليبتها - وعارضت ايران - الى رأي يؤيد التقسيم، اي يؤيد الاقتراح الروسي الاول .

وقد وجدت الصهيونية في قرار التقسيم ، بالرغم من انها كانت تطلب المزيد من فلسطين ، بذور مطلبها وبداية تحقيق حلمها فاكنت بما وصلت اليه وركزت كل جهدها على اقراره، وتركت للمستقبل امر التوسع وتحقيق احلام السيطرة على فلسطين كلها وما جاورها !

(١) ليلاحظ القارئ هنا اقتران الاشتراكية بالصهيونية ، فالتعبير دلالة الخاصة اذ هو يكشف ازدواجية اليهودية والعلّة العضوية بين الاشتراكية والصهيونية .

قرار التقسيم المشترك !

أحيلت دراسة اللجنة الخاصة ورايها في التقسيم على لجنة فرعية مؤلفة من ممثلي تسع دول مثل فيها المعسكر الشيوعي ثلاث دول هي : الاتحاد السوفياتي ، وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا . بالإضافة الى الولايات المتحدة الامريكية وكندا وغواتيمالا وأورغواي وحكومة اتحاد جنوب افريقيا وفنزويلا . وقد قدمت اللجنة باتفاق أعضائها جميعا تقريرها وفيه تفاصيل التقسيم المقترح وكل ما يتصل بتنفيذه . وردت اللجنة السياسية كل ما سوى ذلك من وجهات النظر العربية والإسلامية ، وكان الاتحاد السوفياتي والدول الشيوعية الأخرى في عداد المصوتين ضد كل موقف عربي وكل دعوة الى حماية حق شعب فلسطين وعروبتها .

وكان بدهيا أن تنتهي تلك المقدمات كلها، بما يتدل فيها من جهد منسق بين الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي والصهيونية جامعة النقيضين ، الى موافقة الجمعية العامة للأمم المتحدة في التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني من عام ١٩٤٧ على مشروع التقسيم الروسي - الأمريكي المقترح . فتدخل القضية الفلسطينية بذلك مرحلة جديدة من مراحل تطورها .

وقد نص قرار التقسيم فيما نص عليه تشكيل لجنة خماسية مهمتها الاشراف على التقسيم بمعرفة الأمم المتحدة ووفق أقرارها . وضمت اللجنة كلا من : تشيكوسلوفاكيا ، وبوليفيا ، وباناما ، والفيليبين ، والدنمارك . ولم يكن ضم تشيكوسلوفاكيا الى عضويتها - باصرار الاتحاد السوفياتي - سوى تمهيد لتقديم العون العسكري الى اسرائيل فيما بعد عن طريقها ، ومنح الدولة الجديدة كل أسباب الحياة والاستمرار .

التراجع الأمريكي والتقسيم السوفياتي

كانت مهمة اللجنة هي تكليف مجلس الامن باتخاذ ما يلزم من اجراءات لتنفيذ التقسيم ، ودعوته الى اقرار السلام اذا ما اخل احد الاطراف بالامن . وفي الخامس من شهر آذار عام ١٩٤٨ - وكانت القضية الفلسطينية قد اقتربت من نهاية عامها الاول في اعتاب الامم واروقتها ودهاليزها - اجتمع مجلس الامن بدعوة من اللجنة الخاصة للبحث في موضوع صون الامن والسلم في فلسطين ووقف ترددي الاوضاع الداخلية فيها بين الاقلية اليهودية والاكثية العربية . فاذا بالمجلس يفاجأ بتراجع الولايات المتحدة الامريكية عن قرار التقسيم الاول - وايدتها الصين وفرنسا ولم تحدد انكترا موقفا بسبب تجميدها وجودها في مجلس الامن خلال بحث المشكلة الفلسطينية ، بوصفها الدولة المنتدبة وتظاهرا منها بالحياد او حيادا متاخرا - وطالب المندوب الأمريكي بان توضع فلسطين تحت وصاية دولية مؤقتة تحافظ على وحدتها الجغرافية .

كان للتراجع الأمريكي هنا وقع الصاعقة في الاوساط الصهيونية والشيوعية . فوقف غروميكو منددا بالسياسة الامريكية متهمها بخيانة اليهود والتراجع عن اقرار الامم المتحدة بالتقسيم تحت ضغط المصالح البترولية ولارضاء الرجعية العربية . وشارك غروميكو في الهجوم مندوب الوكالة اليهودية مؤيدا ما ذهب اليه المندوب السوفياتي من اتهام امريكا بخيانة اليهود .

وحين دعا المندوب الأمريكي الى احوالة الموضوع مجددا على الجمعية العامة للامم المتحدة في دورة استثنائية جديدة لاعادة البحث في المشكلة والفاء قرار التقسيم ، انفرد بمعارضة الاقتراح الأمريكي الاتحاد السوفياتي واوكرانيا - وهي ولاية سوفياتية تتمتع بوجود مستقل في الامم المتحدة فقط هدفه زيادة اصوات الدول الشيوعية كجزء من تسوية ما بعد الحرب العالمية الثانية بين الكبار .

وقد اصر المندوب الروسي غروميكو على ان مهمة مجلس الامن هي

الامر بانسحاب العصابات العربية - وهي التسمية التي اطلقها يومذاك على المتطوعين العرب - التي غزت فلسطين وليس أي بحث آخر في موضوع فلسطين . الا ان الاكثرية خذلت هذا المنطق واقترت الاقتراح الامريكي .

انتقلت القضية الفلسطينية في شهر نيسان ١٩٤٨ من مجلس الامن الى الجمعية العامة للامم المتحدة ، وانتقل معها النشاط الشيوعي مستمرا في تصميمه العنيد على تأييد ودعم الصهيونية في مطلب الوطن القومي ، وداعيا الى انسحاب العصابات العربية ووقف الغزو العربي وانزال العقوبات بالفراة ... الى آخر ما استخدم الرفيق غروميكو من تعابير الشتم التي يتقنها الشيوعيون اتقاننا معجزا ويرصعون بها دررهم وفرائدهم حتى لكأنها الملح لا طعم بدونها لاكل .

ولقد كنا نود لو تقدم للقارىء مع هذا العرض نماذج من اقوال المندوبين الشيوعيين وتأييدهم للصهيونية ، لولا اننا نخشى من ذلك أن يفقد العرض المستمر لتطور الموقف الشيوعي من القضية الفلسطينية وحدته واتساقه .

على أن القارىء سيجد نماذج متعددة في نهاية هذا الفصل ، منسوخة عن سجلات ومحاضر جلسات الامم المتحدة ووثائقها . وهي تكفي لمن يطالعها أن تعطي صورة واضحة ليس عن التأييد الشيوعي لموضوع اقامة اسرائيل فحسب، بل وعن الترابط العميق ذي الجذور البعيدة بين موقفنا الصهيونية والشيوعية وفكرهما الواحد .

روسيا تدافع عن التقسيم !

فقد استخدم غروميكو في محاولة ابطال العودة عن قرار التقسيم امام مجلس الامن منطلقا ابعد في تبني الصهيونية من قادتها . ودعا الى الاستماع الى مندوب الوكالة اليهودية ليبيدي رايه ويشرح ما اسماه الرفيق الصديق **حقوق ومطالب شعبه** . واكد أن الاتحاد السوفياتي انما يؤيد مشروع التقسيم لانه مشروع عادل يحقق آمال الشعب اليهودي . واتهم امريكا بأنها تراجمت عن موقفها لترضية العرب . وقال ان الاتحاد السوفياتي

لن يؤيد أي مشروع أمريكي لا يحقق هدف التقسيم ويقيم الدولة اليهودية.

وبكى غروميكو على ما أصاب يهود العالم وقال ان من الشباعة ان نترك الامة اليهودية وهي التي تزلت بها فواجع النازية تحت رحمة عنصرية اخرى ، او نسخر مصائب هذه الامة العظيمة - ويقصد الامة اليهودية - لمصالح البترول واصحابه العرب (١) .

لم يكن موعد انسحاب القوات البريطانية قد حان عن فلسطين . فبريطانيا حددت لانسحابها موعدا هو الخامس عشر من شهر أيار من عام ١٩٤٨ . وقد حاولت السياسة الامريكية أن تضغط على الحكومة البريطانية لتؤجل موعد انسحابها ، ريثما تجد الامم المتحدة حلا لمشكلة فلسطين ، او تقر الوصاية الدولية الموضوعة عليها بما ينقذ وحدتها ويعطل قرار التقسيم . فلم تستجب الحكومة البريطانية لذلك ، وقاوم السوفييات بشدة هذا الاتجاه مؤكدين في كل جلسة وكل نقاش ضرورة انسحاب القوات البريطانية فسي موعدها واعلان مولد الدولة الاسرائيلية بموجب قرار التقسيم الذي كان الفكر الشيوعي اول من دعا اليه على لسان غروميكو .

وكان على القضية الفلسطينية ان تجتاز في تلك الفترة اصعب مراحلها واشقها .

وفي صباح ١٥ ايار انتهى تطور القضية الى اعلان دولة اسرائيل فور انسحاب القوات البريطانية ، وقيام حكومة مؤقتة فيها ما لبث ان اعترف بها الرئيس هاري ترومان بعد دقائق من قيامها ، على اساس الامر الواقع وليس اعترافا قانونيا كاملا . واقد جاء الاعتراف الامريكي مبتورا بسبب ان الجمعية العامة ما زالت تبحث المشروع الامريكي بالغاء التقسيم وصون وحدة فلسطين ووضعها تحت الوصاية المؤقتة ريثما تستقر الامور فيها ويهدأ الاضطراب .

اعتراف قانوني كاسل !

غير أن الاتحاد السوفياتي الذي زاود منذ اليوم الاول على الموقف الأمريكي في تأييد الصهيونية وزاد عليه ، سارع الى الاعتراف الكامل والقانوني بالدولة الجديدة . فكان بذلك اول دولة - لا ثانيها - تعترف بإسرائيل اعترافا كاملا غير منقوص . في حين ظل الاعتراف الأمريكي بها دون الاعتراف السوفياتي وأقل في الالزام .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا هو ان المندوب السوفياتي قد عكس هذا الاعتراف الشيوعي فيما بعد في جلسات مجلس الامن بالمناداة على مندوب الوكالة اليهودية كممثل لدولة اسرائيل (١) فأثار موقفه استنكارا شاملا ، وكان ذلك نتيجة بدهية للاعتراف القانوني الكامل واول موقف لدولة كبرى أو صغرى في منح اسرائيل صفتها الدولية أمام هيئة الامم المتحدة . وقد أدى هذا الموقف الشيوعي الى مقاطعة الهيئة العربية العليا اجتماعات مجلس الامن وظلت الجلسات والمناقشات تنعقد في غياب ممثلي عرب فلسطين . وذلك كان ما توخاه الاتحاد السوفياتي !

مع اعلان الدولة اليهودية الجديدة دخلت الجيوش العربية فلسطين لتنجذ أهلها وتمنع المؤامرة الدولية المثلثة الاطراف : الصهيونية - الشيوعية - الاستعمارية ، من أن تحقق هدفها في ابتلاع فلسطين . وكان على مجلس الامن أن يتحرك فورا بدعوة من الوكالة اليهودية التي آل اليها الحكم في الدولة الجديدة ، فتقدم الوفد الأمريكي في ١٧ ايار بمشروع لوقف القتال وآخر لاستقصاء حقائق المواقفين العسكري والسياسي في فلسطين . واتخذ مشروع الاستقصاء شكل أسئلة موجهة الى الطرفين المتنازعين : الدول العربية والهيئة العربية العليا في جانب ، والوكالة اليهودية في الجانب الآخر .

ولم يفوت المندوب السوفياتي الفرصة ليؤكد ارتباط شيوعيته بصهيونية المندوب اليهودي ، فسارع الى كيل الاتهام للدول العربية والعودة

(١) موسكو واسرائيل - للدكتور عمر حليق .

الى القول بأن التقسيم هو خير الحلول . و اضاف الرفيق الصديق غروميكو هذه المرة الى ما اطلق على الصهيونية من حميد الصفات والمزايا تعريفاً جديداً لها ، فاسماها « حركة التحرير الوطنية » وزعم أن مشاعر العرب لا تناوئ هذه الحركة الوطنية وانما تناوئها الرجعية العربية . ودعا غروميكو الى وضع حد للعدوان العربي المسلح فوراً وبحزم . ثم ما لبث مندوب السوفياتي بالامس ووزير خارجية الدولة التي يحج بعض العرب الى كعبتها اليوم ، أن تقدم بمشروع قرار يدين العرب بالعدوان ويتهددهم بغرض العقوبات ، فلم يستجب مجلس الامن لمشروع قراره ، وانتهت المناقشة في المجلس الى اقرار الهدنة الاولى لمدة أربعة اسابيع بدأت في الحادي عشر من شهر حزيران عام ١٩٤٨ .

السلاح والمنطوعون ؟

في خلال ذلك ، وفيما كان مجلس الامن يبحث الموقف في فلسطين ، كانت البلدان الشيوعية يعمرقة الاتحاد السوفياتي وتأييده ، تفسح المجال أمام المتطوعين اليهود من الشبان الذين دربتهم للسفر الى فلسطين والمساهمة في القتال الى جانب العصابات اليهودية المسلحة ضد العرب . وقد بلغ عدد هؤلاء فيما روت المصادر الصهيونية عشرين ألف مسلح وفدوا الى فلسطين من تشيكوسلوفاكيا وبولونيا ورومانيا وبلغاريا ، بالإضافة الى السلاح الذي ما لبث بعد فترة الهدنة الاولى أن تدفق بالتهريب على اسرائيل من تشيكوسلوفاكيا وفيرا غزيرا .

اوكل مجلس الامن مهمة الاشراف على تنفيذ الهدنة الى الوسيط الدولي في فلسطين الكونت برنادوت الذي سبق وانتدبته الامم المتحدة لهذه المهمة . وقد عرض الاتحاد السوفياتي في السادس من حزيران عام ١٩٤٨ ، وقبل أن يتوصل برنادوت الى وضع قرار الهدنة موضع التنفيذ ، أن يمنحه بقوة عسكرية سوفياتية لردع المعتدين العرب ، ثم عرض أن يقدم له مراقبين عسكريين سوفيات يشرفون على ضبط أمن الهدنة واسحاب العرب الفزاة! وعاد غروميكو الى التنديد بالموقف الامريكي قائلاً : اذا كانت السياسة الامريكية قد اختلفت من خلق الدولة اليهودية ، فسياسة الاتحاد السوفياتي

ثابتة في هذا . « لقد أبدنا خلق الدولة اليهودية ، ونحن نصر على الاعتراف الكامل بها وحمل الامم المتحدة على تنفيذ ذلك وجعل هذه الدولة حقيقة ثابتة » .

ادى برنادوت مهمته على اتم وجه وقدم الى مجلس الامن مشروعا اعتقد أن فيه السلام والامن . وقد عالج برنادوت في مشروعه ذلك لا الحالة الطارئة في فلسطين اي القتال ، بل اصل المشكلة الفلسطينية . وكان جوهر مشروعه الاحتفاظ بوحدة فلسطين تحت حكم عربي يهودي مشترك ، وإدارات ذات حكم محلي ، يهودية حيث اليهود اكثرية ، وعربية حيث العرب اكثرية . وتضم منطقة شرق الاردن الى فلسطين لتفدو جزءا منها بوصفها منطقة جغرافية متممة .

ولم يرض المشروع اليهود لانه يلغي التقسيم ويبطل اقيام وطنهم المستقل ، وايدهم الشيوعيون في هذا الموقف فهاجموا برنادوت ومشروعه ، واتهمه غروميكو بمعاداة اليهود ومحاباة العرب وبانه - كالعادة ! - عميل للاستعمار !!

في هذا الجو ، كان لا بد للقتال من ان يتجدد في فلسطين ، في اعقاب انتهاء الهدنة الاولى في التاسع من شهر تموز ، فطالب الكونت برنادوت مجلس الامن بالعمل مجددا على وقف القتال تمهيدا لحل يصون وحدة فلسطين وينقذها . ودعا برنادوت الى الاهتمام باللاجئين الفلسطينيين الذين بداوا بالتدفق هربا من الضغط واملا في العودة متصرين ، فرد غروميكو على الوسيط الدولي بان مسؤولية طرد العرب من اراضيهم تقع على الرجعية العربية التي بدأت القتال ، وليس على اليهود الذين نفلوا مقررات الامم المتحدة بتقسيم فلسطين ومارسوا حقهم في اقامة دولتهم القومية الخاصة .

الاتحاد السوفياتي ينعو الى

توطين اللاجئين !!

وحين اثار المندوبون العرب مسألة اللاجئين في جلسات مجلس الامن المتعاقبة بعد ذلك ، رد غروميكو ممثل الدولة الصديقة الوقية اليوم (!)

بأن المعلومات العربية حول الموضوع تفتقر الى الدقة والصدق ، وإن لا بد من موافاة مجلس الامن بتقرير من الوسيط الدولي برنادوت . وكان الهدف من الموقف السوفياتي هذا هو تقوية السدوى الصهيونية بأن حل مشكلة اللاجئين يجب أن يكون ضمن تسوية شاملة لقضية فلسطين وليس جزءا مستقلا عنها . وغني عن التوضيح ان في هذا الموقف دعما جديدا لكيان اسرائيل وبقائها .

وكما اثير موضوع اللاجئين العرب امام مجلس الامن اثار المندوب السوفياتي موضوع اللاجئين اليهود في اوربا وضرورة افساح المجال امام هجرتهم الى فلسطين واستقرارهم فيها . ثم كانت الدعوة الى توطيس اللاجئين في البلاد العربية أول دعوة أطلقها المندوب السوفياتي على الاطلاق، تماما كما كانت دعوة التقسيم ذاتها ، أي دعوة إقامة اسرائيل ، دعوة سوفياتية أولا .

ففي جلسة الثامن عشر من شهر آب ١٩٤٨ تحدث يعقوب مالك المندوب السوفياتي امام مجلس الامن عن مشكلة اللاجئين فقال : « ان الحل الوحيد لمشكلة اللاجئين ليس في تقديم المعونات لهم بل في توطيتهم ضمن البلاد العربية ووفق مبادئ التعايش السلمي التي تجمع الجماهير التقدمية للعرب واليهود معا » .

وظلت قضية اللاجئين بعد ذلك قائمة ، لم يتبدل اي معطى من معطياتها الاساسية :

• برنادوت يطالب بعودة اللاجئين والاهتمام بهم والعرب يطالبون باعادتهم .

• واسرائيل ترفض الا بشرط التسوية الكاملة .

• والاتحاد السوفياتي يؤيد اسرائيل ويعتبر الرجعية العربية هي المسؤولة وهي المدعوة الى ايجاد الحل لمشكلة اللاجئين باموالها ، وفي اراضيها لا في فلسطين .

ثم اغتيل الكونت برنادوت في ١٧ ايلول ١٩٤٨ . اغتالته الصهيونية
لانه ظل حتى اللحظة الاخيرة وفيا لمهمته صادقا فيها ، وجداني المسلك
والفكر والتنفيذ .

وحين دعا وخز الضمير فيما بعد الدول الغربية كبراها وصغراها التي
ساندت الصهيونية، الى اسعاف اللاجئين ومساعدتهم وانشاء وكالة الفوث ،
عارض المندوبون الشيوعيون جميعا هذا الاتجاه واصروا على موقفهم
الاساسي من قضية اللاجئين والتوكيد على مسؤولية الاستعمار والرجعية .
ولم يفر اللاجئين العرب بكلمة عطف واحدة من ذلك السيل الذي اغدقه
الرفيق غروميكو على اللاجئين اليهود في اوربا ، ولم ير الاتحاد السوفياتي
الصديق وجها للمقارنة بين المأساتين ، لسبب بسيط هو ان الفكر العربي
لم يسهم اسهام الفكر اليهودي في صياغة الشيوعية ، ولا في انتصارها !

وفي مناقشة موضوع اللاجئين العرب اعتبر الرفيق « بافلوف » (١)
ان شركات البترول مسؤولة ايضا عن رفض التقسيم . واقترح حلا لمشكلة
هؤلاء والمشكلة الفلسطينية برمتها « التعايش السلمي بين العرب واليهود
وفي ظل انظمة ديموقراطية تقدمية تخدم جماهير العرب وجماهير اليهود
 وتمثلها جميعا عقيدة وحكما ... » .

لم تغلح الهدنة في كبح جماح الفضب العربي ، ولا افلحت في كبح
جماح العدوان الصهيوني . فكان الموقف يتفجر بين الحين والحين ، وترد
من الوسيط الدولي الجديد الدكتور رالف بانث الذي ورث مهمة الدكتور
برنادوت ، تقارير تكشف تعمق الجانب اليهودي افتعال اسباب الحرب والقتال
واضطراب الجانب العربي الى الرد .

ولم يكن التقسيم ، كما اسلفنا القول ، هدف الصهيونية الاخير ،
فالتقسيم مرحلة ايدها اليهود لانها اقرت من حيث المبدأ قيام اسرائيل وهو

(١) السفير السوفياتي في باريس . وكانت جلسات الجمعية العامة في تلك الفترة
من عام ١٩٤٨ تنعقد في باريس .

ما كانت الحركة الصهيونية بحاجة اليه اولا . فلما تحقق لها ما ارادت عمدت الى تفجير الموقف على نحو مستمر لتحقيق مكاسب تزيد على التقسيم . وهذا ما فعلته بالضبط عام ١٩٤٨ ، ثم عام ١٩٥٦ ، ثم عام ١٩٦٧ .. والبقية تأتي .

الإتحاد السوفياتي يؤيد

إحتلال النقب

وفي اواخر ايلول من عام ١٩٤٨ كان القتال يتسع على جبهة النقب حيث كانت تطمع اسرائيل في ضم هذه المنطقة اليها وامتلاكها . ومنطقة النقب كانت عربية بموجب قرار التقسيم ، ثم بموجب مشروع برنادوت . فضلا عن انها عربية قبل ذلك بالفي عام .

وفي منتصف شهر تشرين الاول كانت القسوات الاسرائيلية توسع جبهة هجومها الواسع على المواقع المصرية في النقب ، وتتمركز في المنطقة مدعومة باحدث ما صدرته اليها تشيكوسلوفاكيا من سلاح ، وبخيرة المدرعين الشيوعيين من اليهود الذين هاجروا اليها وفق برنامج سوفياتي - صهيوني مشترك .

وحين طرح الموضوع امام مجلس الامن واقترح المندوب السوري (١) انسحاب القوات الاسرائيلية من المواقع التي احتلتها خلافا لمقررات الامم المتحدة وتحديا لها بما فيها قرار التقسيم وقرار الهدنة - وقد نص القرار الاخير على تجميد الموقف وحظر على طرفي النزاع تحقيق مكاسب جديدة - وقف المندوب السوفياتي يعقوب مالك معلنا ان على مجلس الامن الموافقة على وقف القتال دون انسحاب اليهود من المواقع التي احتلوها في النقب . ولم يستمع مجلس الامن الى نصيحة المندوب الشيوعي فاقر المقترحات

(١) هارس الغوري .

العربية وأوجب على القوات اليهودية الانسحاب . ولم تستجب اسرائيل لذلك بالطبع . وحين عاد مجلس الامن للبحث في موقف اليهود الجديد كان الاتحاد السوفياتي وحده - واوكرانيا معه - الذي أيد ما اعطاه اليهود من تفسير لموقفهم . واضطر مجلس الامن الى أن يبحث مشروع قرارين أحدهما قدمته انكلترا والصين وبلجيكا وفرنسا وفيه ادانة اسرائيل وتهديدها بفرض العقوبات عليها ان لم تنسحب من المواقع التي احتلتها ، وثانيهما قدمته اوكرانيا - بتوجيه الاتحاد السوفياتي وتأييده - وفيه دعوة الى التعايش السلمي واحلال الوفاق العربي الاسرائيلي محل الخلاف ، والسلم محل الحرب . ولم يشر المشروع الشيوعي من قريب ولا بعيد الى موضوع تجاوز اسرائيل حدود التقسيم الذي كان الاتحاد السوفياتي نفسه أول من دعا اليه وأول من نادى بتطبيقه ، ثم أكثر من دافع عنه واشد من تحمس له .

وكان المعنى الوحيد للموقف السوفياتي هذا هو انه يقر اسرائيل على كل ما تطلب وما تبغي ، ويؤيدها بلا قيد ولا شرط في كل ما تفعل وتقول ، ولا يرى الحق الا في جانبها ولمصلحتها ومعها ، ولا الباطل الا في جانب العرب ولمصلحتهم ومعهم !

• كان الموقف السوفياتي صهيوني الظاهر والباطن ، الهوى والغاية .

ففي تلك اللحظات لا يستطيع المراقب وهو يراجع النصوص ويقلبها أن يجد اي فارق ما بين موقف الشيوعية والصهيونية المتطابقين ، ولا فكرها الواحد المشترك .

فارس خوري يتهم الاتحاد السوفياتي

بعد أن ضمن الاتحاد السوفياتي لاسرائيل أهدافها الاولى في التقسيم والثانية في النقب والجليل ، انتقل الى مرحلة جديدة طالب فيها بسحب القوات العربية من فلسطين بفرض تركها جميعا لقمة سائفة امام اسرائيل . فدعا في مشروع قرار قدمه الى اللجنة السياسية في أواخر شهر تشرين الثاني واشترك في تقديمه معه دولة شيوعية أخرى يمثلها يهودي هي

بولونيا ، يدعو الى اتخاذ التدابير اللازمة لسحب القوات العربية من الاراضي الفلسطينية . وقد اضطر مندوب سورية يومها فارس الخوري ان يحدد موقفا صريحا من هذه السياسة ، فوقف يقول في لهجة الغضب الجريح :

« ان موقف الاتحاد السوفياتي من تطور القضية الفلسطينية شيء مخيف . فهو سكو لا تريد العدل ولا الانصاف ولا السلام ولا مبادئ الامم المتحدة . ان كل ما تريده هو زرع استعمار جديد في القلب من العالم العربي ، فاذا كان هذا هو حال السياسة السوفياتية هنا فلا لوم علينا ولا تريب اذا نحن كفرنا بكل شيء : بالغرب والشرق معا » .

وانتقل الاتحاد السوفياتي بعد ذلك في حضانة اسرائيل - بعد ان قام بدور المولدة لها - الى تحديد مهام لجنة التوفيق الدولية المقترحة ، فحددها بالتقسيم وطالب بالمحافظة على حدود اسرائيل التي بلغتها وصون مكاسب ثورة التحرير الوطني اليهودية . والتعبير هنا منقول عن خطاب رسمي للمندوب السوفياتي « تسارابكين » ، سبق ونشره مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في بكين ! وعارض المندوب الصديق كل محاولة لجعل مهمة لجنة التوفيق تشمل ابعاد من حدود التقسيم كمشروع برنادوت او مشروع الوصاية الدولية الموقتة الاميركي للمحافظة على وحدة فلسطين الجغرافية . واستطاع الاتحاد السوفياتي في نهاية المطاف ان يجعل مهمة اللجنة غير محددة اطلاقا ، وبذلك حال دون الاشارة الى كل ما قد يلقي فكرة التقسيم الاصلية ، اي قيام اسرائيل .

وانتهت المؤامرة الدولية المثلثة فصولا في ٣ آذار من عام ١٩٤٩ ، حين اقرت الامم المتحدة انتساب اسرائيل اليها ، فقررت بذلك عين الاتحاد السوفياتي الصديق ، وبدا الاعداد ياتقان لمرحلة ما بعد قيام اسرائيل : مرحلة التعايش السلمي ، وسنخصص لهذه المرحلة فصلا آخر من هذه الدراسة بعد ان نناقش بعض مواقف الاتحاد السوفياتي من قيام اسرائيل في الامم المتحدة ونقدم النصوص المثبتة لهذه المواقف .

على هامش الموقف الصهيوني

من العرض السريع المتقدم لموقف الاتحاد السوفياتي والدول الشيوعية الملحقة به ، خلال عرض القضية الفلسطينية أمام الأمم المتحدة ، يتضح لنا ان هذه المواقف لم تكن تقل في صهيونيتها عن موقف الوكالة اليهودية مثلاً . فلم يتحرج الاتحاد السوفياتي منذ البداية في اتخاذ موقف التأييد المطلق والتنسيق التكاملي بينه وبين الحركة الصهيونية قبل قيام اسرائيل وبعد قيامها .

ومن مطالعة النصوص والوثائق التي تفصّل بها سجلات الأمم المتحدة ، ويستطيع كل مواطن الحصول عليها بطلبها بأية لغة شاء ، يتضح لنا عدد من الحقائق الأولية :

✽ فالإتحاد السوفياتي أول من عارض اقتراح العرب باعلان استقلال فلسطين وتحررها من الانتداب البريطاني وإقليم حكم عربي فيها يضمن للأقلية اليهودية بأي شكل مقترح من أشكال الضمان ، كل حقوق المواطنة .

✽ والاتحاد السوفياتي أول من اقترح تقسيم فلسطين ولم يكن قد ورد بعد مثل هذا الاقتراح على لسان أي مندوب غربي ، ولا في أي بحث أو مشروع من أبحاث المشكلة الفلسطينية أو مشروعات حلولها .

✽ والاتحاد السوفياتي أول من دعا الى مشاركة الوكالة اليهودية في أعمال الأمم المتحدة كممثلة لليهود فلسطين وأقرت الجمعية العامة ذلك ،

فكان بداية الاعتراف بالدولة اليهودية القادمة .

✳ والاتحاد السوفياتي أول من عارض في دعوة ممثلي عرب فلسطين على نفس مستوى دعوة ممثلي يهودها ، وترك أمر دعوة الممثلين العرب الى اللجنة السياسية الموقته لتظل للوكالة اليهودية صفة التمثيل الاعلى .

✳ والاتحاد السوفياتي أول من دعا الى التوسع في الاستماع الى ممثلي اليهود بحيث يشمل المنظمات والاحزاب والهيئات اليهودية الاخرى في العالم بوصفها جميعا ذات صلة بقضية فلسطين !

✳ والاتحاد السوفياتي أول من دعا الى مساهمة الدول الكبرى في حل المشكلة الفلسطينية وابدى استعدادا للمشاركة في فرض الحل على اساس حق اليهود في وطن قومي بفلسطين !

✳ وتشيكوسلوفاكيا ، تابعة الاتحاد السوفياتي ، أول دولة امدت يهود فلسطين بالسلاح وبالمدرين ذوي الخبرة العسكرية من الرجال والنساء للمساهمة فيما اسماه الاتحاد السوفياتي حركة التحرير الوطني اليهودية !

✳ والاتحاد السوفياتي أول من استنكر التراجع الاميركي عن التقسيم واقترح الوصاية الدولية الموقته للمحافظة على وحدة فلسطين الجغرافية والسياسية .

✳ والاتحاد السوفياتي أول من اطلق على المتطوعين العرب للدفاع عن فلسطين ثم الجيوش العربية بعد ذلك ، نعت العصابات العربية ، وعلى التدخل العربي المشروع في فلسطين صفة الغزو والعدوان ، وطالب بانزال العقوبات بالغزاة !

✳ والاتحاد السوفياتي أول من استخدم تعابير الرجعية العربية واتهمها بالتواطؤ مع الاستعمار ضد مصالح الطبقتين العاملتين اليهودية والعربية ذوات المصالح المشتركة في التعايش السلمي والاخوة !

✽ والاتحاد السوفياتي أكثر من يكي واستبكي على ما أصاب اليهود من فظائع النازية لتبرير اقامة وطن قومي لهم في فلسطين .

✽ والاتحاد السوفياتي أول من اعترف اعترافا قانونيا كاملا بالدولة الاسرائيلية التي لعب في اقامتها دور المولدة ، ثم المرضع ، وساعد ما استطاع على التخفيف من عسر الولادة ومصاعبها !

✽ والاتحاد السوفياتي أول من شجع دول أوروبا الشرقية على تهجير اليهود القادمين الى فلسطين لدعم اقامة الوطن القومي فيها على حساب أصحابها الشرعيين !

✽ والاتحاد السوفياتي أكثر من دافع عن حق اليهود في التوسع وراء حدود التقسيم في النقب والجليل وغيرها !

✽ والاتحاد السوفياتي أول من عارض في عون اللاجئين العرب وما زال الى اليوم يمتنع عن تقديم العون لهم !

✽ والاتحاد السوفياتي أول من عارض في عودة اللاجئين الفلسطينيين الى وطنهم فلسطين ودعا الى توطينهم حيث هم في البلاد العربية ، واعتبر الرجعية العربية هي المسؤولة عن مأساتهم برفضها التقسيم ، أي برفضها قيام اسرائيل !

✽ والاتحاد السوفياتي أول من دعا الى سحب القوات العربية من فلسطين ، لتبقى برمتها لقمة سائغة أمام الصهيونية تفرسها وتقيم فيها كلها الوطن المقترح !

ذلك كله تكشفه وثائق الامم المتحدة وضبوط جلساتها . وقد اجملنا مواقف الاتحاد السوفياتي هذه ، بعد ان قدمنا عرضا لها فيما سبق ، ولم نفصلها لان التفصيل فيها يحتاج الى مجلدات ضخمة حتى يستطيع القارئ ان يحيط ويلم بكل مواقف واقوال المندوب السوفياتي في الامم المتحدة

ومندوبي الدول الشيوعية الاخرى ، في تأييد قيام اسرائيل وفي التمهيد لها ، ثم في رعايتها وتوفير ظروف استمرارها وشروط بقائها وقوتها .

ولقد ورد في تفسير الموقف السوفياتي وتبريره على السنة الشيوعيين خدمه المحليين ، ثلاثة اسباب :

اولها ان الاتحاد السوفياتي بوصفه دولة متحررة كان حريصا على طرد الاستعمار البريطاني اولا وقبل كل شيء .

وثانيها ان الاتحاد السوفياتي ، متأثرا بحربه الوحشية مع النازية وبضحاياه ، كان ينظر الى المسألة اليهودية بعطف خاص لما نال اليهود على يد النازية وما اصابهم من بطشها واذاها .

وثالثها ان الاتحاد السوفياتي كان يرمي الى اصطناع مشكلة في منطقة الشرق الاوسط تساعد على تحريك شعوبها المتخلفة وبالتالي على تحريرها .

لنناقش الآن وجهات النظر الثلاث ، وهي كل دفاع الشيوعية عن نفسها في تفسير موقفها وتبريره .

طبعا ، وقبل كل شيء ، يجب ان نستبعد السبب الاول لتأييد اسرائيل وهو طرد الاستعمار البريطاني من فلسطين .

فلاستعمار البريطاني قد حدد لنفسه بنفسه موعدا للرحيل فسي ١٥ ايار من عام ١٩٤٨ . وقد اوضح رغبته في ترك فلسطين بمذكرة رسمية طرح فيها المشكلة الفلسطينية على الامم المتحدة وطالبها بالبحث عن حلها تحت عنوان : « مستقبل الحكم في فلسطين » ، كما سبق وراينا في العرض الموجز لتطور القضية الفلسطينية امام الامم المتحدة .

ثم ان البلدان العربية المستقلة يومذاك والمنتمة الى الامم المتحدة عارضت الاقتراح البريطاني باقتراح مبدئي ويتفق مع ما ينادي به الاتحاد السوفياتي - لو ان ما ينادي به كان صدقا - ، فقد اقترحت الدول العربية اعلان استقلال فلسطين فورا واقامة حكم عربي فيها يضمن للأقلية اليهودية كل حقوق الحياة والمواطنة . وما كان العرب بحاجة طبعا الى ما يؤكد ذلك

لان اقلبات يهودية كثيرة كانت تحيا في اكثر من بلد عربي وتمتع فيه بالحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يتمتع بها كل مواطن .

ففي دمشق مثلا - وفي القاهرة ايضا - كان لليهود قبل حرب فلسطين ممثل في البرلمان - على قلتهم - وكان لهم وجود مماثل لوجود الاكثرية سياسيا واجتماعيا ، وربما اكثر منه اقتصاديا .

ولكن الاتحاد السوفياتي اثر ان يقف ضد المقترحات العربية وان يعارضها وان يؤيد المطلب البريطاني ببحث مستقبل الحكم في فلسطين ، ملتقيا في ذلك - لا معارضا - مع السياسة البريطانية ، وموافقا على مخطتها لا مختلفا معها ولا مناقضا هدفه لاهدافها .

ثم ان ما ظهر بعد ذلك من رعاية الاتحاد السوفياتي للحركة الصهيونية ودعم مطالبها وتبني اهدافها - بل اكثر من اهدافها - يرد دعوى حرصه على طرد الاستعمار البريطاني من فلسطين ليؤكد اتفاق الهدف بينه وبين الصهيونية والتقاء فكره بفكرها ووقع خطاه على خطاها .

ففي جلسة السادس والعشرين من شهر تشرين الثاني لعام ١٩٤٧ - وفيما الجمعية العامة للامم المتحدة تبحث مشكلة فلسطين على ضوء ما اعلنته بريطانيا من عزمها على الانسحاب في الخامس عشر من شهر ايار - وقف غروميكو مندوب الاتحاد السوفياتي بالامس ووزير خارجيته اليوم يدافع عن التقسيم ويطالب بتنفيذه . وكان مما قاله :

« ان الاتحاد السوفياتي لا يوافق على ان التقسيم ظلم بحق العرب . فاليهود حقوق وصلات وروابط اقلية فلسطين ايضا . وقد قاست الامة اليهودية ظلما واضطهادا دائمين ، وكان آخر نماذجهم على يد الهتلرية . فمن الواجب ان نضمن لليهود وطنا قوميا حيث مطلبهم التاريخي في فلسطين » .

فاذا تجاوزنا في منطق السيد غروميكو موضوع التقسيم وموقف الدفاع المطلق عن حق اليهود في فلسطين ، فلنتوقف قليلا عند تعبير الامة اليهودية الذي استخدمه غروميكو ، وهو تعبير عنصري محض

صهيوني . بل هو ترداد أمين لما كتبه موسى هيس في كتابه **روما والقدس** « من ان اليهود يؤلفون اكثر من مجرد اتباع دين ، انهم يؤلفون قومية واممة » . ولما رددته بعد موسى هيس مؤسس الحركة الصهيونية **تيودور هرتزل** في كتابه « الدولة اليهودية » ، وما كتبه **لويس برانديس** قاضي المحكمة العليا في الولايات المتحدة الاميركية وأحد زعماء الحركة الصهيونية في كتابه « الصهيونية وامريكا » ، وما كتبه **الحاخام « موريس جوزف »** راعي كنيس اليهود البريطاني في لندن في كتابه « اسرائيل قومية » ، وما كتبه « **آرثر لويس** » في كتابه « اليهودية امة » .

وتتضح لنا أهمية هذا التوافق اذا عرفنا ان النظرة الشيوعية تقوم اصلا على انكار القوميات والنظر الى الشعوب والـدول من خلال وحدة الطبقات العاملة في كل ارض . فالقومية عندها مظهر استعماري ومرحلة متخلفة . ثم ان للامة شروطها الماركسية المعروفة التي حددها ستالين وهي وحدة الارض واللغة والثقافة والتقاليد والحياة الاقتصادية (١) وهذا ما لا ينطبق على حالة اليهود . فالصهيونية حركة تجمع من لم تجمعهم يوما ارض مشتركة ولا ثقافة مشتركة - ما عدا الثقافة الدينية التي لا تعترف بها الشيوعية - ولا لغة مشتركة ولا حياة اقتصادية مشتركة ولا تقاليد مشتركة .

واذن ، شيوعيا وقبل اية نظرة أخرى ومفهوم آخر ، لا يصح ان يطلق على اليهود تعبير امة .

ومع ذلك ، وفي ظل ستالين بالذات صاحب تعريف الامة ، يطلق مندوب الاتحاد السوفياتي « غروميكو » هذا التعريف على يهود العالم المنتمين لقوميات مختلفة ويحيون في شروط اقتصادية متباينة وبثقافات

(١) يعرف ستالين الامة بما يلي : « الامة جماعة ثابتة من الناس ، مؤلفة تاريخيا ، لها لغة مشتركة وارض مشتركة وحياة اقتصادية مشتركة ، وتكوين نفسي مشترك يجد تعبيرا عنه في الثقافة المشتركة » . ويضيف ستالين الى ذلك قوله : « ان كل علامة من العلام التي ذكرناها لا تكفي لتعريف الامة اذا هي اخذت منعزلة ، بل نذهب الى اكثر من ذلك فنقول: يكفي ان نعلم علامة واحدة من هذه العلام حتى تنقطع الامة عن ان تكون امة » .

مختلفة وبتقاليد لا تلتقي الا في تراثها الديني المفترض في الشيوعية ان تنكره وتماديه . فما الذي يجعل غروميكو يطلق تعبير « الامة اليهودية » ان لم يكن الفكر المشترك بين الصهيونية والشيوعية ، وكلاهما ينبع من ارض واحدة ويصب في بحر واحد وان تفرع الى فرعين : شيوعي وصهيوني ، بين المنبع والمصب !!

ولم يردد غروميكو التعبير مرة واحدة لنلتمس له العذر في زلة لسان أو خطأ تعبير ، وانما كرره في جميع دفاعه المتحمس عن اليهود ، وردده معه شيوعيون آخرون يمثلون الاتحاد السوفياتي أو دولا شيوعية مستذلة لا خيار لها .

ومما يسقط دعوى ان الاتحاد السوفياتي كان يرمي الى اخراج النفوذ الاستعماري الانكليزي باي ثمن ، ان هذا الموقف الشيوعي الصهيوني المعادي لحق شعب فلسطين قد استمر اوضح واعنف واحد ، الى ما بعد انسحاب القوات الانكليزية من فلسطين في الخامس عشر من شهر ايار عام ١٩٤٨ .

بل ان جميع مواقف الاتحاد السوفياتي الاشد عداء للعرب والاكثر تنصافا بالصهيونية قد توضحت بابعد مدى وهدفا في اعقاب الانسحاب البريطاني .

ويكفي أن نراجع في العرض السابق ثم في النصوص التي تلي الموقف السوفياتي لنرى ان اتهام العرب بالعصابات والمطالبة بايقاع العقوبات بهم ، والدعوة الى التعايش السلمي بين الجماهير العربية التقدمية والجماهير اليهودية ، ومعارضة عودة اللاجئين الى وطنهم فلسطين ، وتأييد سياسة التوسع الصهيوني في النقب والجليل : كل ذلك تم في اعقاب الانسحاب البريطاني وبعد أن أصبحت فلسطين هدفا للعدوان الصهيوني تدعمه وتؤازره الشيوعية بسلاحها ومتطوعها والاستعمار بنفوذه الدولي .

ولقد استمر الموقف السوفياتي في عدائه القنيم للعرب ومحاباته لليهود مؤيدا ونصيرا ، حتى اطمأن الى ان الدولة اليهودية غدت حقيقة واقعة .. حين ذاك فقط ، وباتفاق جديد في الهدف بين الشيوعية والصهيونية اخذ الاتحاد السوفياتي يتوحد الى العرب على يقيم في بلادهم الحكم الذي دعا

اليه منذ اليوم الاول للمشكلة الفلسطينية ، فلتحقق بذلك « وحدة الجماهير
التقدمية العربية اليهودية » وتذوب المشكلة الفلسطينية بنهاية الرجعية
العربية المعادية لاسرائيل !

نتنقل الآن الى الدعوى الثانية ، دعوى ان الاتحاد السوفياتي متأثرا
بحربه الوحشية مع النازية كان ينظر الى القضية اليهودية بعطف خاص ،
لما نال اليهود على يد النازية من بطش واذى .

جزئيا ، يمكن التسليم بأن الاتحاد السوفياتي ككل دولة أخرى خاضت
الحرب ضد النازية قد تأثر بما أصاب اليهود على يدها . فالاتحاد السوفياتي
نفسه أصابه الاذى ودفع الثمن غاليا في حرب واجه فيها الموت والابادة .
وليس يرضى انساني بأن يقف مكتوف اليدين امام مأساة تحل بفريق من
الناس أو مصيبة تصيبهم أو اذى يحوق بهم . ذلك موقف مفهوم وعادل .
بل ونشارك به في الالم لما أصاب اليهود والاستنكار .

ولكن هل كانت النازية عربية لندفع نحن ثمن جرائمها ؟!

ان مأساة الحرب العالمية الثانية وما أصاب العالم فيها من ويل تلحق
مسئوليتها بالنازية وحدها . وقد دُفعت الثمن في هزيمتها ونهايتها . وكان
اجدر بمن يبحث عن حل عادل لليهود أن يقطعهم ولاية المانية تكفر فيها المانيا
نفسها عن جرائم هتلر . اما ان يكون العرب الضحية ، فذلك منطق الظلم
والعدوان .

وواضح انه ما كانت الدول الكبرى ، شرقيها وغربيها ، لتبحث عن حل
لمشكلة اليهود في فلسطين لو أن العالم العربي كان قويا وقادرا على منع
الجريمة . فهو اذن منطق القوة - لا المبدأ - الذي جعل الاتحاد السوفياتي
يشارك في دفع فلسطين ثمنا لجرائم النازية ويقطع ارضها لغير أهلها .

كنا نفهم لو أن الاتحاد السوفياتي شارك في حملة عالمية لحماية حقوق
اليهود كمواطنين في كل بلد هم فيه ، ولو استن التشريعات لذلك واقترح
المبادئ وجعل من الامم المتحدة منبرا لدعوته ومكانا عاليا يرفع منه صوت
الدفاع عن حق الانسان اليهودي في مواجهة المطاردة المستمرة له ، ومهما
تكن مسئولية اليهود انفسهم فيها مساوية لمسئولية الآخرين .

كنا نفهم ذلك ونؤيده . فليس بنا عنصرية ولا تعصب . وليس يصح في عقيدتنا لانسان القرن العشرين وهو يتطلع الى الفضاء ويرتفع أن يظل عالقا في وحول العصبية والظلم والعداء .

اما ان يكون حل الماساة يماساة اقسى ، وازالة الظلم بظلم افدح ، ودفع الاذى باذى اشد ، فذلك ما لا يقره منطق ولا مبدأ ، الا أن يكون هذا المنطق منطق الرفيق غروميكو ، والا أن يكون هذا المبدأ مبدا المكيافيلية الشيوعية تلك التي تحلل كل حرام وتحرم كل حلال ، بحسب ما يحصلوا لها ويروق ويتفق اولا مع مصالحها ومطامعها واغراضها ما انكشف منها وما زال خفيا .

يبقى من تفسيرات الموقف السوفياتي وتبريرها ، ثالثها . وهو أن الاتحاد السوفياتي كان يرمي الى اصطناع مشكلة في منطقة الشرق الاوسط بغية تحريك شعوبها المتخلفة وبالتالي تحريرها .

وفي قناعتنا ان دراسة السياسة السوفياتية بعمق تجعل هذا التفسير اقرب الى المنطق واصح من غيره ، وان لم يكن وحده السبب ، وكان ينقصه الوضوح .

فالالاتحاد السوفياتي اراد في جملة ما اراد ، أن يلقي في المنطقة العربية بذرة تجن بها الارض الفوضى والاضطراب ، وتساعد على انتشار الحركة الشيوعية وتسلب النفوذ السوفياتي .

وذلك ان الاتحاد السوفياتي يدرك — كدولة ذات مطامع ومطامع تتجاوز حدوده الوطنية — انه حيثما سادت الفوضى وعم الاضطراب في البلدان المتخلفة ، فقد انفسح امامه مجال العبث والتدخل ، واستطاع ان يحقق حلمه او بعض حلمه القيصري .

ولقد اتى الاتحاد السوفياتي في تاييده للصهيونية في فلسطين — ذلك التأييد الذي اعطى ثماره دولة اسرائيل — القى بذرة الشيوعية ، وهذا اليوم يجني بعض حصادها : انظمة عربية تقدمية — الاسم فقط ! — ، وما زال يامل كالنار في الزبد !

وليس الحديث عن تحرر المنطقة والقضاء على النفوذ الاستعماري
ومكافحة الرجعية سوى شعارات براقية تم تحتها وباسمها عملية تشبييع
المنطقة وسحق شعوبها وتراثها .

ومما تصح الإشارة اليه هنا هو أن الشيوعية التي كانت تقول بلسان
غروميكو في الامم المتحدة أن مشاعر الشعوب العربية لا تناوئ حركة
التحرير الوطني اليهودية وإنما تناوئها الرجعية هي ذاتها التي تطلق اليوم
اتهام التواطؤ بين إسرائيل ومن تنعته بالرجعية العربية .

الموقف وضده في وقتين مختلفين وموضوع واحد . كالريح تختلف
مهابها وتظل ريحا . وليس ذلك سوى بعض وجه الشيوعية وبعض أسلوبها .
فكل شيء مباح في عرفها بهدف الوصول وتحقيق الغاية . ولقد كان الهدف
قبلا إقامة إسرائيل ودعم الصهيونية في مطلبها السياسي بإقامة وطن قومي
فجاء القول الشيوعي بأن مشاعر الشعوب العربية لا تعادي حركة التحرير
الوطني اليهودية وإنما تقاومها الرجعية العربية وأن هذه الرجعية هي التي
حملت لواء مقاومة التقسيم - أي مقاومة انشاء وطن قومي لليهود في
فلسطين .

ثم صار الهدف اليوم - وبعد أن اطمأنت الشيوعية الى قيام إسرائيل
وغدت حقيقة دولية - تشبييع المنطقة العربية تمهيدا « لاحتلال الاخاء والسلام
بين الجماهير العربية التقدمية والجماهير اليهودية التقدمية » فجاء عكس
الآية واتهام الرجعية العربية بالتواطؤ مع إسرائيل بعد أن كانت هذه الرجعية
ذاتها بالامس متهمة بمقاومة إسرائيل .

افك وبهتان وزور وخديعة ، ومغالطة بلا حدود ، وتآمر بلا خجل ،
وشيوعية متصهنة وصهيونية متشعبة ، وتسخير للمبادئ في سبيل
الغايات ، وتخديم للعقل والانسان من أجل المطامع ، واستعداد دائم للتقلب
والتذبذب واتخاذ الموقف ونقيضه في وقت واحد . . كل ذلك توصف به
سياسة الاتحاد السوفياتي وهوامشه ولواحقه في قضية فلسطين منذ عام
١٩٤٧ وإلى اليوم .

ولو نحن طالعنا النصوص بدقة ، وتصفحنا الخطب والبيانات وهي اكثر وافضل ما تجيده الشيوعية فسي كل محفل ، لوجدناها غاصة بكل ما يندى له جبين المبادئ خجلا وتطرق منه الرؤوس ارضا حياء .

فالاتحاد السوفياتي الذي يتظاهر اليوم - مجرد تظاهر - بتأييد العرب وبرهن عنده استقلالهم واقتصادهم وحاضرهم ومستقبلهم ، ثم يقف تأييده لهم عند حدود الكلمات والمظاهرات السياسية بما يحقق له هدف تشييع المنطقة دون ان يمس مصالح اسرائيل ولا كيانها . . هذا الاتحاد السوفياتي سبق له منذ عام ١٩٤٧ وخلال جميع جلسات الامم المتحدة - ثم بعد قيام اسرائيل والى اليوم - ان حدد هدفه بوضوح في موضوع التسوية العربية الاسرائيلية . فهو يقترح لها :

الهدنة الموقته ، فالسلم الدائم ، فالصلح ، فالتعايش الاخائي المتصل
في ظل حكم تقدمي مشترك يجمع العرب الى اليهود - بالطبع تحت وصاية صهيونية شيوعية عليا . ثم لا شيء بعد ذلك اقرب او ابعد . ومن يبحث جوهر الموقف السوفياتي بعد الحرب العربية الاسرائيلية الاخيرة - حزيران ١٩٦٧ - فلن يجد فيه اختلافا ولا فروقا اساسية عما كان عليه قبل عشرين عاما .

قد يرد على هذا الكلام نقوله اليوم سؤال بسيط هو :

هذا الموقف المعادي كل هذا العداء للحق العربي ، الم يكن في المندوبين العرب في الامم المتحدة يوما من عرفه وتصدى له وكشف اغراضه وخبثه . ولماذا لا يعرف الراي العام العربي عنه الى اليوم سوى ان الاتحاد السوفياتي اقر قيام اسرائيل مع دول اخرى فليس يزيدا مسؤولية ان لم ينقصها ؟

والجواب واضح بسيط ايضا .

ففي الامم المتحدة كان ثمة اكثر من مندوب عربي تصدى لفروميكو وللمندوبين الشيوعيين الآخرين وفضح الفرض الشيوعي والسياسة الشيوعية في قضية فلسطين . وبعض اولئك توفاه الله ، وبعضه ما زال حيا .

من هؤلاء كان الامير فيصل - ملك المملكة العربية السعودية اليوم -

ومحمود فوزي مندوب مصر ، وفارس الخوري مندوب سورية ، وكميل شمعون وشارل مالك مندوبي لبنان ، وفاضل الجمالي مندوب العراق .. الخ .

ولقد تصدى فارس الخوري مرة لفروميكو فالقى بتاريخ ٢٩ ايار ١٩٤٨ أمام مجلس الامن خطابا مطولا فضح فيه اغراض الاتحاد السوفياتي ومواقفه . وكان مما قاله :

« يتهمنا الاتحاد السوفياتي باننا نعبث بمقررات الامم المتحدة وهو أكثر من يعلم ان مصدر العبث والفسخ هو الدول الكبرى وليس الدول الصغرى .

ان مندوب الاتحاد السوفياتي يذكرنا بان حكومته سبق لها وايدت الدول العربية مصر وسورية ولبنان ، وقد سبق وشكرنا للاتحاد السوفياتي تاييده لنا في خصومتنا مع الاستعمار الاجنبي . لكننا لا نفهم الآن لماذا يعارض في صراعنا مع الاستعمار الصهيوني وهو احتلال اجنبي ايضا .

ان ما يؤسفنا هو ان الاتحاد السوفياتي يؤيد ويناصر ويحتضن الصهيونية ويحاول ان يمنحها حقوقا ليست لها . واستنادا لهذا التناقض في الموقف السوفياتي فان لنا ان نعتبر تاييد السوفيات للعرب في مسألة جلاء القوات الاجنبية عن اراضيهم لم يكن بدافع العطف ولا الحب لهم وانما بدافع الحقد على انكثرتا وفرنسا . ومن حقنا الآن ان نشك في مدى اخلاص الاتحاد السوفياتي للمبادئ او للعرب . وما يبدو لنا هو ان للاتحاد السوفياتي مآرب اخرى غير العطف على العرب والود لهم في مكافحة الاستعمار الاجنبي فسي بلادهم . هذا المآرب السوفياتي هو منافسة خصومه الغربيين . ان موقف الاتحاد السوفياتي من الاستعمار في الشرق الادنى ليس مرده الى الدفاع عن حقوق الشعوب العربية المستضعفة وانما ازالة نفوذ خصوم السوفيات في المنطقة . هذه المآرب لم تعد خافية . انها واضحة جلية . وهذا ما يدفعنا الى ان نعيد النظر في تقديرنا لسياسة الاتحاد السوفياتي ومواقفه .

ان مندوب الاتحاد السوفياتي يحرض الدول الاخرى علينا
ويدعوها الى ازالة العقوبات بنا وينذر بان التردد في هذا سيزيد
الموقف في فلسطين تعقيدا .. الخ» .

هذه المقاطع المقتطعة من خطاب مطبول لغارنس الخوري ، هي مجرد
نموذج للمواجهة العربية . ولم يكن وحده الذي جادل وحاول ، ففي احدى
الجلسات وكان ذلك في اعقاب قرار اللجنة الفرعية المنبثقة عن اللجنة
السياسية المؤقتة والمكلفة بمهمة درس المسألة الفلسطينية - تشرين الاول
١٩٤٧ - وقف مندوب لبنان الدكتور شارل مالك مغنفا سياسة الاتحاد
السوفياتي كاشفا اوراق اللعبة الاستعمارية الجديدة ، وتبعه الدكتور فاضل
الجمالي مندوب العراق متحدثا في الموضوع ذاته ومستنكرا موافقة الاتحاد
السوفياتي على التقسيم ، فما كان من الرفيق غروميكو وزير الخارجية
الروسي اليوم ، الا ان وقف يومذاك مهددا متوعدا محلذرا منلرا ، وجهه
كلامه الى مندوبي الدولتين العربيتين قائلا : « لن نغفر لكم هذا التحدي » .

وبالفعل لم يغفر الاتحاد السوفياتي لهما موقف الدفاع عن الحق العربي
في فلسطين - بقطع النظر عما اذا كنا نختلف معهما او نتفق - وقد دفعنا
معا ثمن التحدي !

بالطبع ، يصعب علينا في مجال دراسة محدودة كهذه الدراسة ان
نستعرض بالتفصيل كل ما قيل في تلك الايام لنؤكد حقيقة ارتباط السياسة
السوفياتية بالصهيونية وتوادهما ووقسح حوافرهما المشترك . فضبوط
الجلسات والوثائق والخطب والبيانات والنشرات والكتب التي ينبغي على
الانسان ان يطالعها بدقة تبلغ عشرات آلاف الصفحات وكلها غاص مليء
بمواقف التواطؤ ، وبالاتك الشيوعي الصهيوني ، وبالكثير مما يكشف اغراض
السياسة السوفياتية وراء كل مواقف العداء الاسود للحق العربي في فلسطين .

على ان من يطالع الوثائق ويراجع الوقائع يستطيع ان يكتشف آخافا
كانت مجهولة من الراي العام العربي . فالحكومات العربية على اختلافها كانت
وما تزال تحيا بعيدا عن القضية الفلسطينية ، غارقة او مفرقة في لجج الخصام
والنزاع والمشاكل . ومسؤولية المثقفين العرب تبسدت اعمق من مسؤولية
الحكومات وابعد ، فهم جميعا بين صامت خائف او ناعق بالاجر مشارك في

الافك . وليس الا القلة القليلة منهم تحمل مسؤولياتها الوطنية وتتصدى للفش والخديعة . وحتى هؤلاء لا يجدون المئون لنشر معرفتهم وحصيله متايعتهم ، وتتفق ضدهم كل ظروف التواطؤ المحيطة بالعرب . انهم موضع الرئاء من فريق والاتهام من آخر . . (1)

ان من يطالع الوثائق ويراجعها سينهله أن يجد في القضية الفلسطينية جوانب وزوايا اغرقها الصمت المتآمر أو الصمت الجبان . ولن يغفر لنا المستقبل جميعا ، مسؤولين ومواطنين ، اننا سكنا عن معرفة أو جهل – وكلاهما شر – طوال تلك السنوات عن مسؤوليات الشيوعية الدولية في قضية فلسطين ، مفسحين المجال بذلك لما نحن فيه اليوم ونخشاه من تقدم الشيوعية ، حتى لتوشك أن تفترس الحق والحرية على أرضنا جميعا وبلا مقاومه ، وبوهم أنها تساند قضايانا القومية وهي المتآمر الاول والاخطر عليها .

ونعود الى مناقشة الموقف السوفياتي في الامم المتحدة على ضوء الوقائع ، والوثائق :

في الخامس عشر من شهر حزيران عام ١٩٤٨ ، وكان ذلك في ظل الهدنة الاولى ، وقف غروميكو المندوب السوفياتي يطالب بإرسال مراقبين عسكريين سوفيات لضمان تنفيذ التقسيم وسلامة اسرائيل . وقدم غروميكو مشروع قرار الى مجلس الامن بهذا المعنى ، فرفض المجلس المشروع . ولم يجد العرب يومذاك في الموقف الروسي هذا سوى تأكيد جديد لمعنى الانحياز في جانب الصهيونية وضد الحق العربي . على ان الاحداث فيما بعد ، وبخاصة في السنوات الاخيرة ، كشفت هدفا روسيا آخر – وربما كان هذا الهدف في جملة الاغراض المشتركة الاخرى بين الصهيونية والشيوعية – هذا الفرض هو الوجود العسكري السوفياتي في منطقة الشرق الاوسط ، وهو وجود يحقق لروسيا حلما قيصريا قديما بالوصول الى البحار الدافئة .

(١) هذا الكتاب كان مقرودا له أن يصدر قبل أكثر من عام ، إلا أن ظروفنا خاصة هي جزء من ظروف التواطؤ التي تحدثت عنها حالت دون ذلك ، وسأترك الحديث عنها الى مناسبة أخرى!

ومن يتابع تطور السياسة السوفياتية واتجاهاتها يجد في اقتراح ايفاد المراقبين العسكريين عام ١٩٤٨ للاشراف على تنفيذ التقسيم **تظلماً مبكراً للوصول الى منطقة الشرق الاوسط** وتثبيت اقدامها فيها تمهيدا لافتراسها والحاقها ببقاها الحيوي . وقد وجدت السياسة الشيوعية في المشكلة الفلسطينية وعلى حساب العرب الفرصة لتحاول التسلل وباسم الامم المتحدة .

ولقد يؤكد هذه الحقيقة لنا ما عرضه الاتحاد السوفياتي في رسالة بولفانين الشهيرة الى ايزنهاور عام ١٩٥٦ - خلال العدوان الثلاثي على مصر - من ارسال قوة مشتركة لحماية الامن والسلام في منطقة الشرق الاوسط . ثم واتت الفرصة للاتحاد السوفياتي عن طريق صفقات السلاح الواسعة ، تلك التي اتاحت لمستشاريه العسكريين ان يصبحوا الحاكمين السريين لعدد من الانظمة العربية ليس يحتاج القاريء الى تسميتها وتحديدها فكلها **معروف** .

وفي الموقف نفسه ، والجلسة ذاتها - ١٥ حزيران ١٩٤٨ - وقف غروميكو يقول : اذا كانت امريكا ما زالت صادقة في تأييد الدولة اليهودية الجديدة في فلسطين فلماذا ترفض وجود المراقبين العسكريين السوفيات لضمان ذلك ؟ ان السوفيات هم اول مؤيد واكبر نصير واثبت من يدعو الى تنفيذ التقسيم وحماية الدولة الجديدة » .

وللقاريء ان يتوقف قليلا عند بعض الكلمات هنا . لا بما تكشف هذه الكلمات من حقيقة فهي واضحة كل الوضوح ، بل ليقارن ما بينها وبين كلمات تنتشر بيننا وتذاع وتجد صحفا كثيرة وابواقا ترددها . هذه الكلمات هي : « ان السوفيات هم اول مؤيد واكبر نصير واثبت من يدعو ... الخ » .

اليس يجد القاريء الكلمات ذاتها تتكرر اليوم في الصحف الشيوعية ولواحقها وهي تتحدث عن الاتحاد السوفياتي الصديق الثابت والنصير الثابت واول مؤيد للعرب .

احترنا . الاتحاد السوفياتي اكبر نصير لمن ؟ للعرب ام لليهود ؟
ام لهما معا وبقدر ما يخدم هذا الموقف الفرض الشيوعي - الصهيوني

المشترك : غرض السلم الدائم ، فالصلح ، فالتعايش بين الجماهير العربية التي تم تشييعها واستلابها من قوميتها وتراثها ، وبين الصهيونية المتحفزة لابتلاع المزيد ؟!

ولو رحنا اعرق مع النصوص نستقرئها الحقائق فسيروعنا ان نجد فيها جنورا لكل المواقف السياسية ، التي يتخذها اليسار العربي وتعلو عليه اليوم . فما من كلمة ولا تعبير ولا شعار اطلقه اليساريون بيننا - وقد كنت منهم يوما - الا ونجد اصوله فيما كان يطلقه الاتحاد السوفياتي من منابر الامم المتحدة وهو يحتضن الحركة الصهيونية كام رؤوم ، ويزيد في حماسه لها على حماسها لنفسها .

ففي مرحلة الحرب العربية الاسرائيلية - نيسان ١٩٤٨ - وكان موقف الامم المتحدة الرسمي ما زال مانعا يتأرجح بين قرار التقسيم الذي سبق واقترحه الجمعية العامة ، ثم الفته ، وبين المشروع الامريكي باقرار الوصاية الدولية الموقنة على فلسطين حفظا لوحدها الجغرافية والسياسية .. فسي تلك المرحلة وقف المندوب السوفياتي غروميكو يقول :

« ان امريكا لا تؤيد حق الشعب اليهودي في الحياة . والرأي العام الامريكي يستنكر منها ان تضحي باليهود لارضاء اصحاب المنافع الراسمالية في شركات البترول وغيرهم ممن تربطهم بالعرب المصالح . ان الصحافة العالمية بما فيها صحافة امريكا نفسها تستنكر التضحية بحقوق اليهود من اجل شركات البترول وزبائنهم العرب . ان الرأي العام البريطاني والفرنسي والبلجيكي وغيره يستنكر موقف امريكا المتراجع ، فقد اصاب الامة اليهودية فواجع وآلام لا حصر لها على يد النازية ، وليس اشجع من ان تركهم تحت رحمة عنصرية اخرى - يقصد العرب - او نسخر مصائب الامة اليهودية لمصالح البترول ورجاله العرب او الراسماليين . » .

فالحملة على البترول العربي قديمة اذن ، قدم الحملة على الرجعية وان اختلف اتجاه الحملة . فهو - اي البترول - كالرجعية ، بالامس ضد اسرائيل ويقتضي الهجوم ضد الشركات البترولية ربطها امام الرأي العام العالمي بموقف عنصري معاد لليهود للتحريض عليها . وهي - اي شركات البترول -

اليوم ، كالرجعية ايضا محالفة اسرائيل ، ويقتضي الهجوم ضدها ربطها امام
الراي العام العربي بالتحالف مع اسرائيل .

الموقف ونقيضه من جديد . ولكن وحدة الهدف تظل في النقيضين :
انها تحطيم مقومات الحياة العربية في اشكالها جميعا وتراثها ، تمهيدا لمحو
شخصيتها الوطنية ، ثم افتراسها على غرار ما افترس الروس أوروبا
الشرقية ووقعوا بها ذلا ونها لم يشهده بلد في ظل أي نظام استعماري
سابق ، مع فارق واحد وهو ان الشيوعية بنت الفكر اليهودي تمهد
لاستعمارها الاجد والاحدث والاشرس ، بتدمير الفكر القومي أولا والثوب
على الانسان من داخله وقناعته ، ثم على البلد من داخله ايضا وبعض مواطنيه
ممن استلبته من نفسه !

وليس الموقف من البترول وحده ، ولا الموقف مما يدعى الرجعية
العربية وحدها ، هما كل أدلة التوافق وارتباط الفروع بالاصول . فثمة
الدعوة الى الحكم التقدمي والتعايش السلمي ، والحديث عن حركات التحرر
الوطنية .. الى آخر ما يطلق اليسار العربي اليوم من تعابير استقاها من
مواقف الاتحاد السوفياتي بالامس وهو يدافع عن قيام اسرائيل .

ومن الغريب ان يكون التمسح بالدين والتظاهر بالدفاع عنه ايضا هو
احد وجوه الاتفاق وادلته . فكما يتمسح اليسار العربي اليوم بالدين مرة
بعد مرة في محاولة تحقيق اغراضه خطوة بعد خطوة ، كذلك كان الاتحاد
السوفياتي يتمسح بالدين في معرض تاييده تقسيم فلسطين ومنح اليهود
وطنا قوميا لهم فيها .

ولقد بلغ به التصهين درجة الخروج على مألوف سياسته ومعروفها
من اجل توليد الدولة اليهودية وحمايتها .

ففي جلسة مجلس الامن بتاريخ ٢٩ ايار ١٩٤٨ وقف غروميكو وزير
الخارجية الروسية اليوم واحد أبرز عناصر الشيوعية في العالم ، وقف يبكي
على القدس الشريف ويستبكي ، ويستثير ضمير المسيحية محرضا لها على
العرب بدعوى ان القدس هدف لعنوان عربي مسلح !!

قال غروميكو :

« ان الصراع في فلسطين تفجره الرجعية العربية والاستعمار ، مما يجعل مجلس الامن مشغولا ومقيد اليد في حماية القدس وضواحيها وهي التي تعتبر مركزا استثنائيا عند الاديان . فهل وصل العجز بالامم المتحدة حدا لا تعبأ فيه بالضرر الذي سيصيب العقائد الدينية في القدس بسبب العدوان العربي المسلح ؟

هل نسي مندوب الارجنتين ان اغلبية بلاده الكاثوليكية يهملها ان لا تصاب المراكز الدينية في القدس بأذى ؟ وهل نسي مندوب الولايات المتحدة الامريكية ومندوب بريطانيا ان يروتستانت بلادهم اطلقون على مصير الاماكن المقدسة في فلسطين المعرضة للعدوان ؟ ام ان على العالم بأسره ان ينتظر من دعاة الالحاد وحدهم الدفاع عن حرمة الاماكن المقدسة في فلسطين ، خاصة وان ممثلي الدول البروتستانتية والكاثوليكية في مجلس الامن قد اختاروا الامتناع عن معونة الاتحاد السوفياتي في صون معاقل الدين في فلسطين »

بمثل هذا النفاق المركب كان الاتحاد السوفياتي يعرض القضية الفلسطينية ويمعن فيها تشويها ومسحا خدمة لاغراض الصهيونية والتقاء معها فكرا وهدفا ووسائل .

فالدولة الشيوعية الاولى الملحدة التي من تعاليمها ان تعتبر الدين والله والغيب اكاذيب صنعها الانسان وتحطمها الشيوعية ، يقف مدافعا عن حرمة الاماكن المقدسة في القدس محرضا جماهير المسيحيين ضد حكومات بلادهم لان ممثلي هذه الحكومات لم يأخذوا بوجهة نظر الاتحاد السوفياتي ولم يبلغوا في خضوعهم للصهيونية وارتباطهم بها ما بلغه الاتحاد السوفياتي يومذاك .

ولكم وددنا لو قرأ بعض المخدوعين في بلادنا ، ممن يرون في سياسة الاتحاد السوفياتي سياسة مبدئية ثابتة ومع الحق والعرب ، هذه النصوص جميعا ، ليروا كم كان في مواقف الاتحاد السوفياتي من تناقض مع ظاهر المبادئ الشيوعية ومكتوبها وكم كان فيها من عدوان على الحق المقدس ،

حق الشعوب في ان تقرر مصيرها بحرية وعلى ارضها وبغير قوة تفرض عليها
حلولاً لا ترضاهم .

والمفارقة هنا لا حدود لسخفها وغرابتها . فالاتحاد السوفياتي الدولة
الملحدة المعادية للدين والتي شعارها ما قاله لينين : « الدين افيون الشعوب »
.. هذا الاتحاد السوفياتي يفدو في لحظة الحماس الصهيوني مدافعا صلبا
عن قدسية القدس ويخشى عليها من العدوان العربي !

هل في الادلة على صهيونية الشيوعية وشتوعية الصهيونية ما هو
ابعد من هذا واكثر دلالة ؟

ثم ترتفع عندنا اصوات المغفلين والمخدوعين بعد كل ذلك تدافع عن
الصداقة العربية السوفياتية ، ويسمح للحزب الشيوعية ان تمارس
نشاطها المخادع وتوزع الفساد والافك ، ولا يتحرج اليسار العربي القومي
من ان يزيد في تعاونه مع هذه الاحزاب ويزيد في اتجاهه المستسلم لروسيا
وهو لا يدري اية هوة يحفر في هذا لنفسه وبلاده .

لك مجرد ملاحظات على هامش الموقف السوفياتي في الامم المتحدة ، ولم
نناقش هذا الموقف من زاوية المبدأ وبالمقارنة مع النصوص المكتوبة ، لاننا
نخدم الشيوعية لو اعتقدنا انها كمبدأ تناهض الصهيونية والعدوان وان الخطأ
في مؤيديها وانصارها . فالشيوعية ككل دعوة اخرى تكتسب معناها
ووضوحها في التطبيق وليس في الكتب . وكما نجدها في التطبيق ليست
اكثر من مذهب يحلل كل شيء لمؤيديه ويحرم كل شيء على معارضييه
وخصومه ، بغرض افتراس السلطة واغتيال الحكم .

انها شهوة متوثبة في نفوس يملؤها المرض ، وتستبد بها بدائية الانسان
الاولى ، فتحاول ان تحقق نفسها باية وسيلة وبكل اداة .

مجرد موقف عاجز تجاه الحضارة ، لا تستطيع ان ترتفع فوقها فهي
تحاول ان تدمرها ، ولا ان تزيد فيها فهي تحاول ان تنقصها ، ولا ان تعطيها
فهي تجهد لتأخذ منها ..

عشب طفيلي يتسلق ..

وكلمات مختارة تغطي نفاقا وجبنا وتهالكا على السلطة ، ورغبة جامحة
في البطش والانتقام من كل ما هو أعلى لأنها لا تستطيع أن تكون الأعلى ..

ثم أخيرا : الفاء كامل للحرية والعقل والضمير والوجدان ، واستعباد
ذليل للإنسان من داخله ، بلا هدف نبيل .

تلك هي الشيوعية كما نكتشفها من خلال مواقفها جميعا وعلى الاخص
منها موقفها من العرب وفي قضية فلسطين بالذات !

مستمسكات

وثائق ونصوص من أرشيف الأمم المتحدة

نقدم الى القارئ فيما يلي بعض النصوص مأخوذا من وثائق الأمم المتحدة وضبوط جلساتها لالاقوال المنوبين السوفيات : غروميكو ، تسارابكين ، يعقوب مالك ، خلال مناقشة قضية فلسطين . ويستطيع القارئ من النصوص وحدها - وهي مجرد نماذج وامثلة لان النصوص بكاملها تزيد على آلاف الصفحات - ان يلم بوجهة النظر السوفيتية في قضية فلسطين وما كان عليه موقف اصدقائنا اليوم ، بالامس !!

قضية فلسطين قضية اليهود؟

« لقد استمعنا منذ البدء الى مندوبي الدول العربية يعرضون وجهة نظرهم ، ولكننا لم نستمع بعد الى مندوبي الهيئات اليهودية . ان علينا ان نذكر دائما ان قضية فلسطين ليست سوى القضية اليهود ، ولذا فلا مجال للبحث في هذه القضية بغير مراعاة مصالح اليهود والاخذ بعين الاعتبار قلقهم . ليس يهود فلسطين وحدهم بل اليهود في كل مكان .

لقد عارض البعض رغبتنا في دعوة ممثلين عن الهيئات اليهودية للمشاركة في أعمال الأمم المتحدة . واستند ذلك

البعض في الرفض الى القول بمخالفة مثل هذه الدعوة ميثاق الامم المتحدة . غير ان هذا الرفض مرفوض لدينا . فنحن مقتنعون بأن ليس في الميثاق ما يحول دون دعوة الهيئات اليهودية للحضور أمام الجمعية العامة ، وليس في الميثاق ما يحول بيننا وبين الاصرار على هذه الدعوة . وعلى أي حال ليس مهما ان يوجد مثل هذا النض في الميثاق ما دامت طبيعة المسألة الفلسطينية تفرض علينا ان نعطي اليهود دورا اصيلا في اعمال الامم المتحدة .

ان عمر الامم المتحدة قصير ، فلنخلق اسبقية لاعمالها ان لم يكن في الميثاق ما يجيز دعوة الهيئات اليهودية .

لقد عارض بعض مندوبي الدول - يقصد العربية والاسلامية - في الدعوة بحجة ان هذا ضار بسمعة الامم المتحدة ومبادئها . انا لا اوافق على مثل هذا الرأي ، فتوجه الدعوة الى ممثلي الهيئات اليهودية للمشاركة في اعمال الجمعية العامة هو في رأينا عمل مجيد يمنح الامم المتحدة سمعة طيبة .

ان قضية فلسطين هي قضية الشعب اليهودي .
ولا بد من توفير كل الفرص والاجواء أمام ممثليه للمشاركة ليس أمام اللجنة السياسية فحسب ، بل وفي الجمعية العامة . والوكالة اليهودية هي الممثل الصحيح للشعب اليهودي في فلسطين ، فلنعتد الفرصة أمام الامم المتحدة لتشارك في بحث ومناقشة قضيتها . واذا كانت هناك هيئات يهودية أخرى تود المشاركة فسننظر الى طلبها بعين الاهتمام » (١) .

(١) من خطاب «فروميكو» المنعقد السوفياتي في الامم المتحدة أمام اللجنة التوجيهية بتاريخ ٢ ايار ١٩٤٧ - وثائق الامم المتحدة - معاصر الجلسات.

ثانيًا سوفياتي للعرب !

« ان قضية فلسطين لا تهم العرب وحدهم ، بل الامم المتحدة . وآمل ان يعتبر كلامي هذا ثانيًا للدول العربية التي تحاول ان تحصر بنفسها بحث المشكلة الفلسطينية دون ان تراعي شعور اليهود .

ان قضية فلسطين تهم كل اليهود ، وهي تزعجهم وتزعجنا نحن السوفيات ايضا كلما ارتفع صياح العرب » .

من خطاب غروميكو امام اللجنة التوجيهية في ٢ ايار ١٩٤٧ .

الاتحاد السوفياتي يترح

تقسيم فلسطين وإقامة إسرائيل !

« ... وعلى لجنة التحقيق الدولية ان تذكر بان الاغلبية العظمى من الشعب اليهودي في العالم مرتبطة ارتباطا وثيقا بقضية فلسطين ومستقبلها ومستقبل الحكم فيها . وهذا امر معقول نستطيع ان نفهم مراميها ونقرها . فلقد اصاب الامة اليهودية نكبات وآلام يستعصي على اللسان ان يصفها . ونحن نسال الامم المتحدة هنا باسم الشعب اليهودي المشرد بان تراعي آماله وتحققها فتقرر له وطنًا وحقوقًا . وانه لمن المنكر ان نمنع عن الامة اليهودية هذا الحق .

لن ادخل في صلب الموضوع الآن فأحدد موقفي من الآراء الخاصة بمستقبل فلسطين ، فسيأتي مجال ذلك ، ولكن ما اود ان ادلي به الآن هو نقاط جوهرية .

ان فلسطين وطن قومي للعرب واليهود معا ولا يجوز ان
تمنحها لطرف واحد . والاتحاد السوفياتي يرى ان افضل
الحلول هو ان نعطي اليهود والعرب حقوقا متساوية في دولة
واحدة يحكمها الطرفان حكما مزدوجا . فاذا تعدد ذلك فاننا
قد نجد الحل في تقسيم فلسطين الى دولتين : دولة عربية
ودولة يهودية . وعلى لجنة التحقيق ان تدرس هذين
الاحتمالين لمستقبل فلسطين » .

من خطاب غروميكو امام اللجنة السياسية بتاريخ ١٤ ايار ١٩٤٧ .

من حق اليهود
أن يفرضوا سيادتهم على فلسطين

« ليست الحجج القانونية ولا التاريخية التي يقدمها
العرب الآن ذات شأن ، ولا يرغب الاتحاد السوفياتي في
الدخول بجدل بيزنطي مع العرب . يكفي ان نعرف ان اليهود
قد عانوا الاضطهاد ، وفي مقدمة مسؤولياتنا هنا في الامم
المتحدة ان نضمن لليهود وطنا خاصا بهم ، ومن الظلم ان
لا نساعدهم على ذلك ، ومن حق اليهود الشرعي ان يفرضوا
سيادتهم على فلسطين لئلا يكونوا تحت رحمة العرب . فاذا
اضطررنا الى مراعاة الشعور العربي فان ذلك بضمان نوع من
الوحدة الاقتصادية بينهم وبين الدولة اليهودية الجديدة .

ان الاتحاد السوفياتي يدعو ويؤيد ويعمل من اجل اقامة
هذه الدولة وضمان مستقبلها . وفي فترة الانتقال فالاتحاد
السوفياتي يلح على الامم المتحدة ان تحمل مسؤولية ذلك ،
والاتحاد السوفياتي سيساعد بكل الوسائل على تحقيقه » . (١)

(١) من خطاب سيمون تسارايفين امام اللجنة السياسية الموقتة بتاريخ
١٣ تشرين الاول ١٩٤٧ .

«الأمة اليهودية» وحقوقها الأصلية بفلسطين)

« لقد رفض الاتحاد السوفياتي الرأي القائل باعلان استقلال فلسطين في دولة واحدة ، وافر خلق دولة يهودية وعربية في فلسطين . ان للعرب واليهود معا جذورا تاريخية راسخة في فلسطين ، فمن حق اليهود أن يبثوا هناك دولة ديموقراطية مستقلة تفدو نموذجا للمؤمنين بالديموقراطية في المنطقة .

ان الاتحاد السوفياتي لا يعارض في موقفه هذا مطالب الشعب العربي بل مطالب الحكومات العربية . فالجماهير في كل مكان ومن كل الجنسيات تتشارك في المصالح والآمال والاهداف . ان اقرار التقسيم لا يتعارض مع مصالح الجماهير العربية واليهودية . بل على العكس فالاتحاد السوفياتي واثق من ان التقسيم يخدم مصالح الجماهير العربية واليهودية المشتركة .

يصر المندوبون العرب على القول بان التقسيم ظلم بحق العرب . والاتحاد السوفياتي لا يوافق على هذا الرأي لان لليهود روابط وحقوقا وصلات اقليمية بفلسطين . وقد قاست الامة اليهودية ظلما واضطهادا كان آخر نماذجهما على يد الهتلرية . فمن الواجب ان نضمن لليهود وطنا قوميا حيث مطلبهم التاريخي في فلسطين .

ان الاتحاد السوفياتي يعطف على آمال العرب في التحرر الديموقراطي ، وهو لا يعتبر موقف المندوبين العرب ولا كلامهم السيء معبرا حقيقيا عن آمال الجماهير العربية في مسألة فلسطين . والاتحاد السوفياتي على أتم الثقة من

ان الجماهير العربية وطلبتها القيادية الديمقراطية ستتطلع
يوما ما الى موسكو ترتقب من الاتحاد السوفياتي المون لها
في نضالها لمكافحة الاستعمار والرجعية والتخلف » .

من خطاب غروميكو امام الجمعية العامة للامم المتحدة في ٢٦ تشرين
الثاني ١٩٤٧ خلال مناقشة مشروع التقسيم الذي قدمته اللجنة العربية
المنبثقة عن اللجنة السياسية الوقتة . وهو المشروع الذي اشترك الاتحاد
السوفياتي في وضعه وسبق الى اقتراحه .

الفئزة العرب !!

« من المستحيل تحقيق الهدنة في فلسطين ما دامت
عصابات ووحدات عسكرية قد دخلت البلد من الخارج بقصد
شن الحرب والخراب ومعارضة الامم المتحدة في مشروع
التقسيم .

ان على الامم المتحدة ان تنزل بالفئزة العرب اقصى
العقاب وتعيدهم الى الصواب » .

من خطاب غروميكو امام مجلس الامن في جلسته بتاريخ ٢٢ نيسان
١٩٤٨ في اعقاب اشتعال الحرب الاسرائيلية - العربية بعد جلاء القوات
البريطانية عن فلسطين .

لأورسوفياتي لأمريكا

بسبب تراجعها عن تأييد التقسيم !!

« لقد خلق تراجع الحكومة الامريكية عن موقفها المؤيد
لقرار التقسيم وضعاً جديداً للقضية الفلسطينية يستوجب
علينا استنكاره . فمواقف السوفيات من التقسيم هو موقف

المؤيد والناصر والعازم على التنفيذ . ان التقسيم مشروع عادل لانه يحقق آمال الشعب اليهودي كما يحقق آمال عرب فلسطين !

ان الولايات المتحدة الامريكية في موقفها الجديد لا تعارض مشروع التقسيم فحسب ، بل وتعمل على ابقاء فلسطين موحدة ، وترفض بأن ترغب العرب المعارضين على القبول بأي حل آخر . هذا الموقف الامريكي يعارض ارادة الامم المتحدة التي اقرت التقسيم ومصونة اليهود على خلق وطن قومي لهم في ديارهم فلسطين .

يصر المندوب الامريكي على ان مشروع التقسيم غير منصف ولا قابل للتنفيذ . هذا المنطق هراء ، ولقد طبخوه في اسبوعين لترضية العرب ، ومن المؤسف ان يكون هذا الموقف الامريكي الجديد مخالفا للحقائق ومعاديا للانصاف .

والذين يدعون بأن المشروع غير قابل للتنفيذ مخطئون ، ففي استطاعتنا تنفيذه والتغلب على معارضيهِ . اننا سنلجأ الى جميع الوسائل قسبي سبيل ذلك . والرأي العام العالمي يؤيد وجهة نظرنا وحرصنا على معونة الشعب اليهودي .

اننا سنكافح الوصاية الدولية على فلسطين اذا كان هدفنا ان نمرقل تقسيمها ونترك للعصابات العسكرية العربية افساد حق الشعب اليهودي في وطنه واستقلاله » . (١)

(١) من خطاب غروميكو امام مجلس الامن بتاريخ ٢٠ آذار ١٩٤٨ خلال مناقشة القضية الفلسطينية بعد انفجار الصراع المسلح بين العرب واليهود . وكان الموقف الامريكي الرسمي قد تراجع عن فكرة التقسيم وقدمت امريكا مشروعها باقرار الوصاية الدولية الوقتة انقلاذا لوحدة فلسطين الجغرافية والسياسية ورعاية للموقف العربي .

لنؤخر لا أمريكا
واتهام مبكر للبترول ؟

« ليس صحيحا ان الموقف في فلسطين قد تدهور
بسبب قرار التقسيم . فالذي يدفع الموقف الفلسطيني في
اتجاه التدهور هو تقاطع بعض الدول كالولايات المتحدة
الامريكية عن العمل الجدي لتنفيذ التقسيم ومعارضة الدول
العربية في تدخلها السيء بفلسطين واشهارها السلاح في
وجه الامم المتحدة .

ان الولايات المتحدة الامريكية لا تريد ان تؤيد حق
الشعب اليهودي . والرأي العام العالمي يستنكر ان تضحي
الولايات المتحدة باليهود من اجل اصحاب المنافع الرأسمالية
من شركات البترول وغيرهم ممن ترتبط مصالحهم مع العرب .
ان الصحافة العالمية بما فيها الصحافة الامريكية تستنكر
تضحية الحق اليهودي من اجل شركات البترول وزيائهم .
والرأي العام البريطاني والفرنسي والبلجيكي وغيره يستنكر
هذا الموقف الأمريكي . لقد اصاب الامة اليهودية فواجع
واضرار كبيرة على يد العنصرية النازية ، ومن الشناعة ان
تترك الآن تحت رحمة عنصرية اخرى ، او تسخر مصائبها
لارضاء اصحاب مصالح البترول ورجاله العرب والرأسماليين .

اننا لا نستطيع ان نأمل حولا منصفة في قضية فلسطين
والدوائر الحاكمة في أمريكا تسيطر عليها الرأسمالية
والرجعية وتسمح باسم العدل لعرب فلسطين منقلبة على
الحق اليهودي في فلسطين .

ان مطلب الولايات المتحدة الامريكية في الوصاية على
فلسطين هو دفن لقرار التقسيم ودفن لآمال الامة اليهودية .

لقد طرأ على القضية الفلسطينية الآن موقف جديد زادها تعقيدا . هذا الجديد هو العدوان الاجنبي الذي غزا البلد ويريد منا الامريكان ان نتجاهله . ان هذا التجاهل زور ولا مجال للهدنة ان تخدم اغراضنا الا اذا انسحب المعتدون - العرب - ولن ينفع في تبديل موقفنا بازاء هذا العدوان أية بلاغة او منطق .

الى متى نظل متجاهلين لقرار التقسيم ونعمل على عرقلته ؟ ان الدم يسيل في فلسطين ولا ينفع فيه سوى التقسيم وحزم الامم المتحدة » .

من خطاب غروميكو امام مجلس الامن بتاريخ ١٢ نيسان ١٩٤٨ .

عدوان غزني يمسّ دار الأمن !
وحركة تحرير وطني يهودي يزيدها السوفيات !
والمندوبون العرب رَجِيعُونَ لا يمثلون شعوبهم !!

« ... ان الاتحاد السوفياتي يصر على ان قرار الجمعية العامة في ٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٤٧ (١) هو اشد الحلول انصافا ، فهو يعطي للجماعة اليهودية حقها في وطن خاص مستقل . غير ان بعض العناصر في الجمعية العامة رفضت التقسيم وعارضته واعتبرت انه لم يعد موضوعا للبحث . مثل هذا القول لا يتفق مع الواقع والحق ، فقد أعلن اليهود دولتهم ، ونحن نعترف بهم ونؤيدهم ، ولا حق لمجلس الامن

(١) قرار التقسيم .

في التدخل الآن . ان قرار التقسيم هو حق شرعي لليهود ،
فاذا تجاهل هذا مجلس الامن ، فقد شجع العناصر المعتدية
على خلق المشاكل والتعاب .

لقد قامت البولة اليهودية الجديدة ، واعترفتنا بها
وتبادلنا معها التمثيل الدبلوماسي الكامل ، وقدمت هذه
الدولة طلب الانتساب الى الامم المتحدة ونحن نؤيد طلبها .

ان العدوان على فلسطين خطر يعرقل استتباب الامن
الدولي ، فاذا كان لمجلس الامن دور في الموقف الفلسطيني
فهو دور الرادع للعدوان .

ان على الامم المتحدة ان تقدر خطورة التدخل العربي
المسلح وتصديه لقرارات الامم المتحدة . ان هذا العدوان امر
خطير جدا ، وسواء اجاء العدوان من الجيوش النظامية ام
غيرها فهو عدوان على كل حال . وهتك للحق .

ان الاتحاد السوفياتي اذ يراعي حاجات شعوب الشرق
الادنى بما فيها العرب في الإستقلال والتحرر من التفرقة
الاجنبي ، فانه يؤيد حركات التحرر الوطني كلها . وحق اليهود
في وطنهم فلسطين هو حركة تحرير تنال من الاتحاد
السوفياتي التأييد والحضانة . اتنا لا نعترف بأن مندوبي
الدول العربية هنا في الامم المتحدة يمثلون حقيقة شعور
العرب ومصالحهم ، فالحقيقة العربية الشعبية لا تناوىء
حركة التحرير الوطني اليهودية ، وانما يناونها نفر من
الرجعيين لا يمثلون جماهير العرب . ان مصلحة الجماهير
العربية مرتبطة جئذها بمصالح حركة التحرير اليهودية
الوطنية ، وحين ترتفع قبضة القيادات الرجعية وعملاء
الاستعمار عن الجماهير العربية فالوفاق سيسود بين حركات
التحرير الوطنية العربية وحركة التحرير الوطنية اليهودية
في فلسطين وتسود بينهما صلات الاخوة .

لقد تقدم البعض بمقترح هنا لتعيين وسيط دولي
يعالج النزاع في فلسطين بالحسنى ، والاتحاد السوفياتي
يخشى من أن تؤثر هذه الوساطة على قرار التقسيم وتلفم
الحق » .

من خطاب غروميكو امام مجلس الامن بتاريخ ٢١ ايار ١٩٤٧ .

الغزو العسكري العربي لفلسطين السوفيات يدينون الهجرة اليهودية المشتمة .. والعدوان على إسرائيل مؤامرة حاكمتها الرجعية العربية لا

« في قرار ٢٢ ايار ١٩٤٨ - حاول مجلس الامن ان
يدعو الدول المعنية بالامر الى وضع حد لعدوانها العسكري ،
غير ان هذه القرارات ظلت حبرا على ورق . ان الدول
العربية في غزوها العسكري لفلسطين انما تتحدى مقررات
مجلس الامن . وليست هي المرة الاولى التي تتجاهل الدول
العربية مقررات مجلس الامن او الجمعية العامة . ان الاتحاد
السوفياتي يسجل هنا رايه الصريح في العبث العربي
بمقررات الامم المتحدة ، وليس من صالح الامم المتحدة ان
تصبر او تصفح عن هذا العبث ، بل ان واجبها هو ان تضع
حدا له .

ان بعض الدول هنا يبدي ميوعسة وضعفا في ردع
العدوان ، وهذا يضر بسمعة الامم المتحدة وهيبته . من
الضروري ردع المعتدي ، والاتحاد السوفياتي عازم على ذلك .
واي قرار يتخذه مجلس الامن او اجراء لمعالجة الموقف
الطارىء ، يجب ان يؤيد ولا ينقض قرار الجمعية العامة
الداعي الى تقسيم فلسطين وصون الدولة اليهودية الجديدة .

لقد تقدم الوفد البريطاني فسي مجلس الامن بمشروع قرار يدعو الدول الاعضاء الى مننع مواطنيها اليهود من الهجرة الى فلسطين في هذه الفترة انتظارا لما يرفعه الوسيط الدولي من توصيات حول القضية .

ان وقف الهجرة اليهودية الى فلسطين امر لا نقره ، فقد غدا لليهود دولة مستقلة رسمية نعترف بها قانونا ولسنا نملك الحق في منع اليهود من الهجرة الى بلدهم !

قد يكون من المعقول ان نستمع الى آراء المندوب البريطاني لسابق معرفة حكومته وخبرتها بالقضية الفلسطينية، ولكننا لا نرى في دعوته الى وقف الهجرة اليهودية الى فلسطين سوى الشر ، فهل يدرك المندوب البريطاني ان وقف الهجرة الى فلسطين الآن معناه ان نضع اليهود تحت رحمة العرب وان نسمح بمذابح وضحايا من يهود فلسطين . يجب ان نحذر دعوة المندوب البريطاني . فبريطانيا لعبت دورا منافقا في القضية الفلسطينية وحالت ما بين اهل فلسطين والاستقلال ، وها هوذا المندوب البريطاني يأتي اليوم ليعرقل مولد الدولة الجديدة المستقلة .

ان وقف الهجرة اليهودية الآن الى فلسطين كما يقترح المندوب البريطاني علينا هو عمل غير قانوني . فمن حق الدولة اليهودية الجديدة ان تفعل ما تشاء في مسألة الهجرة اليها . ان الدولة اليهودية حقيقة قانونية نعترف بها وليس لمجلس الامن ان يفرض عليها امورا ليست من اختصاص الامم المتحدة أصلا ، بل هي في صميم الحق الداخلي للدولة المستقلة . وحتى لو اتخذ مجلس الامن مثل هذا القرار - بمنع الهجرة الى فلسطين - فسيظل حبرا على ورق وكلاما أجوف .

ان المشروع البريطاني هو بمثابة العقوبة تفرض على

**الدولة اليهودية الجديدة . ومثل هذه العقوبة كان أجدر بان
تفرض على العرب ... فهل تريد بريطانيا نصره الحق
أم هي تحاول ان تصب الوقود على النار الفلسطينية ؟**

**ان بريطانيا تفازل العرب الآن وتتجاهل بل هي تهدر
حق اليهود وتمتص بمقررات الامم المتحدة . ان مصلحة العرب
واليهود هي في مكافحة الاستعمار وفي اخوة الجماهير
الشعبية المتحررة من كلا الشعبين .**

**ان مصر ما تزال عاجزة عن التخلص من القاعدة
البريطانية في بلادها . وعلى العرب ان يتحرروا من الاستعمار
اولا ، والا كان الموقف مضحكا . ان خصم العرب هو الاستعمار
لا الجماهير اليهودية ، ومعارضة العرب لمولد دولة يهودية
واخرى عربية في فلسطين لا يخدم سوى الاستعمار .**

**ان العدوان العربي المسلح في فلسطين مفاخرة حاكمتها
الاوراسط العربية الحاكمة ، وقد تقدم الاتحاد السوفياتي
بمشروع قرار الى مجلس الامن يأمر بوقف العدوان على
فلسطين خلال ٣٦ ساعة . ونحن نرى ان واجب مجلس الامن
وحقه هو تحميل العرب وخدمهم مسؤولية العدوان .**

**ان الصراع في فلسطين تفجره الرجعية العربية
والاستعمار ، مما يجعل مجلس الامن مشلول النشاط ومقيد
اليد في حماية القدس وضواحيها وهي التي تعتبر مركزا
استثنائيا عند الاديان . فهل وصل العجز بالامم المتحدة حدا
لا تعبا فيه بالضرر الذي سيصيب العقائد الدينية في القدس
بسبب العدوان العربي المسلح ؟**

**هل نسي مندوب الارجتنتين ان اغلبية بلاده الكاثوليكية
يوهمها ان لا تصاب المراكز الدينية في القدس باذى ؟ وهل
نسي مندوب الولايات المتحدة الامريكية ومندوب بريطانيا ان**

بروتستانت بلانهم قلقون على مصير الاماكن المقدسة في فلسطين المعرضة للعدوان ؟ ام ان على العالم بآسره ان ينتظر من دعاة الاتحاد وحدهم الدفاع عن حرمة الاماكن المقدسة في فلسطين ، خاصة وان ممثلي القولة البروتستانتية والكتوليكية في مجلس الامن قد اختاروا في مجلس الامن هنا الامتناع عن معونة الاتحاد السوفياتي في صون معاقل الدين في فلسطين ؟ » .

من خطاب غروميكو امام مجلس الامن بتاريخ ٢٩ ايار ١٩٤٨ بعد نشوب الصراع العربي الاسرائيلي المسلح واجتياز الجيوش العربية حدود فلسطين دفاعا عن الحق العربي .

السوفيات يطرحون اينذا مراقبين
عسكريين منهم لمحاربة اسرائيل !

« ... وارى من واجبي التوكيد ثانية على استعداد الاتحاد السوفياتي لتنفيذ ما اوصى به مجلس الامن . ولذا وجب علينا الآن ان نبحث بالتفصيل الوسائل التي يجب على الوسيط الدولي ولجنة الهدنة الفلسطينية ان يقوموا بها .

والمسألة المهمة بالنسبة للاتحاد السوفياتي هي موضوع المراقبين العسكريين . اننا نرفض ان يكون هؤلاء المراقبون من الدول ذات التمثيل القنصلي في القدس وحدها . ان الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الاخرى لشديدة الرغبة في ان ترسل المراقبين العسكريين لتنفيذ قرار مجلس الامن والتأكد من ان مهام الوسيط الدولي تنفذ على النحو الذي يرضى عنه المجلس » .

من خطاب غروميكو امام مجلس الامن في ٦ حزيران ١٩٤٨ بمسد ان قرر مجلس الامن اللجنة الاولى ولم يكن قد توقف القتال بعد .

أشواق الإتحاد السوفياتي والكتلة الشيوعية

هي التي جُمعت قرار التّقسيم »

« ... والذين يرفضون إيفاد العسكريين السوفيات الى فلسطين يهدفون الى عرقلة الامور . ان الاتحاد السوفياتي لشديد القنامة بأن هذا الرّفض للدور السوفياتي لتنفيذ التّقسيم مرجعه الى التطور الجديد في موقف الولايات المتحدة . فالامريكان تغاذلوا في حين ان الاتحاد السوفياتي ظل ثابتا على موقفه مصرا اصرارا متواصلا على تنفيذ التّقسيم .

ان العالم يتساءل عن الفرضي من هدنة الاسابيع الاربعة التي جاء بها الامريكان وهل تريه امريكا استغلال فترة الهدنة للمساومة مع العرب والوصول الى اتفاق خارج الامم المتحدة وعلى حساب الطرف الاخر ؟

اذا كانت امريكا صادقة في موقفها من تأييد اليهود في دولتهم الجديدة في فلسطين فلم ترفض وجود العسكريين السوفيات لضمان ذلك ؟ ان الاتحاد السوفياتي هو اول مؤيد واكبر نصير واثبت من دعا ويدعو الى التنفيذ والتأييد .

لقد واجهت الولايات المتحدة الامريكية اعظم الصعوبات في جمع الاصوات الكافية لتأييد مشروع التّقسيم في العام الماضي ، وكان لاصوات الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الشقيقة القول الفصل في نجاح القرار . اما اليوم فالولايات المتحدة الامريكية تجد صعوبة في جمع اصوات التأييد لها لاضعاف قرار التّقسيم ، وهذا التطور يسيء الى الامم المتحدة وسمعتها » . (1)

(1) من خطاب غروميكو امام مجلس الامن بتاريخ ٢٥ حزيران ١٩٤٨ .

الاتحاد السوفياتي يرفض المذكرة
ويؤيد الصلح والتعايش السلمي !
وبنيك للاجئين اليهود وبنيالاب بنوطين للاجئين العرب !!

« منذ البدء ظل الاتحاد السوفياتي داعيا الى تقسيم فلسطين والاعتراف بحق اليهود في ان يعيشوا بسلام مع العرب . غير ان مجلس الامن لم يؤيد التقسيم ولا ايقاف المعتدين العرب عند حدهم ، وكل ما فعله الاعضاء هو طلب الهدنة الموقته لبضعة اسابيع لا ردع المعتدين ردعا نهائيا .

ان الاتحاد السوفياتي لا يوافق على الهدنة الموقته وانما يريد صلحا دائما بين العرب واليهود لان مصلحة الجماهير العربية واليهودية التقدمية مشتركة ، يصونها التعايش السلمي والاخوة التقدمية .

لقد اثار مندوب بريطانيا مشكلة اللاجئين العرب وتجاهل مأساة اللاجئين اليهود الاوروبيين . ثم جاءنا مندوب سورية فابلغنا في جلسة ١٣ آب بأن عدد المشردين الفلسطينيين العرب زاد على نصف مليون نسمة لا تجد اغليبتها وسائل العيش .

ان السؤال الذي يجب ان نسأله هو : على من يقع اللوم في مشكلة هؤلاء ؟ ومن هو المسؤول عن تشريد نصف مليون من الناس تركوا بيوتهم واعمالهم السلمية وغدوا بؤساء بلا مأوى ؟

ان الذنب يقع على شركات البترول الامريكية التي ضغطت على حكومتها في واشنطن لتعارض تنفيذ قرار التقسيم الذي اصدرته الجمعية العامة للامم المتحدة .

ان هدفنا وهدف الامم المتحدة من اقرار التقسيم كان خلق التعايش السلمي بين العرب واليهود ومنح اليهود حقهم الطبيعي والتاريخي في وطنهم فلسطين . ولكن الاقطاع العربي تحدى قرارات الامم المتحدة واعتبرها مجرد قصاصة ورق يمزقها العدوان على الجماهير التقدمية .

هنالك تواطؤ بين الاقطاع العربي والراسمالية والاستعمار لخلق العداء والحقد بين الجماهير العربية والجماهير اليهودية . وهذا هو سبب التوتر وسبب التشرذم الذي اصاب الجماهير العربية في فلسطين .

وان الطريقة الوحيدة لحل مشكلة هؤلاء اللاجئين هي في حمل العرب على احترام قرار التقسيم وتوطين اللاجئين العرب وفق برامج ومشاريع يقوم بها العرب أنفسهم في الشرق الأدنى ، وعلى اساس مبدأ التعايش السلمي بين الجماهير العربية التقدمية والجماهير اليهودية التقدمية في اسرائيل » .

من خطاب يعقوب مالك المندوب السوفياتي امام مجلس الامن بتاريخ ١٨ آب ١٩٤٨ .

هُدنة فسّام فصّلح شُعائش

وَعَدِيثُ عَنْ نَقَبَارِجِ التَّوَى .

» ان عمل مجلس الامن الرئيسي هو وقف القتال والعدوان العسكري وترك الامور على ما هي عليه حتى يحين الوقت للاطراف المتنازعة في فلسطين للوصول الى تسوية سلمية . فاول خطوات التعايش السلمي هو مرحلة الهدنة المؤقتة ، وتقلها الى مرحلة السلم ، فالصلح ، ثم التعايش السلمي .

**ان تاريخ القضية الفلسطينية شاهد على تصارع القوى
للسيادة على الشرق العربي . وفكرة الوساطة الدولية خاطئة
أصلاً ، وهي لن تستطيع حل القضية الفلسطينية او ابدال
الوضع الجديد بعد مولد اسرائيل . ان للوضع الجديد سيظل
القائداً على البقاء . ولا نفع من استنباط مشاريع اخرى او
التراجع من قرار التقسيم . ان كل تدخل لتبديل هذا الوضع
ليس سوى عبث يزيد في المتاعب والالام التي يعانيها العرب
واليهود في فلسطين .**

**لا تستغريوا ايها السادة اذا وجدنا انفسنا يوما امام
وضع تقوم فيه الاطراف المعنية بالامر مدفوعين بمصالحهم
الخاصة مصالح الجماهير التقدمية للتفاوض السلمي
والتعايش السلمي ويفاجئون العالم بالامر الواقع . ان الاتحاد
السوفياتي لن يوقف المسعى والتأييد والترحيب لمثل هذا
الهدف ، ومن العباطة ان نصر في هذه الآونة على امور فرعية
في النزاع العربي الاسرائيلي مثل مسألة النقب .**

**ان النقب والمناطق الاخرى المتنازع عليها ليست سوى
امور فرعية في اصل المسألة لا يحلها الا مولد ظروف جديدة
في المنطقة العربية كلها . عندئذ يستطيع العرب واليهود
تسوية نزاعهم بانفسهم خارج التدخل الاستعماري .**

**ان التعايش السلمي وفض النزاعات بالطرق السلمية
مبدأ من مبادئ الامم المتحدة ، وهو مبدأ أيضاً من مبادئ
اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية . وواجبنا في
المسألة الفلسطينية هو ان ندعو الى الهدنة اولا ثم نترك
الاحقاد تنذر وتنشأ بدلا عنها علاقات سلمية .. علاقات
تعايش سلمي» . (١)**

(١) من خطاب يعقوب مالك امام مجلس الامن في جلسته بتاريخ ٤ تشرين
الثاني ١٩٤٨ .

إسرائيل أصبحت لتبقى !

هكذا قال المتنوب السوفياتي !

« لقد وجدت إسرائيل لتبقى حيث موطن أجدادها .
وجود إسرائيل في منطقة الشرق الأوسط سيكون عنصر
خير وسلام وامثولة للجمهورية العربية الطامحة الى التخلص
من الاستعمار والرجعية .

ان إسرائيل تسعى الى السلام والتعايش السلمي مع
جيرانها العرب ، هؤلاء الذين يرفضون التعايش السلمي مع
إسرائيل . وهذا الرفض مرده الى الاستعمار والرجعية في
الحكم العربي . ولن يتخلف الاتحاد السوفياتي عن تقديم
العون لإسرائيل وحركات التحرر العربية التقدمية لتنظيف
الوسط العربي من الاستعمار ومن الرجعية العربية » .

من خطاب يعقوب مالك المتنوب السوفياتي أمام مجلس الأمن بتاريخ
٢ كانون الاول ١٩٤٨ خلال مناقشة طلب إسرائيل الانضمام الى الامم المتحدة .

محمود فوزي ،

يُدين السياسة السوفياتية

ويكشف انحيازها لإسرائيل !

وللتذكير فقط ، نشر هنا مقتطفات من خطاب الدكتور
محمود فوزي ، مندوب مصر آنذاك في الامم المتحدة ، ووزير
الخارجية المصري في عهد الثورة ، ثم نائب الرئيس للشئون
الخارجية فيما بعد .

« ان السؤال الآخر الذي يبرز هو حول تفسير عبارة

« جيوش اجنبية » . لقد فسر الممثل السوفياتي هذه العبارة بانها تعني تلك الجيوش التي لا يمكن ان تكون اجنبية على الاطلاق ، او على الاقل هي ابعد من غيرها عن هذه التسمية . فيينما ذكر الممثل السوفياتي الجيوش العربية ، لم يات على ذكر الجيوش التي اتت من سائر انحاء العالم ، بما فيها اوروبا الوسطى ، وبنوع خاص اوروپا الشرقية لتعريض القوات اليهودية . فاذا كانت هذه الجيوش بنظر الممثل السوفياتي غير اجنبية ، فان على اللجنة ان تراجع تفكيرها حول هذا الموضوع » .

« اما بالنسبة لموقفي وفدي بولندا والاتحاد السوفياتي، فلا بد من الإشارة الى ان تعريفهما لهذا الامر في اقتراحيهما لا يخلو من مغزى . لقد طالبا باخراج جميع الجيوش العربية من فلسطين بينما غضا النظر عن غيرها من الجيوش ، بخاصة تلك التي اتت من اوروبا الشرقية » .

« . . . ان السكان العرب في فلسطين قد طردوا من بلادهم بقوة السلاح ، ذلك السلاح المعروف مصدره عند ممثل الاتحاد السوفياتي » .

من خطاب الدكتور محمود فوزي في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٨
امام اللجنة الاولى .

« لقد حاول الممثل السوفياتي ان يثبت لنا ان القوات العربية دخلت فلسطين لخلق الاضطرابات ولتزع اية تسوية سلمية . ان هذا القول يخالف الواقع ، لان الصهيونيين هم الذين بدأوا الاعتداء ، كما يظهر ذلك من تدفق الفرق العسكرية والمعدات الحربية المتواصل من اوروبا الشرقية . ليس من الصعب ان نذكر لماذا طالب الاتحاد السوفياتي وبولندا بانسحاب القوات العربية بينما نرى الجيوش المدربة تدريباً ايديولوجياً معنا تصل يومياً من اوروبا الشرقية لمساعدة الصهيونيين » .

من خطاب الدكتور محمود فوزي في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٨
امام اللجنة الاولى ايضا .

ان لدينا اثباتات لا تدحض، بالرغم من انكار الصهيونيين ذلك ، على ان عددا كبيرا من جيوشهم وكمية كبيرة من اسلحتهم مصدرها اوروبا الشرقية . ان هذا الامر ثابت لا يمكن انكاره ، وان عددا كبيرا من ممثلي الحكومات الممثلة هنا مطلعة عليه تماما ، اطلعنا نحن عليه .

من خطاب الدكتور محمود فوزي بتاريخ ٢٨ كانون الاول ١٩٤٨
امام مجلس الامن .

الموقف السوفياتي ..

من قيام إسرائيل حتى اليوم !!

بين عام ١٩٤٩ وعام ١٩٦٧ ، ماذا كان موقف الاتحاد السوفياتي من إسرائيل ، وما مبلغ التبدل في سياسته نحوها ، وما حدود هذا التبدل ، وما أغراضه ؟

لقد رأينا فيما سبق كيف ان الاتحاد السوفياتي القى بثقله الدولي عام ١٩٤٧ - ١٩٤٨ - ١٩٤٩ لضمان قيام إسرائيل ، وكان أول من اقترح تقسيم فلسطين وأعنف من عارض الموقف العربي في مطلب التحرير والاستقلال .

وبقيام إسرائيل وانتسابها الى الامم المتحدة - وهو امر واقع مهما كان شعورنا نحوه مريرا وموقفنا منه الرفض - انتهت مرحلة جديدة من التقاء الهدف بين الشيوعية والصهيونية .

وكان لا بد من أن يسود الهدوء علاقات مختلف الاطراف بإسرائيل حتى تتمكن من هضم ما ابتلعت وتترتب شؤونها الداخلية : الهجرة ، بناء الدولة بأجهزتها الحديثة والمعقدة ، دمج السكان الاشتات في وحدة وطنية تتيح لإسرائيل أن تقيم مجتمعا موحدًا هو الشرط الاساسي لبقائها واستمرارها .. الخ .

مُريّة التصرف !!

وبهدوء موقت ومدرّوس انصرف الاتحاد السوفياتي الصديق السيئ ليهئة اجراء العمل المقبل في البلاد العربية . وقد تميزت هذه المرحلة بانفصام شكلي بين الاشتراكية العربية والتوجيه الصهيوني ، وتركت إسرائيل للاتحاد السوفياتي حرية التصرف في قيادة اليسار العربي ، ادراكا منها لحقيقتين :

الحقيقة الاولى ، هي تعذر استمرار العناصر اليهودية في توجيه هذا اليسار وفي تمويله !

والحقيقة الثانية ، هي ان كل جهد شيوعي واشتراكي في المنطقة العربية - وان لم ينتصر - سيفتت وحدتها الوطنية ويثقل قلوبها على مواجهة اسرائيل ويمنحها فرصة زمنية كافية لترتيب اوضاعها . وربما وجدنا هذه الحقيقة ايضا في الالتقاء الخفي بين الصهيونية والشيوعية وهو اللقاء يرمي الى تشجيع المنطقة العربية بالفعل لان الشيوعية تمزق الروابط القومية والوطنية وبالتالي تضعف روح المواجهة وتلقي مبرر النزاع والصراع في الحالين ، فان ما تكشف من حقائق فيما بعد قد اكد بوضوح ان لعبة الشيوعية في المنطقة هي الحصان الذي تراهن عليه اسرائيل لكسب سباق الزمن والديمومة ، به تحقق غرضها البميسد ، وبغيره يظل الخطر محيقا بها مطبقا عليها .

قد تحقق اسرائيل بمعونة الغرب - وتواطؤ الشرق - نصرا عسكريا خاطفا ، ولكن مثل هذا النصر يزيد في تأجيج الاحقاد ضدها ، وهو قد ينهي مؤقتا حالة النزاع ويؤكد معنى بقاء اسرائيل واستمرارها ، غير انه لا ينهي ابدا ولا يستطيع ان ينتزعه من داخل النفس العربية .

ان الشيوعية وحدها ، بدعوة الاخاء والتعاضد وتحويل اتجاه الصراع من صراع قومي الى صراع طبقي ، هي التي تستطيع ان تهدم جدار الرفض في داخل الانسان العربي ، فالشيوعية هي الامل الاسرائيلي الوحيد على المدى الطويل ، بها يتحول الرفض الى قناعة والعناء الى صداقة ، وبغيرها تظل حالة النزاع قائمة تستنفذ جهدها وطاقتها وتحيل حياتها الى خوف دائم لا تهدأ به ولا تستقر .

وفاء متائبين ..

وصفقة الأسلحة

مضت السنين سنوات الست الاولى بغير احداث بارزة في العلاقات الاسرائيلية السوفياتية . فاسرائيل منصرفة الى داخلها ، والاتحاد السوفياتي منصرف بنصيحة اسرائيل - وربما بتقديره المستقل ايضا - الى تهيئة اسباب القوة والدعم ليسار العربي .

ثم واثت الفرصة بوفاة ستالين ، وبصفقة الاسلحة .

فوفاة ستالين منحت الاتحاد السوفياتي حرية اكبر في العمل الخارجي ، وقد اخرجته القادة الجدد : مالتكوف ، يولفانيسن ، خروشوف ، ثم كوسيفين وبريجنيف ، من قوالبه الجامدة الى اقوال أخرى أكثر تحررا ومرونة ، وأصبح ممكنا بذلك دعم حركات اليسار العربي عموما ودون أن تكون مشدودة تماما الى مركزية موسكو أو تكون قشرتها الخارجية شيوعية الاسم . وهكذا كان !

وصفقة الاسلحة منحت الاتحاد السوفياتي مركزا ممتازا في الضمير الشعبي ، مرده الى قناعة الجماهير العربية بأن الغرب لن يسلحها بما يكفي للقضاء على إسرائيل وأن كسر طوق السلاح من حول العرب هو الخطوة الاولى في امتلاكهم أسباب القوة لتحرير فلسطين .

ومهما نكتشف اليوم - وتكتشف الجماهير - من وهم هذه القناعة وضلالها فقد ظلت سائدة طوال السنوات العشر الماضية واثبت للاتحاد السوفياتي فيها أن يمتلك من النفوذ ما لم تستطعه القيصرية قبل الشيوعية في مئات الاعوام من حلم الوصول الى المياه الدافئة .

وكما حققت الدعوة اليسارية وانتشارها حلما سوفياتيا ، كذلك حققت هدفا إسرائيليا ، فقد مزقت الوحدات الوطنية ودمرت قيم المجتمع العربي وكل اشكال علاقاته الوطنية والقومية ، دون أن تمنحه بديلا افضل أو اقوى .

كانت صفقة الاسلحة الاولى ، ثم الصفقات التي تلتها ، بداية الانعطاف والتحول . ومن حيث ظن العرب انهم امتلكوا بها قوة جديدة كافية يتضح الآن بتحليل الاشياء انهم وقعوا فريسة خداع كبير ووهم اكبر . والسبب في هذا الخداع والوهم تعود أسباب الهزيمة وعواملها ودوافعها جميعا .

فقد اتضح ان كل قطعة سلاح وصلت الى العرب من موسكو أو تشيكوسلوفاكيا ، عرفت بها إسرائيل بواسطة عناصرها اليهودية في داخل البلدين الشيوعيين ، وهي عناصر قيادية وفي مراكز المسؤولية الاولى .

كذلك اتضح ان معظم السلاح السوفياتي - ان لم يكن كله - كان سلاحا

دفاعيا ، يصلح لمواجهة العدوان ولا يصلح لمعركة التحرير التي رفعنا شعارها واستهدفناها من تحويل اتجاهنا السياسي .

وبالإضافة الى دفاعية السلاح ، فقد ظل استخدامه رهنا بموافقة الاتحاد السوفياتي وتأييده .

وتأكيد ذلك في مثالين :

يوم أرسلت القاهرة قواتها الى اليمن لم ينصح الاتحاد السوفياتي الرئيس المصري بوقف ارسالها ، ولا بوقف استخدامها ، وظل يمدّه بالخيرة والعتاد خمس سنوات حتى يوم الانسحاب ، وربما كان انسحاب القوات المصرية من اليمن تحت ضغط الاحداث بغير موافقة الاتحاد السوفياتي ولا رضاه .

ولكن يوم واجهت مصر احتمال الاصطدام مع اسرائيل سارع الاتحاد السوفياتي الى الرئيس عبد الناصر بنصح بعدم استخدام القوة - اي استخدام السلاح الروسي - وربما لو استخدمه الرئيس عبد الناصر خلافا لنصيحة موسكو لامتنت هذه عن امداده بخيرة السلاح وقطع التبديل ، وهي عناصر متممة للسلاح لا قيمة له بدونها .

على ان شراء السلاح وبوفرة حقق للاتحاد السوفياتي هدف الوصول الى مركز النفوذ في المنطقة . فهو قد رهن بالسلاح مستقبل العالم العربي لديه - او على الاقل دول اليسار العربي - اقتصاديا وسياسيا وعسكريا . وظل ممسكا بسلطة التوجيه ومركزية الامر .

ومن الغريب ان الاتحاد السوفياتي قد حقق بصفقات السلاح فوق ما حقق من اهداف سياسية وعسكرية واقتصادية ، هدفا تجاريا محضا ، اذ هو قابض على ما ينتج بما يحتاج اليه . سلاح مقابل القطن ، وسلاح مقابل القمح ، وسلاح مقابل منتجات اخرى يحتاجها او يحتاجها المعسكر الشيوعي ويعيد الاتحاد السوفياتي المقايضة عليها مع بلدان اخرى .

وعلى كل ما اوهمتنا به صفقات السلاح من تأييد الاتحاد السوفياتي لنا في مشكلة فلسطين وما اعطيناه في مقابلها من مركز نافذ خاص ، فقد ظل الاتحاد السوفياتي حريصا على ان يضع هذه الصفقات في اطارها التجاري وان يعلن انها لا تترمه في المشكلة الفلسطينية بموقف معاد لاسرائيل .

موسكو، إسرائيل أيضاً

ستُطِيع أن تشتري من السلاح

ففي حديث ادلى به الملحق العسكري السوفياتي في باريس عام ١٩٦٤ بتاريخ ٢٢ كانون الثاني الى صحيفة « معارف » الاسرائيلية - وكان ليفي اشكول رئيس وزراء اسرائيل يزور فرنسا ليعقد فيها صفقة سلاح كبرى - قال الملحق الروسي :

« ان اسرائيل ايضا تستطيع ان تشتري من السلاح .
فالقضية عندنا هي التساجرة به . ونحن نبيع الجمهورية العربية المتحدة وغيرها ممن يبحث عن السلاح ، وليس في تجارتنا به اي التزام بالنسبة للمشكلة الفلسطينية . اننا على اتم الصلات باسرائيل ولم يصدر عنا ولن يصدر مع مصر او غيرها ما يسيء او يضر بالكيان السياسي المستقل لاسرائيل . هذه هي القاعدة في سياستنا نحسو الشرق الاوسط » .

ومضى الملحق العسكري السوفياتي يكشف اكثر اهداف صفقات السلاح قال :

« اننا نشارك العرب في مكافحة الاستعمار والرجعية العربية فحسب ولا نشاركهم ولن نشاركهم في العدوان على اسرائيل . ولقد كان موقفنا منذ البدء معارضا اشد المعارضة العدوان العربي الرجعي ولم يقتصر هذا الموقف على العمل الدبلوماسي في الامم المتحدة بل نحن اعرنا عن تأييدنا اسرائيل بالسلاح ايضا والعتاد والرجال في اشد اوقات الازمة الفلسطينية يوم كانت حركة التحرير الوطني اليهودية في امس الحاجة الى هذا العون » .

« ان ما قدمناه ونقدمه للجمهورية العربية من سلاح هو لاغراض دفاعية ولن نسمح باستخدامه ضد اسرائيل .

واذا احتاجت اسرائيل للسلاح فليس لدينا ما يمنع من ان
نبيعها اياه . ولكن اسرائيل الآن ليست بحاجة اليه منا لانها
تحصل على حاجتها وما يفوق حاجتها من مصادر صالحة لها .
ولا نعارض هذا ، لان ما نبيغه هو سلامة (اسرائيل) . لا تتزعجوا
من السياسة السوفياتية في المنطقة العربية ، فهذه السياسة
متبعة بل هي ضرورة لسلامة اسرائيل » .

وتحدث الملحق العسكري السوفياتي في تصريحه ذلك الى الجريدة
الاسرائيلية عن اهمية اسرائيل للاتحاد السوفياتي والحكم الاشتراكي السليم
الذي تبنيه ، قال :

« لتطمئن اسرائيل . فالاتحاد السوفياتي يدرك ان
اسرائيل قوية وعزيزة هو امر ضروري لسياستنا في المنطقة
العربية ومصالحتنا متجانسة مع مصالحكم . انفسا نرعى
الاشتراكية العربية تعززا لمصلحة اسرائيل ايضا !! » .

تلك هي حقيقة السياسة السوفياتية أعلنتها على لسان ملحقها
العسكري في باريس ، ولم توارب بها ولم تخف اغراضها .

طبعاً يمكن ان يلاحظ المراقب المتابع للاحداث ، بين الحين والحين ،
فتورا في العلاقات السوفياتية الاسرائيلية ، مرده الى ان اسرائيل تبدو اكثر
انحيازاً الى الغرب . ربما لان القيادة الصهيونية تدرك اكثر مما يدرك العرب
ان رهانها مع السوفيات خاسر . ثم ان القسوى اليهودية داخل الاتحاد
السوفياتي المسيطرة على الفكر والتوجيه الشيوعي تستطيع دائماً ان تزيل
كل جفاء وان تسخر السياسة الشيوعية لخدمة بقاء اسرائيل وحمايتها
مهما بدا من انحياز اسرائيل الى الغرب .

وتقدم لنا المصادر السوفياتية الرسمية نفسها ما يؤكد هذا .

فيهود الاتحاد السوفياتي ، فيما تروي هذه المصادر ، يؤلفون ١ ٪
من مجموع السكان ، ولكنهم يمثلون نسباً عالية من مدرسي المعاهد العليا في
الاتحاد السوفياتي ومن مسؤولي التوجيه العقائدي في الحزب والسياسة
الخارجية ، وهم يسيطرون سيرة تامة على جميع دوائر الصداقة والتنسيق

بين الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية ، وبين الاتحاد السوفياتي ودول منطقة الشرق الاوسط : اي الدول الغريبة .

ولست اذكر ان وفدا عربيا زار الاتحاد السوفياتي واي بلد اشتراكي آخر ، بدعوة من اية لجنة من لجان العمل الشيوعي المستتر والمكشوف : انصار السلم ، الشبيبة الديموقراطية ، المحامين الديموقراطيين ، النساء ، الطلبة . الخ ، الا وكان جميع مرافقي هذه الوفود من الشيوعيين اليهود ، كما كان معظم رؤساء هذه اللجان في الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الاخرى يهودا .

ومن هذه العناصر اسماء بارزة شاركت وتشارك في الاشراف على تسليح الجيوش العربية الاشتراكية : « يعقوب كرزور » وهو ضابط يهودي سوفياتي كبير اشترك في جميع المفاوضات العسكرية مع البعثات العربية وزار القاهرة .

ذلك كله غييض من فيض .

فحقيقة العلاقات الاسرائيلية - السوفياتية ، يطوبها كتمان مقصود
هدفه اتاحة الفرصة للاتحاد السوفياتي ليكون أكثر نفوذا في العالم العربي واقدر على توجيه الامور وضبط عناصر اليسار . ولن يستطيع المراقب ان يتابع من هذه العلاقات الا ما يتسرب منها ، بين آن وآن ، وتنشره الصحف الاسرائيلية او السوفياتية وكلاهما غير مقروء في العالم العربي وبستطيع ان يطمئن اليه الجانبان !!

فاذا تركنا جانبا ما يتسرب من هذه العلاقات وما تنشره صحف اسرائيل او الشيوعية عنها للتدليل على استمرارها والتقائها ، فقد نجد في جوهر الموقف السوفياتي من عدوان اسرائيل عام ١٩٥٦ على مصر ، ثم من عدوانها عام ١٩٦٧ على مصر والاردن وسورية ، ما يؤكد حقيقة التقاء السياستين السوفياتية والصهيونية ، على نقاط مشتركة ، وضد الحق العربي ، مهما بدا من مظاهر الخلاف الاخرى ومن اشكال الصخب الشيوعي وضجيجيه في تأييدنا .

موقف الاتحاد السوفياتي من عدوان ١٩٥٦

لنعد الآن الى حقائق الاشياء .

في شهر تشرين الاول من عام ١٩٥٦ اقدمت اسرائيل على اختراق الجبهة المصرية في غزة وسيناء ، واحتلت قواتها مواقع جديدة انتهت بالضبط السياسي الامريكي الى انسحابها عنها في مقابل السماح لها بالمرور عبر خليج العقبة ، واستخدم البوليس الدولي ستارا لهذه التسوية الجزئية والموقنة بين مصر واسرائيل .

ليس المهم الآن تاريخ احداث السويس فكلها معروف ومنشور . ولكن ما يهمنا هنا هو موقف الاتحاد السوفياتي من العدوان .

في ضجيج الخداع والتزوير استطاعت الدعاية الشيوعية ان توهم الرأي العام العربي بأن موقف الاتحاد السوفياتي كان حاسما في صد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ . غير ان ما اتكشف من حقائق تلك المرحلة يرد الدعوى الشيوعية ويرفضها ويؤكد خلافا لها ان العامل الحاسم الوحيد كان موقف امريكا وليس الموقف الشيوعي .

فقد سكّت الاتحاد السوفياتي خمسة ايام العدوان الاولى ، وكان موقفه في الامم المتحدة اكثر مرونة وليونة من الموقف الامريكي . وفي اليوم السادس من العدوان فقط وجه بولغانين رسالته التهديدية ، بعد ان كان قد ضمن صدق الموقف الامريكي وصرامته .

ويروي ايدن في مذكراته القصة كاملة ، فيقول :

« وتلقيت في مساء الثلاثين من تشرين الاول برقية اخرى من الرئيس ايزنهاور ، وكان قد وقف على الشروط التي تضمنتها مذكرتنا الى مصر واسرائيل ، فأوضح بأنه يشعر بقلق بالغ من توقع العمل القوي اللفظ وأعرب عن اعتقاده بأن الوسائل السلمية يجب ان تسود » .

« وتلقينا تقارير اخرى من واشنطن ونيويورك عن رد فعل الحكومة الامريكية وكانت تقارير غير مرضية » .

« ولم تجد حججنا جميعا آذانا صافية . فقد اصرت الولايات المتحدة الامريكية على تولي زمام المبادرة وقدم ممثلها في مجلس الامن مشروع قرار يقضي بوقف اطلاق النار فورا ، وانسحاب القوات الاسرائيلية الى ما وراء خطوط الهدنة الاصلية . وطالب مشروع القرار الامريكي ايضا جميع الدول الاعضاء في الامم المتحدة ، بالامتناع عن استخدام القوة أو التهديد باستخدامها في المنطقة ، وتجنب تقديم اي عون لاسرائيل ما لم تمثل لهذا القرار وتنفذه » .

« وكان هدف أمريكا من هذه الحركة اخذ زمام المبادرة في يدها من الحكومتين البريطانية والفرنسية ، وجعل مذكرتنا المشتركة الى مصر واسرائيل امرا لا داعي له . والحق المستر « كابوت لودج » مندوب أمريكا على اخذ الاصوات بسرعة على مشروع قراره مضمنا فقراته ، عمدا ، عبارات ضد الاجراء الفرنسي البريطاني . وكانت النتيجة ان استخدمت بريطانيا الفيتو لأول مرة في تاريخ عضويتها في الامم المتحدة » .

« حينذاك تقدم الروس بمشروع قرار هو مشروع القرار الامريكي ذاته بعد ان حذفوا منه الفقرات المهمة الموجهة الى فرنسا وانكلترا » .

« وجاءتنا في الليل - ليل ٥ تشرين الثاني ١٩٥٦ -

رسالة بولغانين التي اذاعها قبل وصولها الي ، وقد سببت لهجتها عناوين مفزعة في بعض الصحف البريطانية ، اذ أعلن رئيس الوزارة السوفياتية ان الحرب في مصر يمكن ان تتطور الى حرب عالمية ثالثة ، وهدد بان روسيا قد تلجأ الى القوة ، ثم قال متسائلا : في اي وضع ستجد بريطانيا نفسها اذا هاجمتها دولة اقوى منها تملك جميع الاسلحة المدمرة الحديثة ؟ اننا نأمل انك ستظهر الحنكة اللازمة وتستخلص من قولنا هذا النتائج المناسبة » .

ويتابع ايدن استعراض الاحداث قائلا :

« ولكننا استخلصنا نتائج مغايرة تماما . فقد حافظ الروس في الايام الاربعة الاولى سواء في الامم المتحدة ام في اذاعتهم على الهدوء وضبط النفس ، وكان تدخلهم في مجلس الامن اكثر اعتدالا من تدخل الولايات المتحدة ، فلم يدينوا الاجراء الفرنسي الانكليزي كما ادانته المستر كابوت لودج الامريكي في مشروع قراره ، ولم تنشط دعايتهم الا بعد ايام وعندما اتضح ان الولايات المتحدة تتولى الزعامة في الحركة المضادة لنا في الامم المتحدة » .

ويرد ايدن سبب التحفظ الروسي الى عوامل اهمها خوفهم من ان يكونوا ضحية شرك منصوب لهم . يقول :

« وتعود هذه الفترة من التحفظ الروسي الى عدة عوامل ، فقد كان الروس حريصين على ان لا يجازفوا بانفسهم في وضع مكشوف قد يضطرون الى التراجع عنه كما وقع في حصار برلين . ولا شك في انهم تذكروا التحذير الذي وجهته لخرشوف وبولغانين عندما زارا لندن من اننا سندافع عن مصالحنا في الشرق الاوسط بالقوة اذا احوجنا الامر . ومن المحتمل ان يكونوا قد شكوا في بادىء الامر في ان سخط امريكا الرسمي على حلفائها يمكن ان يبلغ الحد

الذي ظهر منه ، فقد كان موقف أمريكا من وجهة نظر السوفيات أكثر مما توقعوا ، اذ لم يبلغ بهم الامر تصور أمريكا تتنكر لمصالح حلفائها ، وخافوا ان يكون ثمة شرك منصوب في مكان ما ، ومن ثم آثروا ان تكون الحكمة والحذر رائدي خطواتهم ، فلما اطمأنوا تماما من هذه الناحية وبعد ان شجعهم فشل مجلس الامن عدة ايام متعاقبة في مناقشة موضوع المجر فكروا ان بإمكانهم اتخاذ اجراء جديد فقفزوا بسرعة الى المقدمة » .

تلك هي رواية آيدن للاحداث (١) ومنها يتضح ان الموقف الأمريكي من العدوان على مصر هو وحده الذي أوقف العدوان ، وهو وحده الذي عطل الاهداف الفرنسية الانكليزية الاسرائيلية المشتركة .

وما زلنا نذكر ان الرئيس عبد الناصر وقف أكثر من مرة في مرحلة خلافه مع الشيوعيين المحليين والاتحاد السوفياتي (٢) معرضا بموقفه عام ١٩٥٦ من العدوان مؤكدا ان مصر حاربت وحدها وان موقف الاتحاد السوفياتي بجانبها لم يتعد حدود الكلمات .

واذا تجاوزنا جدية الاتحاد السوفياتي وتهديده وحاولنا ان نستخلص من موقفه من العدوان موقفه من اسرائيل ذاتها فماذا نجد ؟

لقد طالب الاتحاد السوفياتي اسرائيل بايقاف عدوانها ، ثم بالانسحاب وهدد وتوعد - صادقا ام غير صادق - فهل كان موقفه ذلك معاديا لاسرائيل ذاتها كيانا ووجودا ؟

ان المطالبة بوقف العدوان لا تعني التخلي عن تأييد اسرائيل والحرس على بقائها . وفي افضل الاحوال فان الموقف السوفياتي عام ١٩٥٦ لا يزيد

(١) مذكرات آيدن ، الجزء الثاني ص ٢٨١ - ٤١٦ .

(٢) كانون الاول ١٩٥٨ . كانون الثاني ١٩٥٩ .

على موقف أية دولة غربية - باستثناء فرنسا واتكلترا - من الدول التي استنكرت العدوان وأدانت انسحاب القوات الأجنبية . وهو بالطبع لا يمكن في أي حال أن يبلغ الموقف الأمريكي الذي كان له ، بنسبة أعلى وأكبر من أي بلد آخر ، فضل إيقاف العدوان ثم سحب المعتدين . ومع ذلك فإن الموقف الأمريكي ذاك على نبلة وقوته ، لم يكن يعني التنكر لإسرائيل الكيان ولا اعتراضا على مبدأ وجودها .

بمعنى آخر : أن الموقف السوفياتي من عدوان عام ١٩٥٦ لم يتجاوز حدود استنكار سياسة حكام إسرائيل ، مع استمرار تأييدها وحمايتها والاعتراف بها !

في مقابل ماذا - إذن - يريد الاتحاد السوفياتي منا أن نشيع ونرهن عنده وله مستقبلنا واقتصادنا وحریتنا وأمننا الوطني ؟

امن أجل انه استنكر عدوانا إسرائيليا استنكره العالم كله قبله ومعه وبعده ومثله وأكثر منه يريد منا أن ندفع له الثمن : استقلالنا وسيادتنا ؟

عدوان ١٩٦٧

والنصيحة الغالية !!

وننتقل من عدوان عام ١٩٥٦ الى عدوان عام ١٩٦٧ . ففي صباح الخامس من شهر حزيران عام ١٩٦٧ فوجيء الرأي العام العربي والدولي بإسرائيل تجتاح حدود ثلاث دول عربية هي مصر وسورية والاردن فتضرب بسرعة وتحقق في ساعات ثم في أيام نصرا خاطفا تستقر بعده في سيناء وغزة وعلى الضفة القناة ، وفي الضفة الغربية من الاردن والقدس ، وفي المرتفعات السورية حتى القنيطرة بالقرب من دمشق !

وقد سبق عدوان إسرائيل جو كانت الحرب فيه متوقعة . ففي ١٦

أيار من عام ١٩٦٧ طلب الرئيس عبد الناصر سحب قوات الطوارئ الدولية من خطوط الهدنة ، وأرسل قواته لتحل مكانها ، وأوقف الملاحة الاسرائيلية في خليج العقبة بعد أن كانت مباحة لها كجزء من تسوية عام ١٩٥٦ بين قيادة مصر والمستر همرشولذ .

وتكهرب جو المنطقة ، ثم سارت الاحداث سريعا قبي اتجاه الحرب ، ونصح الملك فيصل في بروكسل وجنيف - وكان يقوم بزيارة رسمية للاولى وشخصية للثانية - بأن تضرب مصر فوراً فلا تنتظر لان الانتظار لن يكون في مصلحتها ، وأبلغ السفير المصري في البلدين ان جميع تقارير مبعوثيه تشير الى ان الحرب محتومة وان على مصر ان تكون البادئة لئلا تخسر ويخسر العرب بانتظارها .

فلما جاءت الحرب ولم تبدأها مصر بل أخذت فيها بغير استعداد لها بالرغم من توقعها ، تساءل الكثيرون عما أوقف مصر وشل قواتها وكسنت تملك قوة وقوات كثيرة وعتادا وفيرا ؟

وجاء الجواب على لسان الرئيس عبد الناصر وهو يشرح أسباب الكارثة المفزعة فاذا به يلح بغير تصريح - ربما لما أوقعت مصر به نفسها من عدااء الغرب كله فلم يبق لها الا الاتحاد السوفياتي مهما قست شروطه وأشارت اليه اصعب الاتهام بالتواطؤ - ويروي كيف زاره سفير الاتحاد السوفياتي في مصر بعد منتصف ليل الرابع من شهر حزيران ١٩٦٧ أي صباح يوم العدوان - وقبل أن يبدأ العدوان - فطلب منه ان لا تكون مصر البادئة بالحرب وأكد له ان اسرائيل لن تبدأ » .

غير ان الاحداث ما لبثت ان تسالت سريعة خاطفة ، وحقت اسرائيل بالنصيحة السوفياتية ما كانت ترجوه من اخذ الجبهات المحيطة بها على حين غرة وبغير استعداد ولا توقع .

وروى الرئيس عبد الناصر ما هو أبعد وأخطر دلالة . فهو لم يسحب قوات الطوارئ الدولية من خطوط الهدنة الا بعد أن أبلغه السوريون وأكد

له السوفيات احتشاد القوات الاسرائيلية على خطوط الهدنة مع سورية تمهيدا لعدوان عليها . فاقدم الرئيس المصري على سحب قواته تنفيذا لالتزام ميثاق الدفاع المشترك الذي لم يجف حبره بعد بينه وبين السوريين . وكان العدوان الاسرائيلي المتكرر على سورية قد اخرج زعامة القاهرة في مواجهة النقد المتصاعد لتقاعسها عن نصرتها .

ثم يتضح بعد ذلك ان ما قيل عن الحشد الاسرائيلي على الحدود العنصرية قبل سحب قوات الطوارئ الدولية لم يكن صحيحا ، وان المنطقة العربية وقعت فريسة كذبة مؤامرة ، ادت بها الى كارثة ه حزيران !

ومن سياق الاحداث تتكشف لنا النقاط التالية وينطرح عدد من الاسئلة وكلها خطير :

فالاتحاد السوفياتي هو الذي ابلغ القاهرة اتباء الحشد الاسرائيلي ولم يكن ثمة حشد فعلي - اي ان الاتحاد السوفياتي هو الذي دفع القاهرة الى موقف المواجهة مع اسرائيل .

ثم كان الاتحاد السوفياتي هو الذي نصح القاهرة بان لا تبدأ بالعنوان وكان ذلك قبل عدوان اسرائيل ببضع ساعات ، معطيا الفرصة بذلك لاسرائيل لتكون صاحبة الضربة الاولى !

فماذا اراد الاتحاد السوفياتي ؟

مبدئيا يتبادر الى الذهن تساؤل منطقي : هل في مصلحة الاتحاد السوفياتي ان تنهزم الانظمة الموالية له ؟ ام انه هو الآخر وقع فريسة الخداع الاسرائيلي ؟

والجواب : نعم ولا . نعم بقدر ولا بقدر آخر . فمن مصلحة السوفيات ان تنهزم الانظمة الموالية وليس من مصلحته ان تسقط . من مصلحته ان تنهزم فيتقدم لتأييدها سياسيا فتزداد التصاقا به وارتقاء عليه وحاجة له ، ويزداد بالتالي نفوذه عليها وتسخيرها لها وسلطانه فيها . وليس من مصلحته

ان تسقط لان في سقوطها خروجه من المنطقة .

ولو نحن تابعنا الموقف السوفياتي بعد حرب الخامس من شهر حزيران والمشروعات المتعددة التي قدمها امام الامم المتحدة ومحادثاته جميعا لرأينا منها انه، وهو يتظاهر بتأييد العرب في موقفهم من اسرائيل، يتبنى كل اهداف اسرائيل من العدوان ويقول معها ومع الغرب بتسوية سلمية للنزاع اي الصلح فالتعاش السلمي ، اي بقاء اسرائيل الدولة والكيان .

اذن لماذا كل هذا الضجيج وذلك التهريج ما دام الموقف السوفياتي في جوهره لا يخرج على موقف الغرب ولا موقف اسرائيل ؟

فاذا اشار البعض الى مساعدات الاتحاد السوفياتي قلنا ولكن المساعدات الامريكية للعالم العربي تظل اكبر حجما وربما اعظم فائدة . قديون مصر لأمريكا مثلا تزيد على ديونها للاتحاد السوفياتي . واذا كانت روسيا قد أعطت مصر السلاح في مقابل القطن فقد أعطت أمريكا لمصر لقمة الخبز .

طبعا نحن لا نعلم عن رؤية وجه الخطأ في موقف السياسة الامريكية من القضية العربية ولا انحيازها الى جانب اسرائيل . ولئن كانت السياسة العربية الثورية تحمل بعض المسؤولية فيما انتهت اليه العلاقات العربية الامريكية بسبب شططها وتطرفها واستفزازها وسوء تقديرها للامور والواقف ، فان السياسة الامريكية نفسها تحمل جانبا آخر من المسؤولية لان بعض أخطائها في المنطقة قد جرّها الى ما انتهت اليه جرا وساقها عنوة !

وانما نحن نقصد المقارنة لاننا لا نفهم وجهها وسببها للتقرب من الاتحاد السوفياتي على حساب الغرب ، ما دام الموقف السوفياتي لا يخرج جوهرها من الموقف الغربي ولا يزيد عليه او ينقص عنه .

لماذا نعادي هنا ونصادق هناك في الموقف الواحد والنظرة الواحدة ؟

وهل في مصلحة القضية الفلسطينية هذا الانحياز الاعمى الذي يجبر علينا وضدنا قوى لا يستطيع الاتحاد السوفياتي نفسه ان يواجهها ويتجنب لالف سبب وسبب مناطقها ؟

هذا وروسيا تطالبنا أيضا كالفرب بان نعترف باسرائيل ، ونصالحها ،
ونقيم معها علاقات ود وتعایش ، ولا تقر سياستها منها ولا موقفنا معها ،
وتنصحن بان لا تكون البادئين بالقتال ضدها لتمنحها فرصة ان تكون هي
البادئة ضدنا !!

ويريدون منا ان نصفق للاتحاد السوفياتي وان نستسلم للشيوعية
والاشتراكية ونسلس لهما القياد . لماذا ؟ وفي سبيل اية قضية ؟ ولصلحة
من ؟

خلفية العلاقات والعداء المضطرب

فاذا تركنا ظواهر المواقف السياسية ، وهي مواقف كلامية في كل حال لا تضر ولا تنفع أو هي لا ترد باطلا ولا تمنع عدوانا ، لنذهب الى مسا وراء المرئي من العلاقات الروسية الاسرائيلية فماذا نجد ؟

في تموز ١٩٦٥ ذكرت الصحف الاسرائيلية ان الاتحاد السوفياتي اعار اسرائيل عالما ذريا يهوديا هو الدكتور « لاندو » للتدريس في معهد وايزمن والمشاركة في ابحاث اسرائيل الذرية وانتاجها .

وقبل ذلك بعام - ١٩٦٤ - عقد الاتحاد السوفياتي صفقة دينية مع اسرائيل باعها فيها ممتلكات الكنيسة الارثوذكسية في القدس والناصرة وحيفا ، والقي السفير السوفياتي في تل ابيب خطابا بالمناسبة أكد فيه ان هذه الاتفاقية تشكل اعترافا راسخا بكيان اسرائيل المستقل وبحقها في ان ترث الممتلكات والنفوذ التقليدي لاي طرف اجنبي سبق ان كان له في الماضي بعض الامتيازات ..

وحتى حين اعتدت اسرائيل عام ١٩٦٧ في الخامس من حزيران على ثلاث بلدان عربية واحتلت بالقوة اجزاء من اراضيها ، ووقف الاتحاد السوفياتي ، لاعتبارات تتصل بسياسة تشجيع المنطقة ، الى جانب العرب لم يتجاوز التأييد حدود استنكار العدوان والمطالبة بالانسحاب ، دون ان يمس جوهر الموقف الشيوعي من الكيان الاسرائيلي .

وقد حدد هذا الموقف بوضوح السيد اليكسي كوسيفين رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ١٩ حزيران ١٩٦٧ ، قال :

« وان الاتحاد السوفياتي طيلة الاعوام الخمسين من تاريخه يكن الاحترام لجميع الشعوب صغيرها وكبيرها . ولكل شعب الحق في تأسيس دولته الوطنية المستقلة وهذا من المبادئ الاساسية لسياسة الاتحاد السوفياتي . ولقد حددنا في هذا المبدأ بالذات موقفنا من اسرائيل كدولة وصوتنا في عام ١٩٤٧ الى جانب قرار هيئة الأمم المتحدة بقيام دولتين مستقلتين يهودية وعربية في اراضي فلسطين التي كانت مستعمرة بريطانية . واقام الاتحاد السوفياتي بعد ذلك علاقاته الدبلوماسية مع اسرائيل اهتداء منه بذلك الموقف المبني » .

ولم تخرج سياسة الاتحاد السوفياتي بعد عام ١٩٤٨ - أي بعد قيام اسرائيل - عن خط تأييد الكيان الاسرائيلي ، وان كانت قد تقلبت بين تأييد ومعارضة سياسة اسرائيل الخارجية ، ووقفت لاهداف توسعية ذاتية ضد سياسة التوسع الاسرائيلي ! بمعنى ان الاتحاد السوفياتي قد تطلع من خلال معارضة التوسع الاسرائيلي الى كسب الراي العام العربي بجانبه بحيث يحقق اهدافه القيصريّة في الوصول الى المياه الدافئة ، واحتلال موقع امامي في المنطقة عبر حكومات موالية تقيمها القوة العسكرية باسم الاشتراكية مرة وباسم فلسطين مرات !!

ولقد ادركت صحيفة «كول هاعام» الاسرائيلية ان جوهر هذه السياسة هو في مصلحة اسرائيل ، باكثر مما ادرك بعض العرب ، فكتبت بتاريخ ١٨ آب ١٩٦٥ تقول ان في اسرائيل والاتحاد السوفياتي مكاتب وهيئات ومنظمات شبه رسمية ورسمية متفرغة مهمتها تعزيز الصلات السوفياتية - الاسرائيلية في جهد متصل ومنظم . وتابعت الجريدة تقول : « ان اسرائيل حكومة وشعبا تعلم ان العلم ان ازدياد نفوذ السوفيات في العالم العربي

واعتماد العرب عسكريا على الاتحاد السوفياتي سياسيا واقتصاديا هو في المرحلة النهائية ، وفي المرحلة الراهنة ايضا ، لمصلحة اسرائيل ويعزز أمنها وسلامتها تعزيزا اكيدا . !! »

وهناك نماذج لا تحصى لاتفاقات تجارية وصفقات ومشروعات مشتركة ومساعدات تشكل مجموعها الخلفية الحقيقية للعلاقات السوفياتية - الاسرائيلية ، وراء كل مظاهر الخلاف وضجيج الاتهام .

ولم ينكر الاتحاد السوفياتي موقفه هذا كلما اثير معه او اخرج فيه . بل الانصاف يقتضي ان نشير الى انه كان دائما وفي جميع المحادثات الرسمية وشبه الرسمية والشعبية يدافع عن مبدأ وجود اسرائيل ويقر بدوره في قيامها ويدعو العرب الى الاعتراف بها . فهو لم يتنصل يوما من هذه الحقيقة ولا تنكر لها . غير ان الدعاية الشيوعية كانت قادرة دائما على التغطية وايهام الرأي العام العربي بنقيضه . ولم تحقق الشيوعية تقدمها الملحوظ في السنوات الاخيرة الا على جثة فلسطين وبوهم ان الاتحاد السوفياتي ضد اسرائيل ، وهو ضد سياستها في واقع الامر لا ضد وجودها . والخلاف كبير بين الموقفين !

وحتى تتم الصورة وضوحا نشير هنا الى موقف الاتحاد السوفياتي من منظمة التحرير الفلسطينية ، ومن جميع المنظمات الاخرى ، بما فيها منظمات الفداء .

فهو لم يعترف ، واصر الى النهاية على موقفه ، بمنظمة التحرير الفلسطينية ورفض ان تفتح المنظمة مكتبها لها في موسكو . كما هو رفض ويرفض تدريب الفلسطينيين عسكريا مهما كانت هوياتهم السياسية وانتماءاتهم التنظيمية . وفي مطلع عام ١٩٦٦ بلغ رفض فلسطين بالاتحاد السوفياتي درجة اعتذر فيها المسؤول في وزارة الخارجية الروسية عن شؤون الشرق الاوسط عن استقبال مسؤول في منظمة التحرير الفلسطينية كانت قد وجهت اليه الدعوة لزيارتها من لجنة التضامن الاسيوي - الافريقي، السوفيتية . وكان الاعتذار استجابة لاحتجاج السفير الاسرائيلي في موسكو على دعوة ممثل المنظمة .

كيف يوفق الاتحاد السوفياتي بين هذه المواقف المبدئية ذات الدلالة ،
وبين المواقف الدعائية التي يهيج بها الرأي العام العربي وتستغل لأغراض
التوسع الشيوعي دون ان تعكس أي اثر على جوهر القضية الفلسطينية ؟

يقول دافيد هاكوهين رئيس لجنة العلاقات
الخارجية ولجنة الدفاع عن الكنيسة وقطب حزب
الماباي : ان حاجة اسرائيل للاتحاد السوفياتي كحاجة
الاتحاد السوفياتي لاسرائيل . هذه القاعدة راسخة
وقديمة في العلاقات بين البلدين . ولكن ننسى ان
موسكو كانت اول من اعترف ياسرائيل وحين يجيء
الوقت المناسب فسيلعب الاتحاد السوفياتي اكبر دور
في تصفية المسألة الفلسطينية التي تتاجر بها الرجعية
العربية (١) . ونحن وموسكو على يقين بأنه لن يكون
بيننا أي خلاف او اصطدام على المشاريع المرسومة
والمفهوم مسبقا لاقرار التعايش السلمي وتصفية
المشاكل في الشرق الاوسط» .

تري هل كان عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ هو الوقت المناسب ؟
وهل كان العدوان بالتحريض الروسي اولا ثم بالنصيحة الغالية ثانيا ،
بداية لاقرار المشاريع المرسومة والمفهوم مسبقا ؟
لنحاول ان نظل مفتوحين الاعين .

١ - مسكينة هذه الرجعية العربية التي تنهم بكل شيء . بالموقف ونقيضه . بعداء
اسرائيل ومخالفة اسرائيل . بالتواطؤ ضدها ومعها . انها كبش الغداء للجهل والسفخ ،
وربما للتواطؤ والتحالف الحقيقيين !

من تاريخ الأحزاب الشيوعية العربية وعن مؤسسيها اليهود وموقفها من قضية فلسطين !!

في تاريخ الاحزاب الشيوعية العربية عموما ، يظل منشأ كل حزب منها
اكثر جوانب هذا التاريخ غموضا . فلا احد ، حتى اعضاء هذه الاحزاب - ما
عدا القلة التي تحتفظ بالسِر - يعرف كيف نشأت : ايسن ، ومتي ، ومن هي
العناصر الاصلية في انشائها .

فالحزب الشيوعي في سورية ولبنان - مثلا - لا يكاد يعرف المتتبع
لتاريخه - فضلا عن المواطن العادي - منشأه والعناصر التي حملت افكاره
الاولى . ويجهد الحزب نفسه في الابقاء بان تاريخه يعود الى عام ١٩٣٠ ،
ربما لتغطية ما قبل هذا التاريخ وابقائه سرا في ضمير الذين عاصروا نشأته
الاولى وعرفوا اسرارها وخفاياها .

على ان واقع الحال هو ان الحزب الشيوعي تأسس اولا في لبنان عام
١٩٢٤ وساهم في تأسيسه كل من يوسف يزبك وفؤاد شمالي وبعض
العناصر اليهودية الوافدة من فلسطين ، وهي التي اوكلت اليها مهمة نشر
الفكرة الشيوعية والاشراف على تنظيم خلاياها في المنطقة العربية ، وذلك ان
اول حزب شيوعي انشيء فيها كان الحزب الشيوعي الفلسطيني . تأسس
عام ١٩١٩ ، وجميع عناصره من اليهود الروس الذين حملوا بدور الفكرة
الاولى - كما حملوا بدور الصهيونية - في هجرة عام ١٨٨٢ وما بعدها التي
اعقبت اغتيال قيصر روسيا وردود الفعل العنيفة ضد اليهود بسبب ذلك .

تيسر اليهودي سكرتير عام الحزب !!

وفي عام ١٩٢٥ أعيد تنظيم الحزب الشيوعي في لبنان وانضم اليه حزب سبارتاكوس الارمني برئاسة أرتين مادويان وتألفت لجنته المركزية المؤقتة من خمسة أعضاء على الشكل التالي : جاكوب تيسر سكرتيراً عاماً ، وهو يهودي فلسطيني من أصل روسي (١) . وأرتين مادويان أميناً للصندوق ، وهيكازون بويادجيان ويوسف يزبك وفؤاد شمالي أعضاء .

وفي نهاية عام ١٩٢٥ - كانون الاول - انعقد المؤتمر الوطني الاول للحزب الشيوعي وانتخب لجنته المركزية من سبعة أعضاء ، وظل تيسر اليهودي الروسي محتفظاً بأمانة الحزب العامة .

ثم اعتقلت اللجنة المركزية للحزب في عام ١٩٢٦ وأحيلت على المحكمة العسكرية وأبعد جاكوب تيسر الى فلسطين ، فانتهت بذلك المرحلة الاولى من تأسيس الحزب الشيوعي في سورية ولبنان .

وفي عام ١٩٢٨ أطلق سراح المعتقلين من أعضاء اللجنة فانتقل نشاطها الى دمشق ، وانضم للحزب كل من أحمد ظاظه ، ورشاد عيسى ، وفوزي الزعيم ، وخالد قوطرش الذي شهر فيما بعد باسم : خالد بكداش .

وظل الصراع محتدماً في الحزب حول القيادة منذ ذلك الحين حتى عام ١٩٣٢ ، حيث تمكن خالد بكداش من أن يبلغ مركز زعامة الحزب المطلقة بترشيح جاكوب تيسر اليهودي المبعود الى فلسطين وتزكيته . واحتفظ مادويان بمركزه القيادي في الحزب ، وتقدم مع بكداش وجوه ثلاثة جديدة هي : نقولا شاوي وفرج الله الحلو ، ورفيق رضا الذي قدر له أن يلعب بعد ثلاثين عاماً دوراً كبيراً في فضح أسرار الحزب واتصالاته .

١ - يعرف تيسر عادة باسم « شامي » . وقد درج معظم الاعضاء القياديين في الحركات الشيوعية على استعارة اسماء أخرى ، وربما كان هذا التقليد يهودياً .

ففي عام ١٩٥٩ ، خرج رفيق رضا على الحزب وكان عضوا في قيادته المركزية ، لبروي بعض تاريخه ويسلط الضوء قليلا على الجوانب المعتمدة منه . كتب رفيق رضا.في ذلك الحين يقول في رسالة مفتوحة وجهها الى القيادة المركزية التي كان منها :

المسال اليهودي للحزب !!

« في عام ١٩٢٢ وفد الى بيروت عدة مندوبين شيوعيين يهود حملوا مبالغ وافرة من المال الى قيادة الحزب الشيوعي في سورية ولبنان ، واذكر منهم : اميل واوسكا ، ومولر . وقد ايدت لهم شخصيا قسما من الاموال التي حملوها بالعملة المحلية آنذاك . في عام ١٩٣٨ حملت الى الحزب مبلغ خمسة وعشرين الف فرنك كان الحزب الشيوعي الفرنسي قد قرر آنذاك وضعها تحت تصرف الحزب الشيوعي السوري اللبناني لتوسيع حملته من اجل اقرار المعاهدة الفرنسية السورية البغيضة ومحاربة الاتجاه الوطني في ذلك التاريخ . هذا مع العلم ان خالد بكداش قد نقل بنفسه مبلغا آخر حين كان ، في باريس واشترك في مؤتمر « آدل » الشيوعي الفرنسي (١) » .

ثم عاد رفيق رضا في بيان آخر له الى القاء اضاء اخرى على موضوع مشاركة العناصر اليهودية في توجيه الحزب الشيوعي في سورية ولبنان، قال:

« وفي عام ١٩٣١ - ١٩٣٤ ، والى ما بعد عام ١٩٤٣ ، كنتم على احسن حال مع الشيوعيين اليهود ، وكنتم تبادلونهم ودا بسود وتتبادلون معهم البعثات وتشركونهم في بحث سياستكم واوضاع بلادكم . وقد

ارسلتم فرج الله الحلو الى تل ابيب ليستطلع رأي الشيوعيين اليهود في خطة حزبكم ، ثم استقدمتم الى بيروت الشيوعي اليهودي « نخمان ليفتسكي » لتستأنسوا برأيه في أحد مؤتمرات الحزب . وقد حضر فعلا ، واشترك في أعمال المؤتمر المذكور وأوصاكم بأن تعدلوا موقفكم من الاحزاب والجماعات الوطنية في سورية ولبنان وأن تتشددوا في الحملة عليها على اعتبار انها احزاب انتهازية (١) هذا في وقت كان فيه الاستعمار الفرنسي يعمق في بعض هذه الاحزاب اضطهادا ونفيا وتشريدا .

ثم كان منكم ايضا ، بدافع الامانة لوصية نخمان اليهودي ، ان سعرتن نار حملتكم على الجمعية التأسيسية وعلى اعضائها ، والمندوب السامي يهدد بحلها وبسجن نوابها المعارضين لانهم رفضوا ان يضعوا بيده مفتاح سيادة الامة ومقاليدها ، وهكذا استويتن والاستعمار على صعيد واحد .

واقبل « نخمان » اليهودي كان مستشاركم السياسي « برنمو » ، وبعد « برنمو » و « نخمان » وقد عليكم العديد من المستشارين اليهود الذين كانت لهم الكلمة الاولى في سياسة حزبكم وقد حمل هؤلاء جميعا اليكم الاموال الاجنبية ونقلوا اليكم التوجيهات (١) . »

١ - من الاهداف التي سمت وتسعى اليها الصهيونية في البلدان العربية ، تدمير القيادات السياسية فيها بتشويهها وتسلط السنة الفجور عليها . وقد شهد العالم العربي في السنوات الاخيرة ، ربما لتنفيذ وصية « نخمان » موجة حادثة معادية لكل قيادة سياسية وطنية غير شيوعية . وما تزال وصية نخمان نافذة في اكثر من بلد عربي وضد كل من يرتفع له صوت معاد للشيوعية واسرائيل !

٢ - جريدة الجماهير - دمشق عدد رقم ٦٩ تاريخ ١٥ تموز ١٩٥٩ .

ولم يكتف الحزب الشيوعي السوري اللبناني بذلك ، ولم يقف ارتباطه الفكري والمالي بالعناصر اليهودية عند هذا الحد ، فقد استعار اسماء صحفه التي اصدرها من اسماء الصحف التي اصدرتها الحركات الشيوعية واليهودية في فلسطين - فاسم « صوت الشعب » وهي الصحيفة السرية للحزب الشيوعي في سورية ولبنان ، تعريب امين لاسم الجريدة العبرية للحزب الشيوعي الفلسطيني - اليهودي « كول هاعام » . واسم « النور » وهي الصحيفة العلنية للحزب التي اصدرها في دمشق عام ١٩٥٦ وظلت حتى عام ١٩٥٨ ، منقول بالامانة ذاتها عن اسم صحيفة الحزب الشيوعي الاسرائيلي التي اصدرها عام ١٩٢٤ في فلسطين .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان الحزب الشيوعي العراقي ايضا عرّب الاسماء اليهودية في الصحف التي اصدرها ، وحملت صحفته السرية عام ١٩٥٩ اسم صوت الشعب اي « كول هاعام » صحيفة الحزب الشيوعي الفلسطيني - اليهودي !.

فلم يكن غريبا اذن حين جاءت القضية الفلسطينية أن نجسد الحزب الشيوعي السوري اللبناني - وبقية الاحزاب الشيوعية في العالم العربي كما سيجيء معنا - يتخذ موقفه المعادي للحق العربي الواضح ، مرتبطا في ذلك وملتبعا ، بالاتحاد السوفياتي ومع الصهيونية العالمية . فقد احسنت العناصر اليهودية تنشئته وتوجيهه واصطفاء قياداته !

وستجاوز في هذا البحث بالطبع كل مسا له صلة بمواقف الحزب الشيوعي السوري اللبناني ، والاحزاب الشيوعية الاخرى من القضايا القومية بعامة والقضايا الوطنية بخاصة .

ستجاوز مواقف الخيانة من الكفاح الوطني في داخل كل بلد، وسياسة التشكيك والتمزيق والتحريض والاستزلام والتبعية الدليلة . فكل ذلك لا يدخل في نطاق بحثنا هذا ، وانما نحن نقصر الحديث هنا على القضية الفلسطينية دون غيرها ، ونمر بمواقف هذه الاحزاب منها في خطوطها العامة

لا في تفاصيلها وجزئياتها ، فالتفاصيل والجزئيات كثيرة والشواهد والوثائق موفورة . والحديث عنها جميعا بأسهاب ومناقشة يحتاج الى أكثر من دراسة بمفردها وكتاب واحد .

بؤادر اخمينسنة !

ظهرت بؤادر خيانة قضية فلسطين لدى الحزب الشيوعي السوري اللبناني عام ١٩٣٧ ، حين اشتد النضال العربي في فلسطين ضد الانتداب البريطاني ، وقدم خالد بكداش باسم الحزب الى مؤتمر بلودان المنعقد لبحث القضية الفلسطينية تقريراً حدد فيه موقف الحزب منها .

في ذلك التقرير استعرض خالد بكداش مطالب الشعب الفلسطيني فجدها في : رفض التقسيم ومنع الهجرة الصهيونية ، ومنع بيع الاراضي ، واقامة نظام دستوري ديموقراطي يضمن انتشار السلام والهدوء في فلسطين (١) .

وسكت بكداش عن مطلب الاستقلال الوطني الذي كان هو المطلب الاساسي . تماما كما سكت الاتحاد السوفياتي فيما بعد عن هذا المطلب خلال مناقشة القضية الفلسطينية امام الامم المتحدة ، والتقى بالسياسة البريطانية في بحث مستقبل الحكم في فلسطين تمهيدا لاقطاعها كلها او بعضها لليهود !

ثم خطا الحزب الشيوعي خطوة ابعد مفصحا في ذلك الوقت عن سياسته الفلسطينية فنشر سليم عبود عضو اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية مقالا في صحيفة « صوت الشعب » السرية جاء فيه :

١ - جريدة صوت الشعب . عدد رقم ١٢ تاريخ ١٥ ايلول ١٩٣٧ .

« اما العرب فعندما يرفضون مشروع التقسيم يقدمون بالوقت نفسه مشاريع عمرانية مقابلة ، فهم يطلبون وضع حد للسياسة الامبراطورية الاستعمارية ، واعطاء سكان فلسطين العرب واليهود ايضا حقوقهم الديموقراطية المحرومين منها وتشكيل مجلس يتألف من ممثلي الشعب لاجل التشريع بشكل ديموقراطي وبدون قيد فيما يختص بتقسيم الاراضي والهجرة وجميع الامور وفقا لمصلحة سكان فلسطين . »

« وهنالك مشروع عربي آخر يستحق الذكر هو مشروع الامير محمد علي وصي العرش المصري الذي جاء مطابقا لمشروع الشخصيتين النافذتين في العالم اليهودي : السر هيرت صموئيل رئيس حزب الاحرار في بريطانيا العظمى والمفوض السامي البريطاني الاول في فلسطين ، والدكتور مايتنس رئيس جامعة القدس العبرية سابقا . ويرمي هذا المشروع الى ضم فلسطين وشرقي الاردن ، وسورية الى حكومة ديموقراطية موحدة حيث يصبح اليهود اقلية وطنية لها نفس الحقوق التي لغيرها وهو حائز على تأييد جميع الوطنيين في العالم العربي . ومن احدى ميزات المشروع انه لا يضمن التعاون والصداقة بين العرب واليهود ، فحسب ، بل هو يخفف من اخطار الحرب في البحر المتوسط الشرقي ، وذلك مما لا يستطيع احد انكاره ، ويخلق بلادا تحيد قضية السلم العالمي وخليفه جديدا للامم الديموقراطية فرنسا واكتلترا بنوع خاص في نضالها ضد الحرب والفاشية (1) . »

هنا يحدد الحزب الشيوعي موقفين اساسيين وخطيرين في قضية

فلسطين : فهو يسكت أولا عن موضوع الهجرة ، ويطالب بتشكيل مجلس من ممثلي الشعب للتشريع وبدون قيد على تقسيم الاراضي او الهجرة .. الخ .
اي انه يوجه السلطة البريطانية المنتدبة على فلسطين الى ضرورة فتح باب الهجرة او تركه مفتوحا فلم يفلق قط ! - وليس يحتاج القارىء الى ذكاء خارق ليدرك ان الهجرة المعنية هنا ليست الهجرة العربية ، بل الهجرة اليهودية !

وهو ينادي ، ثانيا ، بمشروع لدولة سورية الكبرى يكون فيها لليهود وجود وطني اقلّي ، ملتقيا في ذلك مع شخصيتين نافذتين في العالم اليهودي هما هربرت صموئيل والدكتور مايتس . . ومع شخصيتين عربيتين فيما بعد هما : فكري ابازله الذي سبق وكتب عام ١٩٥٩ ينادي بالفكرة ذاتها ويدعو خروشوف وايزنهاور الى تنفيذها (١) وميشيل عفلق الذي روى فنبروكوي عضو حزب العمال البريطاني على لسانه انه موثق بضرورة اقامة اتحاد لدول المنطقة تنضم اليه اسرائيل وتحفظ فيه كل دولة بادارة شؤونها الداخلية (٢) .

وينبغي ان نسجل هنا نقطة اساسية في توضيح الموقف الشيوعي من قضية فلسطين ، وهي ان الحزب الشيوعي السوري اللبنانيي - والاحزاب الشيوعية الاخرى - كان حتى نهاية الحرب العالمية الثانية معارضا مبدا للتقسيم ، مؤيدا مرة ومعارضاً مرة اخرى موضوع الهجرة اليهودية الى فلسطين ، بحسب اتجاه وميول العناصر المهاجرة . فاذا كانت يسارية سكنت عنها ، او كانت يمينية ثار عليها .

ثم سكت الحزب وبقية الاحزاب الشيوعية عن موضوع الهجرة اليهودية أصلا - بعد الحرب العالمية الثانية - ربما لان اعداد المهاجرين من الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الاخرى فاقت مثلتها من الدول

١ - مجلة الصور ابول ١٩٥٩ .

٢ - مجلة النظرة الجديدة تل ابيب عدد رقم ٧ تاريخ شباط ١٩٥٨ .

الفربية - ! وظل الحزب معارضا ميذا التقسيم الى ما قبل صدور القرار الذي اقترحه الاتحاد السوفياتي في الجمعية العامة للامم المتحدة ولجانها المنبثقة عنها .

ولان قضية فلسطين لم تكن - كما هي اليوم - تهم الشيوعيين الا من زاوية الهجوم ضد انظمة الحكم القائمة لتقويضها، فقد كان الموضوع الاساسي المشترك في جميع مواقف هذه الاحزاب قبل الحرب وبعدها هو الهجوم ضد ما يسمى بالرجعية العربية الدينية والاقطاع . وسيجيء معنا شرح ما تعنيه هذه التعابير في الفكر الشيوعي وعند مستخدميها اليساريين بشكل صام .

ويتضح لنا صحة هذا التحليل من مراجعة مذكرة خالد بكداش الى مؤتمر بلودان عام ١٩٣٧ ، ومواقف الحزب الاخرى قبل الحرب العالمية الثانية . ثم البيان المشترك الذي اصدره الحزبان الشيوعيان السوري واللبناني ، - وكانا قد انفصلا لغراض تكتيكية ليعودا فيندمجا فيما بعد بقيادة بكداش ايضا - عام ١٩٤٧ .

وفي المذكرة الاولى باسم الحزب الى مؤتمر بلودان حدد بكداش مطالب الشعب الفلسطيني بأربعة مطالب بينها منع الهجرة الصهيونية . هنا وبعد سكوت طويل عن موضوع الهجرة يتحرك الشيوعيون معارضين . وبالعودة الى تاريخ تلك المرحلة يتضح لنا ان معظم الهجرة المفتوحة يومذاك كان من اوربا الغربية ومن عناصر يمينية، مما حرك موقف المعارضة عند الشيوعيين .

سكوت عن الهجرة ١

وفي البيان المشترك للحزبين الشيوعيين السوري واللبناني الصادر بتاريخ ١٧ تشرين الاول ١٩٤٧ ، يتناول الشيوعيون موضوع القضية الفلسطينية بالسكوت عن موضوع الهجرة ، ورفض مشروع التقسيم - ولم يكن قرار التقسيم قد صدر بعد ، ولا تلقى الحزب تعليمات الكومنفرم بالموقف الذي يجب ان يتخذه من هذه القضية .

يقول البيان فيما خص قضية فلسطين ، ونحن نورد النص الكامل هنا
لاهميته :

« ان قضية فلسطين تجتاز مرحلة دقيقة تتميز بتنوع وتكاثر المؤامرات الاستعمارية الانكليزية والاميركية الرامية الى اخراج هذه القضية عن حقيقتها ، وطمس معالمها ، واعطائها الشكل الذي يمكن المستعمرين من تنفيذ اهدافهم ومطامعهم . ان المستعمرين الانكليز وقد انضم اليهم في السنين الاخيرة المستعمرون الامريكيون - قد عملوا دوما لجعل القضية الفلسطينية قضية نزاع عنصري عربي يهودي . ولاجل ذلك سعوا - يساعدتهم زعماء الصهيونية - الى تغذية التوتر والحقد بين العرب واليهود في فلسطين ، ومنع اي تقارب بين الطرفين . وكان هدفهم دائما تأمين سيطرتهم والمحافظة على احتلالهم واستعمارهم .

وها هم اليوم يستغلون الحالة التي خلقوها هم انفسهم ، لاجل تقسيم فلسطين واقامة دولتين فيها ، وهدفهم من ذلك هو تثبيت سيطرتهم واستعمارهم واحتلالهم بالتعاون مع خدمهم زعماء الصهيونية وعملائها ودعاتها . ولا ريب ان السياسة التي سارت عليها بعض الاوساط العربية وخصوصا تلك الاوساط المتصلة بالاستعمار الانكليزي ، وكذلك الاوساط ذات العقليّة الاقطاعية الرجعية قد ساعدت في تنفيذ مآرب المستعمرين والصهيونيين في الدعوة للتقسيم وجعل القضية قضية نزاع عربي يهودي ، وبايجاد الحجج لدعم مزاعمهم القائلة باستحالة عيش العرب واليهود في دولة واحدة .

ان الحزبين الشيوعيين السوري واللبناني
يعتقدان اعتقادا جازما بان قضية فلسطين هي قضية

حرية وجلاء واستقلال . وهما واثقان من انهما يعبران
عن رأي جميع الوطنيين الديموقراطيين العرب في
التأكيد بأن حل قضية فلسطين هو في الجلاء
والاستقلال والغاء الانتداب ورفض مشروع التقسيم
رفضاً باتاً ، كما يعتقد ان بأن من الممكن ان يعيش
العرب واليهود في فلسطين في ظل دولة ديموقراطية
مستقلة واحدة .

ان واجب الوطنيين الديموقراطيين العرب ، في
نضالهم ضد التقسيم ان يقاوموا يحزم وقوة جميع
المحاولات التي تحمل لواها بعض الاوساط الرجعية
المرتبطة بالاجنبي في الاقطار العربية ، تلك المحاولات
الرامية الى اخراج حركة التضامن العربي مع فلسطين
من نطاق النضال ضد الاستعماريين والاحتلال
والصهيونية وتحويله الى نضال عرقي عربي - يهودي .

ان الشرط الرئيسي لنجاح النضال العربي ضد
التقسيم هو في الوقوف بحزم وجراة في وجه كل
سياسة ترمي الى جر العرب لمثل هذه المغامرات التي
لا يقتصر اذاها وضررها على قضية فلسطين العزيرة بل
تتناول سمعة العرب جميعا وتهدد استقلال سورية
ولبنان في الدرجة الاولى ونظامهما الجمهوري ، كما
تهدد مستقبل نضال بقية الشعوب العربية في سبيل
الجلاء والاستقلال .

ان العالم اجمع يجب ان يعرف ويقتنع بأن نضال
العرب لاجل فلسطين هو قبل كل شيء نضال وطني
ضد الاستعمار والاحتلال وفي سبيل الجلاء
والديموقراطية .

وان تضامن العرب في جميع اقطارهم مع فلسطين
في نطاق النضال ضد الاستعمار هو السبيل الوحيد

القوم للفوز بتأييد القوى الديمقراطية في العالم
وأجباط مشاريع التقسيم والدولة الصهيونية، وتحقيق
استقلال فلسطين وتحريرها من الانتداب ضمن دولة
ديموقراطية مستقلة (١) .

ذلك هو نص البيان فيما خص قضية فلسطين . ومن مطالعته وتحليله
تتضح لنا بعض الحقائق :

١ - سكت الشيوعيون سكوتا مشبوها عن موضوع الهجرة الى فلسطين .
فلم يطالبوا بالحد منها ولا منعها ، لان المهاجرين اليهود في تلك الفترة كانوا
يتدفقون من الاتحاد السوفياتي ومن دول اوربا الشرقية التي احتلتها في
اعقاب الحرب الثانية - بالرغم من ان الهجرة الى فلسطين كانت وما زالت اخطر
جوانب هذه القضية ، لانها تستتبع بالحتم ازدياد اليهود فيها وازدياد عوامل
الانفجار في مشكلتها . وليس من يجهل ان الهجرة اليهودية الى فلسطين هي
اهم اهداف المؤتمر الصهيوني الاول في « بال » عام ١٨٩٧ . فالتسكوت عنها
اذن التقاء واضح الهدف بين الشيوعيين العرب والصهيونية مهما كانت
جنسية المهاجرين الى فلسطين والوانهم السياسية .

ثم ان القول بإمكان تعايش اليهود والعرب في فلسطين في ظل دولة
ديموقراطية دون تحديد موقف من الهجرة اليهودية السابقة الى فلسطين ولا
من التدابير الاستعمارية التي مهدت لقيام الوطن القومي اليهودي ، يعتبر في
حد ذاته موافقة ضمنية على الهجرة والتدابير الاستعمارية معا ، وتواطؤا في
الموقف والهدف بين الشيوعية وبين الصهيونية والاستعمار : ثالث المؤتمر
على فلسطين .

**٢ - طالب الشيوعيون في بيانهم هذا بإلغاء الانتداب بعد ان حدد
الانتداب البريطاني بنفسه لنفسه موعد رحيله عن فلسطين .** وقد سبق
ليكداش ان سكت في مذكرته الاولى الى مؤتمر بلودان عام ١٩٣٧ عن موضوع
الانتداب أصلا ، ولم يجد يومذاك مبررا وطنيا في ضميره للمطالبة بالغاء عن

فلسطين ومنح شعبها استقلاله وحرية ، وهو الموضوع الاساسي في كل قضية وطنية .

٣ - هاجم البيان الشيوعي السوري اللبناني مشروع التقسيم ، واعتبره ماربا استعماريا صهيونيا ، يهدف الى تثبيت سيطرة الاستعمار والاحتلال بالتعاون ما بين المستعمرين وخدمهم زعماء الصهيونية . . وكان ذلك قبل أن يوافق الاتحاد السوفياتي رسميا على التقسيم وترد الى الحزب توجيهات السلطة العليا في موسكو . فلما وافق الاتحاد السوفياتي بعد ذلك على التقسيم ، ووضح اشتراكه في مسؤولية تمزيق فلسطين ومنح اليهود فيها وطنًا قوميا وهو مطلب الصهيونية الاول . . لم يجد بكداش ولا زمرة القيادة الشيوعية في سورية ولبنان وما يحركها بل راحت وفي أعقاب هذا البيان مباشرة تبرر مسلك الاتحاد السوفياتي وتهلل للتقسيم وتعلن موافقتها على قيام دولة اسرائيل .

كان منطق الحزب الشيوعي الذي أعلنه بكداش في تبرير التقسيم وموافقة الاتحاد السوفياتي عليه هو ما يلي :

« الحكومات الرجعية العربية هي المسؤولة . لقد عارضت الاتحاد السوفياتي الصديق حتى اللحظة الاخيرة ولم تخطب وده . صحيح ان اليهود ليسوا أمة لكنهم شعب له حق الحياة (١) »

طبعاً لم يتح لخالد بكداش أن يقرأ يوماً خطب الرفيق غروميكو في مجلس الامن وامام اللجنة السياسية ، تلك التي أورد فيها أكثر من مرة تعبير « الامة اليهودية » . ولو اطلع بكداش والشيوعيون على ما قاله الرفيق الصديق لسارعوا الى التبرير ولصاغوا المقالات واجهدوا الفكر طويلاً في تفسير ذلك وفي تأكيده . . فاليهود أمة بدليل كذا ودليل كيت وبما قاله هذا الكاهن أو ذاك من كهان الشيوعية ونظريها !

١ - صفحات مجهولة من تاريخ الحزب الشيوعي . تأليف محمد علي الزرقا والياس مرقص ص. ١٢٧ - ١٢٨ .

ولم يدركدش - أيضا - ان منطقته ذلك يجعل المصالح اساس العلاقات الدولية ، لا المبادئ . واذن وطبقا لمنطق الزعيم الشيوعي فان لاصداقاً أمريكا الحق كل الحق في ان يطالبوا الحكام العرب بخطب ود أمريكا وهي صاحبة الكلمة الاولى في قضية فلسطين ، ما دام خطب الود مبررا من اجل المصالح واحقاق الحق ، وما دام تقيضه يسرر للآخرين مواقف العداء والخصومة والتنكر للمبادئ .

نحن لم نقل هذا ولكنه منطق بكدش يقود اليه ويوحيه .

الموقف من الداخل !

ولم يكن ما قاله بكدش مع ذلك على خطورته، جوهر الموقف الشيوعي . كان مجرد قشرة خارجية تخفي وراءها ما هو أخطر وأبعد . فالحزب الشيوعي السوري اللبناني ، شأنه شأن الاحزاب الشيوعية العربية الاخرى ، قد هلل لقيام اسرائيل . فلهذا الهدف وهذا اليوم اعده مؤسسه اليهود . وقد كشف رفيق رضا عضو قيادة الحزب المركزية المنشق ، حقيقة موقف الحزب من قضية فلسطين قال :

« . . وكانت قيادة الحزب الشيوعي يمثل حماس بن غوريون على بعث الدولة اليهودية فسي فلسطين . فاسرائيل في نظرها واحدة من واجات الديمقراطية في الشرق الادنى . والشعب الاسرائيلي المشرّد لا بد وأن يلتقي في ارض الميعاد ، وأن واجبه التضامن الاممي في عرف القيادة المذكورة هو من صلب المبادئ الماركسية ولذا فوجود اسرائيل له في عرفها مبرراته الانسانية التي تتخطى المبررات والوقائع القومية . »

« ومنذ اليوم الاول لكارثة فلسطين او منذ اليوم الاول لاعلان التقسيم ووقوف الدول الكبرى الى جانب

الصهيونية بما فيها الاتحاد السوفياتي ، منذ ذلك اليوم المشؤوم في تاريخ قوميتنا انحازت قيادة الحزب الشيوعي الى جانب الراي الاستعماري - الصهيوني ونادت بعدالة التقسيم ودعت اليه كما لو كانت قيادة تجري في عروقها دماء اسرائيل . وهي قد التزمت جانب الاستعمار والصهيونية علنا وصراحة على لسان دعائها وفي بياناتها وصحفها . وقد قوبلت خيانتها هذه بسخط عربي عارم زلزل الارض تحت اقدامها ، وانهالت لعنات العرب عليها حتى لسم يعد بوسع شيوعي في سورية ولبنان أن يعلن عن شيوعيته » .

« كل ذلك كان من قيادة الحزب الشيوعي ارضاء للاستعمار وارضاء للاتحاد السوفياتي وارضاء لليهود وانسجاما منها مع عدائها التقليدي للقومية العربية وكرهها لكل ما هو عربي » .

ولقد بنى الحزب - فيما بعد - دعوة الصلح مع اسرائيل صراحة ، وكان يوزع في سورية سرا مقالات « صموئيل ميكونيس » سكرتير الحزب الشيوعي الاسرائيلي المنشورة في جريدة الكومنفورم « في سبيل سلم دائم » الداعية الى الصلح كحل وحيد لمشكلة الخلاف . ولقيت مقالات ميكونيس تأييد قيادات الاحزاب الشيوعية في المنطقة العربية جميعا ، تلك التي ظلت تنظر الى النزاع العربي الاسرائيلي من زاوية اتجاه الحكم في اسرائيل لا من مبدأ وجودها . وسنعود في نهاية هذا الفصل الى مناقشة ذلك وتوضيحه .

وثيقة

على أن من المفيد هنا أن نعرض وثيقة منتزعة من سجلات الحزب الشيوعي وكانت بعض ما صادرتة السلطة في سورية عام ١٩٥٨ وهي تكشف بأوضح موقف الحزب من اسرائيل .

ففي ١٣ نيسان ١٩٥٠ كتب خالد بكداش في توجيه خاص للحزبيين
يقول :

مظاهرات الطلاب : جاء من بين الهتافات التي
لقاها اخواننا هتاف ضد اسرائيل ربيبة الاستعمار
الامريكي وهو شعار يدعو الى التفكير العميق . فهل
هو شعار صحيح ؟ كلا . لا اعتقد انه شعار صحيح .
فاذا كانت حكومة اسرائيل هي حكومة تسير في ركاب
الاستعمار الامريكي ويسيطر عليها الاشتراكيون
اليمنيون الصهيونيون ، فليس معنى ذلك ان من الواجب
اسقاط اسرائيل كلها . وهناك مثالا بصور القضية : ان
عبد الله ونوري السعيد هما ربيبا الاستعمار الانكليزي
وخادماء ، فهل نهتف ضد العراق ربيب انكلترا ؟ ان
اسرائيل مثل كل دولة اخرى رأسمالية مؤلفة من
طبقات : فهناك الطبقة الرأسمالية والمستوردين الخ ..
ثم خدم الاستعمار ، وهناك طبقة العمال والشفيلة الذين
تتناقض مصالحهم مع مصالح الاستعمار وخدامته
البورجوازية الاسرائيلية . وطليعة العمال والشفيلة اي
الحزب الشيوعي في اسرائيل ، تناضل الاستعمار
ولاجل السلم وضد خيانات الطبقة الحاكمة في
اسرائيل . فلا يمكن اذن ان ننظر الى اسرائيل كوحدة .
واذا نظرنا كذلك فمعناه اننا ننظر نظرة قومية لا نظرة
طبقية ولا نظرة بروليتارية . هذا شيء هام وارجو ان
تكون هذه القضية موضوع نقاش بينكم » .

ذلك ما قاله بكداش ، اي قيادة الحزب الشيوعي عام ١٩٥٠ ، وهو
يكشف الجانب الحقيقي والابعد في الموقف من قضية فلسطين .

اليهود استسئوا الأضراب الشيوعية الأخرى!

لم يكن الحزب الشيوعي السوري اللبناني وحده - مندمجا في حزب ومنفصلا الى حزبين - هو الذي أسسه اليهود ثم اختاروا لقيادته عناصر معادية لكل اتجاه عربي فضلا عن الاتجاه الديني . ولا كان وحده الحزب الشيوعي الذي اتخذ موقف التواطؤ القدر من قضية فلسطين .

فالحركة الشيوعية العراقية ايضا اشرف على تأسيسها اليهود ومولها في معظم مراحلها عناصر يهودية موسرة كان يفترض فيها انها ضد الشيوعية بحكم انتسابها الطبقي . ومن قيادة هذه الحركة برز كل من : **صديق يهودا** و**ساسون دلال** و**يعقوب كوجمان** . وكلهم من اليهود . وكانت الحركة الشيوعية العراقية منقسمة الى فريقين : فريق « القاعدة » وفريق « راية الشفيلة » . وفي المنظمين لعبت العناصر اليهودية الدور الاول ما عدا مرحلة « فهد » اي يوسف سلمان ، وكان ايضا بجانب الدعوة الى السلام الاسرائيلي العربي .

وفي مصر ، تأسست الحلقات الماركسية الاولى باشراف مندوبي الكومنترن : **افجيدور وناداب وهما يهوديان روسيان** . وقد انضم الى هذه الحلقات انطون مارون وسلامه موسى وروزنتال وحسن العربي ، وكان الاخير ابرز قياديهما وسلامه موسى ابرز مثقفها .

ثم تأسست المنظمات الماركسية الاولى باشراف اليهود ايضا ، فأسس « هنري كوريل » **اللبيوني اليهودي الايطالي الاصل منظمة : الحركة المصرية للتحرر الوطني** ، وأسس « هيلل شغارتس » **منظمة الإيسكرا أي الشرارة ، ومرسيل اسرائيل منظمة تحرير الشعب** ، ثم انضمت منظمة الإيسكرا الى الحركة المصرية للتحرر الوطني تحت زعامة كوريل وغدت تعرف باسم « حدتو » واصدرت صحيفة اسبوعية متقطعة باسم الجماهير . والى هذه الحركة انضم لفترة من الزمن طالت وقصرت معظم عناصر اليسار المصري الحاكم اليوم ! وكانت هذه المنظمة وحدها من بين كل المنظمات الشيوعية

الآخري التي تلقت ثورة ٢٢ يوليو في مصر بالثايد وكتب تدعو المثقفين الى الالتفاف من حولها بوصفها خطوة في اتجاه التحرر ، فالاشتراكية !! ورات في يوسف صديق وخالد محي الدين ضمانتها !

وقد اشتركت جميع هذه الاحزاب المصرية والعراقية في تايد تقسيم فلسطين وفي الدفاع عن مبدأ دولة اسرائيل ، وفي الهجوم على الرجعية العربية بوصفها مسعرة نار الخصام بين الشعبين العربي واليهودي ، وعدوة الحق اليهودي في اقامة وطن قومي لهم في فلسطين . واتخذت جميعها موقفا متشابهها من الحرب العالمية الاسرائيلية عام ١٩٤٨ ، ورات فيها حربا استعمارية .

فال حزب الشيوعي السوري اللبناني اعتبر الحرب مؤامرة رجعية دينية استعمارية هدفها بسلر الخصومة والعداء بين الشعبين العربي واليهودي !!

وال حزب الشيوعي العراقي يكتب في صحيفته السرية « القاعدة » (١) :
« ان الشعب العراقي يرفض باباء ان يحارب الشعب الاسرائيلي الشقيق » .

« لا مصلحة في الحرب للكادحين العرب واليهود بسل للبورجوازية العربية العفنة » .

ومن قبل هذا الكلام كتب يوسف سلمان الملقب « فهد » وكان سكرتير الحزب الشيوعي العراقي وأبرز عناصره جميعا في كل تاريخه والمنافس الوحيد ليكداش على زعامة الاحزاب الشيوعية في المنطقة (٢) « مرجبا بانشاء دولتين عربية ويهودية في فلسطين واشترط لهما الاشتراكية والتحالف ضد الرجعية الدينية العربية ! »

١ - عدد رقم « ١١ » عام ١٩٥٣ .

٢ - صدر حكم باعدامه على عهد نوري السعيد في اعقاب الحرب العربية الاسرائيلية

عام ١٩٤٨ .

ولم يخرج الشيوعيون المصريون على هذا الاتجاه . فقد ايدوا قيام اسرائيل ورددوا اقوال الرفيق غروميكو الذي اتهم الرجعية العربية والاستعمار بتفجير الخلاف والتقى عليهما المسؤولية في النزاع العربي الاسرائيلي !

وزادت منظمة « حداتو » ، اليهودية القيادية ، على ذلك بأن اعتبرت اسرائيل مرحلة أعلى ولرفق من التطور الاجتماعي هي المرحلة الرأسمالية - البورجوازية الديمقراطية ، فسي حين أن الدول العربية تمثل مرحلة الاقطاع (١) ، ودعا قادة « حداتو » الى الاخاء العربي اليهودي والصلح مع اسرائيل !

اما المنظمة الشيوعية ، فقد عالجت في اواخر عام ١٩٤٨ النزاع العربي الاسرائيلي في مقال افتتاحي نشرته صحيفة صوت البروليتاريا ، فقالت (٢) :

« في ١٥ مايو ١٩٤٨ غزت جيوش البلاد العربية فلسطين .

هناك حرب قائمة في الشرق الاوسط منذ ٧ شهور ، ولكننا اذا درسنا هذه الحرب بتعمق لوجدنا انها ليست سوى حرب عنصرية .

٢ - لقد اهلل الاستعمار البريطاني هذه الحرب واعد لها منذ سنين طويلة ليدافع عن مركزه في الشرق الاوسط .

ب - ان هذه الحرب تخدم البورجوازية العربية بكبت البروليتاريا الصاعدة .

ج - ان هذه الحرب هي واحدة من مصاد الحرائق الكثيرة التي تشعلها الرجعية العالمية وذلك بهدف خلق ترسانات من بعض المناطق التي يريدون استخدامها كنقط للهجوم ضد الاتحاد السوفياتي » .

١ - مهر مجتمع عسكري تأليف أنور عبد الملك أحد عناصر الحركة الشيوعية في مصر .

٢ - عدد ٣ تشرين الثاني ١٩٤٨ .

« واخيرا فان هذه الحرب موجهة اليوم ضد الخطر الذي تمثله البروليتاريا الثورية في فلسطين » .

ذلك كان مجمل مواقف الاحزاب الشيوعية في الشرق العربي من موضوع فلسطين واسرائيل . وقد حرصت هذه الاحزاب جميعا منذ ذلك الحين والى اليوم على ان تظل منسجمة مع مواقف الاتحاد السوفياتي في الامم المتحدة وموافقة على قرار التقسيم .

مهاجمة الصهيونية والسكوت عن اسرائيل !!

ولم تخرج هذه الاحزاب عن هذا الخط الا قليلا ، وحين وجد الاتحاد السوفياتي ان مصلحته تفرض عليه مهاجمة الصهيونية ، حين ذاك اخذت الاحزاب الشيوعية تردد ببقاوي التعبير السوفياتي ، واقتصرت مواقفها على استنكار الصهيونية واتهامها والتوكيد على ان حكام اسرائيل عملاء الاستعمار، دون المساس بكيان اسرائيل اصل المشكلة ، ولا يمس موضوع الدولة القومية لليهود في فلسطين وهو اصل الخلاف .

فخالد بكداش يكتب في صحيفة نضال الشعب (١) مهاجما اديب الشيشكلي وخالد العظم يقول :

« ولقد استغل العظم والشيشكلي وزمرتها ما حدث على الحدود من استفزازات لم يكن دورهم فيها اقل من دور الزعماء الصهيونيين في اسرائيل تنفيذا لمؤامرة استعمارية محبوكة الاطراف غايتها الاولى تحقيق المشاريع الحربية الانكلو - امريكية في سورية » .

« نقول استغل العظم والشيشكلي وزمرتهما هذه الحوادث والاستفزات ففتحوا باب سورية أمام وحدات آلية من الجيش العراقي فدخلت هذه الوحدات وعسكرت في المطارات وشتى المراكز ، هكذا تحققت خطوة خطيرة نحو تنفيذ مشروع الاتحاد السوري العراقي ... الخ » .

بكداش يلقي مسؤولية حوادث الحدود السورية - الاسرائيلية على حكام دمشق اذن، مثلما يلقيها على حكام اسرائيل، واضعا بذلك الجانبين على مستوى واحد متناسيا ان اسرائيل في اساسها كيان عدواني اقتطع من ارض العرب ومن حقهم المشروع . وقد رمى بكداش من هذا الى تحريف النظرة الى القضية الفلسطينية واغراقها في المفهوم الشيوعي الجديد الذي يهاجم حكام تل ابيب ويسكت عن دولة اسرائيل . انه يقول ان المصيبة في الحكام العرب واليهود معا ، لا في مبدا قيام اسرائيل . وعندما يتبدل هؤلاء الحكام تتبدل معطيات المشكلة الفلسطينية ويصبح ما هو باطل حقا ، وما هو حق باطلا .

ويتابع خالد بكداش ، يمثل الاتجاه الشيوعي برمته في منطقة الشرق الاوسط والمسؤول القيادي الاول فيه ، خطة اغراق القضية الفلسطينية وتحريفها ، فيخطب في البرلمان السوري - وكان نائبا فيه - عام ١٩٥٥ (١) يقول بكداش :

« ان للاستعمار الامريكي ركيزتين اساسيتين في الشرق الاوسط تركيا واسرائيل . فهو يريد تقوية هاتين الركيزتين في سبيل هدفين اساسيين اولهما استعمالهما في الحرب العالمية التي تسعى لها الدوائر العدوانية في الولايات المتحدة الامريكية ، وثانيهما - استعمال هاتين الركيزتين اداة تهديد وضغط على

البلدان العربية »

« هكذا تبدو الطغمة الصهيونية في تل ابيب ، وكذلك الحركة الصهيونية العالمية بأسرها في ضوءها الحقيقي كأداة عدوان وتجسس وتخريب وتوسع في يد الاستعمار الامريكي بوجه خاص وفي يد الاستعمار العالمي بوجه عام » .

فهمشكلة اسرائيل اذن كمشكلة تركيا ، هي مشكلة اتجاه وسياسة وارتباط ، لا مشكلة كيان . وكما لا يعني قول بكداش ان تركيا قاعدة الاستعمار الامريكي في الشرق الاوسط الفناء الكيان التركي او الاعتراض عليه ، كذلك لا يعني قوله ان اسرائيل قاعدة هذا الاستعمار الفناء كيانها ولا الاعتراض عليه . المشكلة كلها هي في اتجاه السياسة الاسرائيلية ، فاذا تبدلت ، تبدلت النظرة اليها . باوضح : ان ارتباط اسرائيل بالغرب هو ما يفيظ الشيوعيين ولا يرضيهم ، فاذا ارتبطت اسرائيل بموسكو غدت شيئا آخر : دولة صديقة محبة للسلام يدعو لها الشيوعيون العرب بالسلامة وطول البقاء !

اين جوهر المشكلة : اسرائيل ذاتها بالكيان الذي اغتصب اغتصابا من حق العرب وارضهم ووجودهم ؟ لا اعتراض عند الشيوعيين على هذا ، ولا حديث .. فليست فلسطين ، ولا القضايا القومية ، ولا الحق العربي هو المهم ، بهم المهم ان تتعاضد القوة السوفياتية الام وينمو نفوذها وتبسط سلطاتها ، ما دامت هذه القوة هي التي تجسد احلامهم في الحكم ، وتطمعهم يوما الى اغتيال السلطة ، وما دامت هي التي ترفدهم بالمال ، وتوفر لهم في بلادها - وفي البلاد الشيوعية الاخرى - لذائد الحياة وطيبها !

وعلى الرغم من ان قضية فلسطين كانت تطرحها الاحداث كل يوم ، وبشكل احد واعنف مع تعاضد الخطر الاسرائيلي فقد ظل الشيوعيون على موقفهم الاول منها وسياستهم وظلت مقرراتهم ومواقفهم تدفع بالقضية الفلسطينية الى الجوانب والهوامش ، وبلاعتراض على الاتجاه والسياسة دون المساس بالجوهر والاصل .

ففي السابع من ايار عام ١٩٥٦ اتخذت اللجنة المركزية للحزب

الشيوعي في سورية ولبنان - وكانت قد عادت الى وحدتها بعد انفصالها التكتيكي - عددا من المقررات نشرته في صحيفة النور ، وفي كراس خاص بعنوان « نحو آفاق جديدة » وكان في هذه المقررات قرار خاص بفلسطين عالجا تحت عنوان قضية فلسطين . فماذا قالت اللجنة المركزية للحزب وفي اي اطار وضعت القضية ؟

يقول القرار :

« ولا ريب أن صون استقلال البلدان العربية المتحررة وتوطيده ، والنضال لاستكمال استقلال البلدان العربية الاخرى والتعاون الوثيق بين جميع الشعوب العربية هي من أهم العوامل فسي جميع الظروف للوصول الى حلول لقضية فلسطين تتفق مع مبادئ الديمقراطية والعدالة وتضمن حقوق العرب » .

« ومن الواضح أن كل حل او تسوية لقضية فلسطين ، في نطاق الاوضاع والملايسات الحاضرة لن تؤدي الى ما يشهده جميع الشرفاء في العالم من اقيام سلم وطيد ، ولن تكون له صفة الاستقرار والدوام ما دامت اسرائيل قاعدة للاستعمار واداة في يده للضغط والعدوان والتوسع .. »

ماذا قال الشيوعيون هنا في قرارهم هذا ؟

لا جديد . بل تهرب كامل من مواجهة المشكلة لعلمهم وقناعتهم ان رايهم فيها لا يتفق وراي الشعوب العربية ، وان ما يقترحوه لها من حلول لا تخرج في جوهرها عما تقترحه الصهيونية وهو الصلح والاعتراف .

فالحديث عن « حلول لقضية فلسطين تتفق مع مبادئ الديمقراطية والعدالة وتضمن حقوق العرب » ، حديث مائع يمكن أن يعني كل شيء ، وأن لا يعني شيئا ، ما دام لا يقترن باقتراح واضح محدد .

والقول بأن كل حل أو تسوية لقضية فلسطين في نطاق الأوضاع والملاسات الحاضرة لن يؤدي الى ما ينشده جميع الشرفاء في العالم من قيام سلم وصيد ولن تكون له صفة الدوام، ما دامت اسرائيل قاعدة للاستعمار وأداة في يده .. لا يعني سوى الهرب من اقتراح الحل ، ثم التأييد الصريح لبقاء اسرائيل بدليل قول الحزب في قراره : « ما دامت اسرائيل قاعدة للاستعمار وأداة . الخ . . . أي ان الاعتراض ظل كما كان من قبل ، موجهها ضد أن تكون اسرائيل قاعدة للاستعمار وأداة في يده ، لا ضد أن تكون أصلا . وبمعنى آخر ، ضد أن تكون اسرائيل موالية للغرب ، ومع أن تكون اسرائيل موالية للشرق !

أين الحق العربي ، والمشردون من أرضهم ووطنهم ؟ لا جواب عند الشيوعيين على هذا ، لان جوهر المشكلة عندهم ليس هذا الحق ولا الشعب المشرّد ، بل ان جوهرها هو مصلحة الاتحاد السوفياتي الدولة الام . فهم ضد اسرائيل في اتجاهها وسياستها ، لا ضدها في كيانها . ودعوتهم أبدا هدفها ربط اسرائيل الى المعسكر الشيوعي كما هو هدفها ربط العرب الى هذا المعسكر . . وفي اطار التبعية هذه تجد المشكلة الفلسطينية حلها في الاخاء العربي اليهودي ، وبعد ان يغدو الحزب الشيوعي حاكما في البلاد العربية وفي اسرائيل ، بالخديعة أو بالحرب !!

بكداش سكرتير عام الاحزاب الشيوعية العربية .. واسرائيل أيضا !

ولم يكن هذا الاتجاه كما اسلفنا اتجاه الحزب الشيوعي السوري اللبناني وحده ، ولا قيادة خالد بكداش من دون غيرها من القيادات ، وان يكن خالد بكداش في سياسته واتجاهه معبرا اتم التعبير عن مجمل الاتجاه الشيوعي وسياسته، فهو اكبر شخصية نافذة في الاحزاب الشيوعية العربية، وثمة أكثر من دليل على أنه يتولى قيادة الاحزاب الشيوعية في المنطقة بما في ذلك اسرائيل . فقد نشرت Le Spectacle du Monde الفرنسية في عددها رقم ٥٧ تاريخ كانون الاول ١٩٦٦ تذكر ان خالد بكداش غدا الامين العام

للاحزاب الشيوعية في كل من : سورية ، لبنان ، الاردن ، اسرائيل ، العراق ، مصر .

وسواء اصح هذا ام لم يصح ، فلا انكار في انه الشخصية الشيوعية الاولى في المنطقة ، واقدم عنصر قيادي فيها ، والوحيد الذي ظل محتفظا بزعامة حزب شيوعي مدة خمسة وثلاثين عاما .

لم يكن هذا الاتجاه اذن اتجاه الحزب الشيوعي السوري اللبناني وحده ، بل كان اتجاه الاحزاب الشيوعية كلها بغير استثناء . ولقد يكون « مؤتمر شعوب الشرق الادنى والاوسط » الذي انعقد في بيروت اواخر عام ١٩٥٣ خير نموذج لهذا الاتجاه الشيوعي بمجمله .

ففي ذلك المؤتمر حرص الشيوعيون من انصار السلم - وانصار السلم حركة شيوعية الاتجاه والقيادة - على مقاومة كل ما يمس كيان اسرائيل او يستنكر وجودها وبسببها . كل ما وافقوا عليه هو القول « ان حكام اسرائيل هو عملاء للاستعمار ، وان المشكلة اصلا هي في الاستعمار فاذا زال زالت المشكلة تلقائيا » .

وبما ان كلمة الاستعمار تعني النظام الرأسمالي الغربي عموما والامريكي بخاصة ، فان مشكلة اسرائيل يحلها زوال الغرب وامريكا ، وانتصار الشيوعية فيها . وحتى يحين ذلك فان على العرب ان يندفعوا بكل قواهم في هذا الاتجاه ، اي ان ينضموا الى الثورة الشيوعية العالمية ضد الغرب وضد امريكا حتى يسقط الغرب وتسقط امريكا !

معنى ذلك ان على العرب ان ينسوا اسرائيل وان ينظروا اليها فقط من خلال الحركة الشاملة ضد الاستعمار العالمي .

ولقد بحث المؤتمر مشاكل الدنيا بالتفصيل ، واتخذ فيها المقررات المنسجمة مع النظرة الشيوعية ومنطقها ، من فورموزا الى الفيتنام الى قضايا افريقيا ، ولكنه تجنب اتخاذ اي قرار واضح محدد في قضية فلسطين .

وكان في الوفد السوري بعض العناصر القومية شاعت أن تطرح المشكلة صراحة ، إلا أن تكتل الشيوعيين السوريين والمصريين والاردنيين واللبنانيين والايروانيين حال ما بين المؤتمر وبين بحث المشكلة الفلسطينية في غير الاتجاه الشيوعي : اتجاه ادانة حكام اسرائيل لا اسرائيل نفسها ، واتهامهم بالعمالة للاستعمار دون المساس بها !

لقاء هلسنكي

كذلك يتضح لنا الموقف الشيوعي ككل ، - وبغير حصر هذه الدراسة بالحزب الشيوعي السوري اللبناني وقد ركزنا عليه الحديث بوصفه نموذجاً أوضح - في مؤتمر آخر هو مؤتمر السلام الذي انعقد في هلسنكي عاصمة فنلندا عام ١٩٥٥ تحت اسم «تجمع قوى السلام العالمي» وقد اتيح لى ان احضر هذا المؤتمر ممثلاً لسورية مع بعض الرفاق الآخرين ، ورايت فيه نماذج من لقاء الفكر والاتجاه بين الشيوعيين السوريين والمصريين والعراقيين واللبنانيين والاردنيين ، ومندوبي اسرائيل الى المؤتمر . ولم يقف الامر عند حد اللقاء الفكري ، فقد تمت اجتماعات كثيرة خارج جلسات المؤتمر ولجانه المنبثقة عنه ، وفي زوايا معتمة بين الشيوعيين العرب ومندوبي اسرائيل ، ودارت احاديث صريحة بينهم جميعاً عن اللقاء والتعاون ضد الرجعية العربية ومن اجل اخلال السلام محل العداء والتعاون محل الجفاء . ولم يستطع اعضاء الوفد السوري من غير الشيوعيين ان يطرحوا مشكلة فلسطين ولا ان يبحثوها من غير زاوية السلام والاستعمار . وهو خط يفترض - كما أسلفنا - أن اصل البلاء هو في الحكام العرب التقليديين وفي حكام اسرائيل الصهيونيين اليمنيين ، وليس في اسرائيل نفسها ، ولا في الجماهير اليهودية التي تجمعها الى الجماهير العربية اخوة الاشتراكية ووحدة الكفاح المشترك ضد الامبريالية .

ولو رحت اعدد المؤتمرات التي التزم فيها الشيوعيون العرب بهذا الخط لطال بي البحث ، فجميع مواقفهم لا تخرج عن هذا الاتجاه ، وهم في ذلك

مجرد بفاوات تردد ما يلقنه لها المعلم الروسي - وربما اليهودي - بفرض الوصول الى ما يخدم هدفا وحيدا هو انتصار الاشتراكية وحل مشكلة فلسطين بإزالة روح العداة العربي الموجهة الى اسرائيل دون المساس باسرائيل !

ولن يجد القارئ العربي ما نقب في تاريخ أي حزب شيوعي ، في أي بلد عربي موقفا واحدا من قضية فلسطين يخرج على هذا ، أو رايها صريحا يعالج جذر المشكلة : اسرائيل - الكيان ، لا فرعها : الصهيونية - الحكم .

واني لاذكر هنا احاديث كثيرة بيني وبين عناصر قيادية من الاحزاب الشيوعية في مصر وسورية ولبنان والاردن والعراق - يوم كنت واحدا في اليسار - حول هذه المشكلة ، كان فيها الحديث اصرح وأوضح مما يكتبه الشيوعيون عادة أو يصرحون به . فالكل مجمع على أن مسؤولية النزاع تقع على الحكام العرب لانهم رفضوا الاعتراف بحق الشعب اليهودي في فلسطين وان اسرائيل ارقى اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، وتحولها الى الاشتراكية اقرب - بل ان فيها نواة الاشتراكية بافضل مما هي في بعض بلدان أوروبا الشرقية - وواجب الشيوعيين حمايتها ورد الاذى عنها ضد الطغمة العربية الحاكمة !

ويكفي أن نعيد هنا قراءة ما كتبه رفيق رضا عن موقف الحزب الشيوعي السوري اللبناني ، مما سبق ذكره مثالا في هذا الموضوع ، ليتضح صحة ما نذهب اليه . فليس انهما ظالما ان يقال ان الشيوعيين اصدقاء اسرائيل ، وليس تجديفا على الحقيقة ان يدّعى اليوم تاريخ العلاقات الشيوعية الاسرائيلية فيجد فيها القارئ الوانا من الالتقاء والاتفاق لم تكن مجهولة وانما اخفيت بذكاء وتصميم عن الرأي العام العربي بغية خداعه وجره من قضية فلسطين الى الشيوعية .

لنقفز الآن الى الامام سنوات طويلة من عمر المأساة ، الى عام ١٩٦٧ . فماذا نجد في موقف الحزب الشيوعي من اسرائيل ؟ هل تبدل ؟

والجواب: أبدا . ما زال الموقف اليوم مثلما كان عليه بالامس . حتى العدوان

الآخر - ٥ حزيران ١٩٦٧ - لم يجد فيه الحزب الشيوعي سوى مناسبة للدعوة الى المزيد من الالتصاق بالاتحاد السوفياتي ، والمزيد من التدابير الاشتراكية في البلاد المسماة ثورية ، والسكوت عن موضوع اسرائيل أصلا والحديث عن العدوان فرعا . ثم الاستشهاد بالقول الشيوعيين في اسرائيل .

ففي دراسة مطولة نشرها خالد بكداش بتوقيعه في صحيفة « نضال الشعب » السرية (١) بعد العدوان ، تحت عنوان : « في سبيل سحب القوات الاسرائيلية المعتدية من الاراضي العربية . فسي سبيل تصفية جميع آثار العدوان ! » لم يجد في اسرائيل سوى السياسة والاتجاه ، لا الكيان والاصل . ودعا بكداش الى سياسة اوثق بالاتحاد السوفياتي ، وقصر بحثه السياسي الهام على الدعوة الى عودة اسرائيل الى ما وراء خطوط ٥ حزيران . واستشهد بالقول النائبين الشيوعيين في اسرائيل توفيق طوبي وماير فيلنر وأنصارهما ، مؤكدا معهم ان العدوان كان تنفيذا لمخطط استعماري امريكي . معنى ذلك ان العدوان مستنكر ومستقبح وملعون لانه جاء في اتجاه السياسة الامريكية ، اما لو جاء في اتجاه آخر مثل عدوان قيام اسرائيل ذاتها مثلا عام ١٩٤٨ بما كانت تحمله من اتجاهات اشتراكية - يسارية لا يهنية ! - فسيكون شيئا آخر : مقبولا ومرغوبا ومهتوفا له !

ولم ير بكداش في اهداف العدوان الاسرائيلي عام ١٩٦٧ مع ذلك سوى الاطاحة بالانظمة التقدمية العربية ، لا العدوان ذاته بهدف التوسع . ولم يفسر لنا بكداش كيف ولماذا اعتدت اسرائيل على الاردن وتلقى منها الضربة الاكبر ، ونظامه ليس تقدما بل هو مصنف عندهم في الرجعية والاستعمار !

لم ير بكداش والشيوعيون في العدوان سوى محاولة لاسقاط الانظمة الثورية على حد تعبيره ، وليس اغتصاب الارض !

على ان الواقع يفضح هذا كله ، بل هو يدينه . فها هي الانظمة لم

تسقط ، وها هي ذي اسرائيل تعلن عزمها على الاحتفاظ بالقدس والضفة الغربية وتبادر الى انشاء المستعمرات في الارض المحتلة !

واستشهاد بكداش باقوال الشيوعيين الاسرائيليين في مقاله مجرد تمهيد في العقل العربي لقبول اسرائيل تقديمية ، اي لقبول التصفية . واذن قضية فلسطين تتحول عند الشيوعيين الى وسيلة تحقق هدفا : الوسيلة فلسطين والهدف هو الشيوعية . بأوضح : قضية فلسطين تصبح في يد الشيوعيين أداة لخدبة الرأي العام ، وتكون النتيجة كما يلي : فلسطين تبقى اسرائيل ولها . والعالم العربي يتحول الى الشيوعية باسمها !!

فبكداش مثلا يحذر من المفامرة ضد اسرائيل داعيا الى اعتماد الحل السياسي من جهة والى توثيق الصلات بالاتحاد السوفياتي لزيادة مقدرتنا الدفاعية من جهة اخرى « اين فلسطين هنا ، والارض المحتلة ؟ ان بكداش لا يرى في العدوان كله غير مبرر أبعد وأعمق للارتباط . فهو يقول : « والواجب الاول هو رفع قدرة الدفاع العربية وهذا مرتبط بتوثيق علاقات الصداقة مع الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية الاخرى . فان المعونة السوفيتية بالسلاح والعتاد والمواد التموينية قبيل العدوان وبعده ، لعبت وتلعب دورا أساسيا في زيادة قدرة الدفاع العربية وهو شيء معروف ومسلم به لدى الجميع وهو يملأ جوانح كل وطني عربي بأعمق مشاعر الامتنان نحو الدولة الاشتراكية العظمى » .

ذلك ما يراه بكداش في العدوان ، ومنه . انه الهدف القديم نفسه : تشجيع العالم العربي باسم فلسطين وبدون فلسطين . وتبقى اسرائيل عند بكداش والشيوعيين واحة الديموقراطية وقوة الامل القادم !!

انها الحقيقة بوقائعها ووثائقها ونصوصها تنطق اليوم بعد ان أخفيت طويلا ، وأسهمت في طمسها عوامل المؤامرة ذاتها التي ابتلعت فلسطين .

فهل تنفتح منا العيون ، أم نظل عميا يسوقنا البله الى حيث لا قرار للهاوية ؟ !

الرجعية العربية

مر بنا فيما تقدم من هذه الدراسة تعبير أكثر ويكثر من استخدامه الشيوعيون ، سواء أكانوا شيوعيين سوفيات أمثال غروميكو وتسارابكين ويعقوب مالك ، أم شيوعيين محليين أمثال خالد بكداش في سورية ، أو نقولا شادي في لبنان أو عبد القادر اسماعيل في العراق أو فؤاد نصار في الأردن . . الخ . هذا التعبير هو الرجعية العربية والرجعية العربية الدينية .

وقد رد الشيوعيون بالامس الى هذه الرجعية العربية اسباب الحرب العربية الاسرائيلية والخلاف بين الشعبين ، وراوا فيها - اي الرجعية - عدو الوطن القومي اليهودي . ثم هم يردون اليها اليوم اسباب كل قصور وضعف في مواجهة العدوان الاستعماري الصهيوني ، ويرون فيها التواطؤ الاول مع اسرائيل والاستعمار والعدو الاول للحركة الثورية العربية .

فماذا يريد الشيوعيون بهذا التعبير ، وما دلالة عندهم ، وما صحة وجود رجعية عربية بالمعنى العلمي لهذه الكلمة في قمة السلطة من الحكم العربي أو في قلب المجتمعات العربية ؟

الرجعية ، اصلا ، سواء امتلكت السلطة أم لم تمتلكها، هي قوة اجتماعية ترفض التقدم وتتمسك بأشكال العلاقات والنظم والقوانين التسي تجاوزها التطور الانساني وغدت ثوبا ضيقا على جسم اتسع ويتسع باستمرار .

ومن الادلة عليها ان ترفض التعليم مثلاً أو نظم الصحة العامة ، أو استخدام الآلة الحديثة وما يسهل العلم للانسان من اسباب التقدم والرفاه . فهي اذن تقف في ارضها من الحضارة لا تأخذ بها ، ومن التقدم لا تؤمن به . مثل هذه الفئة تدان عادة بالحكم عليها وتوسم بالرجعية . اي أنها ترفض الجديد ، كل جديد ، وتمسك بالقديم ، كل قديم .

ولكن هذا التعبير تحول عن معناه الاساسي العلمي ، ليصبح تعبيراً

سياسيا يكثر من استخدامه اليسار عادة - والشيوعي منه بخاصة ؟ وقد يفيد تحليله في معرفة ما يريد قادة اليسار أن يؤمن به الناس ويعتقد به الجمهور .

وليس مهما البحث فيما اذا كان اليسار نفسه مؤمنا بالتعبير مدركا ابعاده . فجمهور اليسار مسيّر ككل جمهور آخر بقيادته . **والقيادة وحدها هي التي تدرك معلول الكلمات وابعادها ، وهي التي توجه استخدامها فيما يحقق غرضا معيناً لها او اغراضا . المهم هنا هو أن نعرف هذا الفرض أن نعرف ما يريد قادة اليسار .**

ومن البداية يجب أن نستبعد ما يعنيه التعبير أصلا . فليس في العالم العربي قوة - الا ندرة لا سلطة لها - ترفض التغيير وتؤمن ببقاء القديم وتحول دون الاخذ بأسباب التقدم . وعلى سبيل المثال : ليس في العالم العربي سلطة على الاطلاق لا تعبر التعليق - وان تفاوتت درجتها - أهمية خاصة ، او تأخذ بنظم الصحة الحديثة ، او تستخدم الآلة ، او توفر لمواطنيها من الخدمات العامة بعض حاجته وفي احوال أخرى معظمها .

معنى ذلك أن لا وجود للرجعية بالتحديد العلمي للكلمة ، ولئن وجدت فهي منزوية بعيدة عن مجرى التأثير في أحداث العالم العربي ، ولا تمثل أكثر من قوة اجتماعية محدودة يجرى فيها التطور جرفا ، ولا تكاد تملك حتى القدرة على فهم ما يجري حولها ، فضلا عن التأثير فيه .

يبقى من الكلمة هنا معناها السياسي ، وما يرمي اليه الشيوعيون من استخدامها . فما هو هذا المعنى بالضبط وما حدوده ؟

يصعب علينا في الواقع أن نجد معنى محددا تستخدم فيه كلمة الرجعية .

فهي قد تعني مرة القوى الحاكمة التي ترفض السماح للشيوعيين بالنشاط ، حتى وان قادت هذه القوى خطى التقدم . ومثال ذلك المملكة العربية السعودية .

وهي قد تعني مرة القوي التي ترفض التعاون مع الشيوعيين في جبهة وطنية مرحلية مهمتها تقريب الشيوعيين من السلطة . ومثال ذلك ما اتهم به الشيوعيون أعوام ١٩٥٢ - ١٩٥٣ ، حزب البعث العربي الاشتراكي من أنه حزب بورجوازي ، رجعي القيادة . فلما تم التعاون بينهما فيما بعد سقط الاتهام وغدا حزب البعث قوة تقدمية وقياداته قيادات ثورية اشتراكية صادقة !!

وهي قد تعني القوي التي ترفض التبعية للاتحاد السوفياتي . وما دام الاتحاد السوفياتي في نظر الشيوعيين هو الدولة الام والدولة التقدمية الاولى والقائدة وكل ما سوى ذلك ضلال ، فكل موقف منها لا يخدم اهدافها اذن هو موقف سيء وصاحبه رجعي مثال ذلك الرئيس بو رقية والملك الحسن الثاني والملك حسين .

وهي قد تعني القوي التي تؤمن بالنظام الحر حتى وان سلّمت هذه القوي بضبط الاقتصاد وتوجيه مساره . لان حرية الاقتصاد تقيض امتلاك الدولة له ، وما دامت تقدمية الدولة مشروطة باشتراكيته اي بامتلاكها وسائل الانتاج فكل موقف مقابل هو موقف رجعي ، والمنادون بحرية الاقتصاد والاحتفاظ بالمبادأة الفردية هم رجعيون . مثال ذلك قوى الوسط السوري والعراقي المثلة في معروف الدواليبي وعبد الرحمن البزاز . الخ .

وهكذا نرى ان تعبير الرجعية تعبير مطاط ، وكثيرا ما يعني غير معناه . انه تعبير سياسي معادي لكل القوي غير المرتبطة بالمخطط الشيوعي ، مهما بلغ ايمانها بالاصلاح وعملها له .

فالملك فيصل - مثلا - رجعي ولسو بنى مليون مدرسة ، ومليون مستشفى ، وفتح ألف طريق ، ووفر العلم والصحة والمواصلات مجانا ، ومعها الحرية ، لكل مواطن . رجعي لان اتّهام الرجعية هنا تعبير سياسي استخدم لمعارضته الاهداف الشيوعية وليست تعبيراً عن أي شيء آخر .

وكذلك الحال بالنسبة لبورقية والحسن والحسين وكل من مائلهم . وليس ينجو من هذا الوسم سوى أولئك الذين تبح حناجرهم بالهتاف للاتحاد السوفياتي الصديق ويساهمون في النشاط اليساري الشيوعي بوجه عام .

هؤلاء فقط هم التقدميون ولا تنطبق عليهم صفات الرجعية ولا اتهامها .
وواقع الحال هو أنه من الصعب ، بل من المستحيل أن نحدد تعريفا
علميا ثابتا للكلمات عند الشيوعيين ، أو نعرف لهم مواقف محددة واضحة
ذات صلة بخط سياسي ثابت .

الشيوعيون يمتدحون المملكة العربية السعودية !

مثال ذلك ، مجرد مثال ، ما سبق وكتبته صحيفة « صوت الشعب »
الناطقة بلسان الحزب الشيوعي عام ١٩٢٨ في صدر صفحتها الاولى . ففي
مقال رئيسي لها بعنوان : (١) المملكة العربية السعودية . نظرة عامة على
الاصلاحات التي تمت فيها في السنوات الاخيرة . قالت الصحيفة :

انتهجت البلاد السعودية في عهد جلالة الملك ابن
السعود نهجا جديدا . ففي عهده تقدمت البلاد خلقيا
 واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وعلميا ، فأصبح للمملكة
 العربية السعودية أكثر من بعثة علمية في الخارج .
وعلى الرغم من قلة موارد البلاد لم يال الملك جهدا في
تشجيع طلب العلم سواء في الداخل أم في الخارج غير
مدخر في سبيل ذلك جهدا . وكذلك فتحت البلاد
ابوابها للمشروعات الاقتصادية والمالية ، فشجع بذلك
طرق استثمار خيرات البلاد وكنوزها مع المحافظة على
استقلال البلاد وحريتها . ففي عهده اكتشف غاز
البترول في اطراف الجزيرة العربية واعطي امتياز
استخراجها الى شركة أمريكية . كما نشطت أعمال

استخراج الذهب من اطراف المدينة المنورة وغير ذلك
من المشروعات المتعددة » .

« وتفهم جلالته حاجيات البلاد الملحة فعمل في
نشاط ومثابرة على سد هذه الحاجيات . وبلغت البلاد
في عهده درجة من التقدم والرقي جعلها تلحق بمن
سبقها من الامم المجاورة لها . ورصدت الحكومة مبالغ
لا يستهان بها للصحة العامة » .

« ولقد تناولت يسد الاصلاح البلاد في كثير من
مرافقها . وحسبنا أن نأتي بصورة موجزة لطائفة من
الاعمال التي تمت تحت ارشاد جلالته » .

وتنهي الصحيفة مقالها عن الملكة بقولها :

« تلك خلاصة أعمال الملك عبد العزيز آل السعود
التقدمية نعرضها على عجل » .

ذلك ما قالته صحيفة « صوت الشعب » الشيوعية عام ١٩٣٨ عن
الملكة العربية السعودية وعهد الملك عبد العزيز ، مشية عليه ، وعلى منحه
امتياز التنقيب عن البترول للشركات الامريكية ، مؤكدة تقديمية الملكة بقولها :
وبلغت البلاد في عهده درجة من التقدم والرقي .. الخ .

.. ثم يشتمونها !!

وبالمقارنة بين ما قالته الصحيفة الشيوعية بالامس ، وما تنشره الصحف
الشيوعية اليوم في بيروت وغيرها عن الملكة العربية السعودية ، وما تتهمها
به ، وما تهاجم شركات البترول ذاتها التي اعتبرتها عام ١٩٣٨ فاتحة خير
وتقدم لها ، يتضح لنا كيف أن المواقف تتبدل من النقيض الى النقيض ببساطة
ودونما حرج . وتزداد الصورة وضوحا اذا نحن عرفنا ان مرحلة الملك عبد
العزيز لم تكن مرحلة تقدم الملكة ولا تطورها بل مرحلة شد أواصرها ولحم

أجزائها واقامة الامن فيها . انها مرحلة توحيد المملكة وتوطيد الدولة الجديدة . ولم تحقق تقدمها الحقيقي الا في عهد فيصل بن عبد العزيز ، حيث رصد للتعليم مثلا اكثر من خمسمائة مليون ريال عام ١٩٦٦ ، اي بزيادة ٤٠٠٪ عما كان عليه عام ١٩٥٢ . وحيث تتسع الخدمات العامة اتساعا لا نظير له ، ويشهد الاقبال على الاخذ بكل اسباب الحضارة والتقدم . ومع ذلك فالشيوعيون الذين امتدحوا تقدمية عهد العزيز بالامس واصلاحاته وشركة البترول الامريكية ، يهاجمون اليوم رجعية فيصل!

ومقارنة اخرى هي ايضا مجرد مثال .

ففي عام ١٩٥١ (١) وفي صحيفة « نضال الشعب » الشيوعية كتب خالد بكداش زعيم الحزب الشيوعي السوري اللبناني مقالا يتهم فيه خالد العظم بالعمالة للاستعمار والائتمار بالحركة الوطنية والسير في ركاب المستعمرين الامريكيين والانكليز وخدمة مآربهما . وكان مما قاله :

« .. لقد جاء خالد العظم الى الحكم في ظروف تطاحن شديد بين المستعمرين الامريكيين والانكليز والفرنسيين على التفوق في سورية . ومن المعلوم للجميع انه لولا تدخل الشيشكلي لما استطاع خالد العظم استلام الحكم . ويحاول العظم والشيشكلي وزمرتهما المناورة بين جميع هؤلاء المستعمرين وارضاءهم جميعا . فيأخذون قرضا من أمريكا ، ويسمحون لشركاتها البترولية بالدخول الى سورية ، ويساعدون فرنسا على تسليط بنكها السوري على اقتصاديات البلاد ويحاولون كذلك ارضاء الانكليز ... الخ . »

« وان الشعب السوري لن يسمح لخالد العظم بدوس كرامته بالاقدام وتسليمه للمستعمرين الانكلو

أمريكيين والفرنسيين ليستعملوه طعاما للدافع
وليستغلنوا أرضه موطئا لجزيمات عساكرهم ...
الخ.» .

ثم ما لبث خالد بكداش نفسه أن صوّت لخالد العظم في انتخابات
رئاسة الجمهورية بعد أربعة أعوام - ١٩٥٥ - وتحول خالد العظم عند
الانتخابات من عميل للاستعمار إلى وطني صادق وخليف رقصم وأخذ لهم
في شورية .

كيف حصل هذا ؟

الجواب هو في أن خالد العظم سكتعن الهجوم ضد الاتحاد السوفياتي
وأشهم في شراء صفقات السلاح منه بعد ذلك . فالرجعية والمعالجة هنا
موقف سياسي لا موقف اجتماعي . أي : أن خالد العظم المؤيد للتعامل مع
الغزاة هو رجعي ، وخالد العظم المؤيد للتعامل مع الاتحاد السوفياتي هو
وطني تقدمي . وليس بهم كثيرا ما هو خالد العظم في جوهرة . في حقيقة
موقفة من تيار التقدم . لأن معنى التقدم والرجعية هو على القسب : التقدم
نحو الاتحاد السوفياتي أو التراجع عنه !

ذكرت هذين المثالين المختارين مجود نموذج كما أسلفنا ، وللتدليل على
أن الموقف ذاته ينقلب إلى نقيضه ، وأنه من الصعب بل من المستحيل معرفة
الحدود الواضحة فيما يقول الشيوعيون وما يريدون . كل شيء عندهم
مستختر في خدمة القرض الإسلامي وهو جز هذا البلد أو ذاك إلى دائرة
النكود السوفياتي . عندها فقط يخرج من دائرة الرجعية ويؤتدب بالتقدمية .

وقد رأينا فيما سبق من هذه الدراسة كيف استخدم غروميكو تعبیر
الرجعية العربية خلال مفاوضات القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة ،
للإشارة إلى جميع الحكومات العربية التي عارضت التقسيم وإقامة وطن
قومي لليهود في فلسطين ، وأنهمما بتسمير الخلاف العربي اليهودي لحماية
مصالحهما . فالرجعية هنا موقف ضد الصهيونية وضد إسرائيل .

ثم رأينا كيف أن هذا التسمير بالذات أصبح يلتصق ضد دول عربية

معينة ، وتوصف بالتواطؤ مع اسرائيل بعد أن كانت توصم بعدائها . فالرجعية هنا موقف مع الصهيونية ومع اسرائيل . أي تقيض ما كانت بالامس . وفي الحاليين المختلفين بل المتناقضين ، لم يكن الهدف مختلفا . كان واحدا وهو التحريض على الحكومات العربية التي لا تدن بالشيوعية ولا تخضع لتوجيهها او تعارضها ، بقصد تدميرها ، وتمهيدا لنشر الشيوعية فيها .

فغروميكو كان يريد من الحكومات العربية أن تؤيد التقسيم وقيام دولة يهودية في فلسطين ، وهو لو وجد حكومة عربية تؤيده في ذلك لاغدق عليها القاب التقدمية والوطنية ، ولرفع الصوت عاليا يشيد بها .

والشيوعيون اليوم - بكداش وسواه في المنطقة العربية - يريدون من الحكومات العربية - من بعضها على الأقل - أن تسير فسي مخطط التسوية السلمية مع اسرائيل والاعتراف بها . ثم السير في اتجاه الاشتراكية وشراء السلاح من الاتحاد السوفياتي واقامة علاقات وثقى به ، والحج كل يوم من كل عاصمة عربية الى موسكو . وهم لو وجدوا حكومة عربية ممن يتهمونها بالرجعية تحقق هذا بعضه أو كله ، أو تسير في اتجاهه على الأقل ، لاغدقوا عليها صفات التقدمية ونعوتها ، ولدبحوا فيها قصائد المدح والثناء ، حتى ولو كانت سياستها الداخلية خلوا من أي اتجاه اصلاحي . أي رجعية بالفعل . وما ذلك الا لان الكلمات تسخر في خدمة الهدف ، فهي قد تعني شيئا وتقيضه ، بحسب ما يحلو للشيوعيين أن يستخدموها وما يحقق ذلك هدفهم أو بعض هدفهم .

وليس يقف التناقض في استخدام الكلمات عند حد « الرجعية » . فللشيوعية قاموس معروف يحتوي مجموعة واسعة من الكلمات الخاصة بها ، وتنطوي جميعا على معاني تخدم الغرض الشيوعي فتبيح الشيء نفسه في اتجاه وتحرمه في اتجاه آخر . مثال ذلك كلمات : العدوان والاستعمار والمساواة .

العدوان ؟

فالعدوان في تعريف الشيوعيين على ما تنص دائرة المعارف السوفيتية وقاموس اللغة الروسية تأليف أوزيجوف ، هو : اعتداء دولة أو أكثر من

الدول الاستعمارية على دولة أخرى بقصد احتلال أراضيها واخضاعها بالقوة واستغلال اهليها . » وهو ظاهرة من الظواهر المميزة للمجتمعات التي تنقسم الى طبقات مختلفة ويبلغ ذروته في الممالك الاستعمارية . مثال ذلك حلف الاطلسي » .

ويعرف لينين وستالين الحرب بأنها قد تكون مشروعة وقد لا تكون وقد تكون عادلة وقد لا تكون بحسب اتجاهها . فالقول بأن الحرب دفاعية أو ثورية لا يتوقف على معرفة من هو البادئ بها ، أو من هو صاحب الأرض التي احتلها العدو ، بل هو يتوقف على معرفة الطبقة التي شنت الحرب والسياسة التي تعتبر الحرب استمرارا لها (١) .

فالعنوان هنا ، هو ما تقوم به الدول الاستعمارية أي الرأسمالية ، أي الغرب . أما ما يقوم به الاشتراكيون أي الشيوعيون ، أي الاتحاد السوفياتي ، فمشروع عادل وصحيح . وتعريف الحرب هنا هو أنها حرب دفاعية أو ثورية ، وبالتالي فليست عدوانا !

ميثاق الاطلسي ، مثال ذلك هو ميثاق عدواني ، لان هدفه تطويق الشيوعية .

أما ميثاق حلف وارسو فهو عادل ، لان هدفه هو مقاومة الرأسمالية والوقوف في وجهها . وليس شيئا أن يقال أن ميثاق وارسو كميثاق الاطلسي تكتل عسكري يهدف إلى الوقوف في وجه المعسكر الآخر ، لان معنى ذلك هو وضع المعسكر الاشتراكي على قدم المساواة مع المعسكر الغربي وهذا ما لا ترضيه الشيوعية ولا نقره لانها تمثل في نظر نفسها مرحلة أعلى ، وحقا لا يتنازع ولا يملكه الآخرون في فعل كل شيء واقتراحه ما دام يسير بها خطوة على طريق هدفها .

نزول القوات الامريكية في لبنان مثلاً عام ١٩٥٨ ، أو الانكليزية في الاردن ، هو عمل استعماري وعدوان ضريح . وكذلك لحزب فييتنام .

أما سحق ثورة المجر بالمدببات الروسية ، واحتلال تشيكوسلوفاكيا بالقوة لتبديل خطها واتجاهها ، فهو عمل وطني ومشروع وعادل . أليس هدفه المحافظة على الاشتراكية كما تفهمها موسكو وقد تم تحترايتها وباسمها ؟ العمل ذاته مبرر هنا ومستنكر هناك !

الفعل نفسه مشروع في تشيكوسلوفاكيا والمجر ، عدوان في لبنان والأردن وفيتنام !

لماذا ؟

الشيوعية لا تناقش كثيرا . انها تعتمد على مسلماتها الاولى التي اقوتها في الازمان . فموسكو صديقة الشعوب وهذه الصداقة تبيحها لها ، وواشنطن عدوة الشعوب وهذه العدواة تحرمها عليها !!

الاستعمار ؟

وكلمة « الاستعمار » مثال آخر على ما تعني الكلمات وما تتناقض تحليلا وتحريما عند الشيوعيين .

فالاستعمار هو مرحلة عليا من مراحل الرأسمالية (١) ولا يكون الاستعمار الا واسماليا ، ولا يقع الا من الرأسمالية . لقد افترض لينين ذلك «سار عليه من بعده حواريو الشيوعية وأبلقوا وكهنتها وفريسيوها . واهبط استقلى لينين نظريته هذه من نظرية ماركس التي تفترض أساسا اقتصاديا لكل ظاهرة من ظواهر التاريخ ..»

وقد نصح من هذا التفسير أن غذا التوسع استعماريا غير مشروع فهي

١ - لينين . الاستعمار احدى مراحل الرأسمالية ،

حالة ، ومشروعا في حالة اخرى . فما دام الإستعمار هو ابن الرأسمالية ،
فللتوسع من غير دولة رأسمالية هو توسع غير استعماري . مثبالت ذلك
التوسع الروسي بعد الحرب العالمية الثانية . فامتلاك أوروبا الشرقية ،
واقامة أنظمة الحكم فيها بارادة خارجية ، ونهب خيراتها وثرواتها فيما
يسمي الشركات المخططة - وهو ما سبق وفصحبه خروشوف امام
المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي - كسل ذلك توسع مشروع وليس
استعماري لان فاعله دولة شيوعية وليس دولة رأسمالية . واسمه الرسمي
في القاموس الشيوعي هو الصداقة الاخوية !!

المساواة ؟

ومثال ثالث : كلمة المساواة . فالشيوعيون في البلدان غير الشيوعية
يكترون من الحديث عنها ويطالبون بها ، ويستثيرون عند أبسط العوام
الطموح العاجز ، اي الرغبة في الحصول على دخل افضل وحياة افضل دون
ان يملكو القدرة على ذلك . ولكنهم في نفس الوقت يسكتون عن هذه
المساواة في مجتمعاتهم حيث امتلك الحزب الشيوعي السلطة .

لنستمع الى لينين في خطاب له بتاريخ ٦ ايار عام ١٩١٩ يقول :

« لقد اصاب « انجلز » الف مرة حين صرح بان كليل طلب للمساواة
يتجاوز المناذاة بمحو الطبقات هو تحيز سخيف خارج عن دائرة المعقول .
والقد حاول اساتذة البورجوازية ان يخذلوا من المناقشة في موضوع المساواة ،
وسيلة للتشجيع علينا بقولهم اننا نريد المساواة بين جميع الناس . ولكن
فإنهم ، لجعلهم ، ان الاشتراكيين وعلى وجه التخصيص مؤسسي الاشتراكية
العلمية الجديدة ماركس ولانجلز قالوا ان المساواة عبارة جوفاء . والادعاء باننا
نريد جعل الناس مساوين بعضهم لبعض اختراع سخيف ابتدعه المثقفون » .

وقد نقل ستالين هذا القول عن لينين في تقريره الى مؤتمر الحزب
السابع عشر عام ١٩٣٤ واستشهد به ، واكد صوابه .

ونحن نستطيع ان نجد في فوارق الاجور بين الاعلى والادنى في الاتحاد السوفياتي نفسه مؤكدا لا ذهب اليه انجلز ولينين وستالين . فهذه الفوارق كثيرا ما تزيد على مثلتها في المجتمعات الغربية او تبلغ حدودها . فهي مرة عشرة امثال ، وهي مرات عشرون مثلا او يزيد .

ومع ذلك ، وبالرغم من وضوح هذه الحقيقة ، فالشيوعيون في داخل كل بلد ما عدا البلدان الشيوعية - يتحدثون كثيرا عن المساواة موحين للناس البسطاء والسذج - بقصد خداعهم وتحريضهم - ان ذلك ما تنادي به الشيوعية وتحققه في مجتمعاتها .

هذه الامثلة وسواها كثير ، مجرد ادلة على تناقض ما تستخدم به الشيوعية الكلمات والتعابير وما تطبقها به .

ليس المهم صواب الكلمة ومدلولها العلمي ..

ليس المهم صدقها وصحتها ..

بل المهم ، ابدا ، هو استخدامها فيما يحقق الهدف الاستراتيجي او الاهداف التكتيكية .

كل شيء ممكن وغير ممكن ، حلال حرام ، صحيح وغير صحيح ، مشروع وغير مشروع ، في وقت واحد .. ليس ذلك شيئا ذا قيمة ما دام يقترب بالشيوعية خطوة بعد خطوة من تحقيق ما تريد .

وما دامت كلمة الرجعية العربية تلعب دورها في التهميش والتحريض ونشر الافك ، فلنستخدم بغير حرج ، ولنتعلق كالرصاص في كل اتجاه . فليس صوابها هو الاصل ، بل استخدامها سلاحا ضد الخصوم ، وما دامت الشيوعية تملك كل هذا القدر من النشاط والحركة ، فلا بد ان يجيء يوم يستقر فيه للكلمة المعنى الذي تريد .. وحين ذاك تفسد الرجعية سمة علو ينفر منها الكل ، وتسقط الانظمة القائمة نظاما بعد نظام في يد موسكو : مركز التوجيه والقيادة والامر .

بين حيلين ؛ الحلّ الغريب لقضية فلسطين والحلّ السوفياتي لها ؟

مما تقدم معنا يتضح لنا في الموقف السوفياتي بصورة خاصة ،
والشيوعي بصورة عامة أنه أيد ويؤيد قيام إسرائيل وبقاها ، وأن حل القضية
الفلسطينية عنده هو في الاعتراف العربي بإسرائيل - وليس في إعادتها إلى
هروبتها - ثم في الصلح ، ثم في التعايش السلمي أي تبادل أسباب الحياة
والمنافع .

ولقد ردد الاتحاد السوفياتي هذا الحل أكثر من مرة وفي أكثر من
مناسبة . وليس يجهل حاكم عربي ذلك لأن الاتحاد السوفياتي لم يأل جهداً
في توضيحه وتحديده بالقول والفعل . ومن هذه الزاوية يمكن أن نعتبر
الاتحاد السوفياتي صادقاً في القول أنه لم يعد العرب بأكثر ممن مساعدتهم
على رد عدوان إسرائيل ، وقد رأينا في عدوان عام ١٩٥٦ وعدوان ١٩٦٧
حدود هذه المساعدة وأشكالها ، ونماذج منها !!

وقد أكدت صحيفة « كول هاعام » الناطقة بلسان الحزب الشيوعي
الإسرائيلي كل ذلك في مقال لها - حزيران ١٩٦٥ - قالت :

قد لا يعرف الكثيرون بأن الاتحاد السوفياتي لم يترك فرصة تمر إلا
وأكد فيها لاصدقائه من النظم والحركات الاشتراكية العربية ، أن التعايش

السلمي بين العرب واسرائيل جزء هام من سياسة الاتحاد السوفياتي ، وإن
ترويد موسكو للاشتراكيين العرب بالسلاح مقيد بهذا الاعتبار السياسي ، أي
أنه ليس موجها ضد اسرائيل !

على أن في الموقف السوفياتي من قضية فلسطين - إذا تجاوزنا وضوحه
الصادق في هذا الجانب - غموضا مستغلا في جانب آخر يتعمى عنه الحكام
العرب وذوو الفكر والمسؤولون عن توجيه الرأي العام وقيادته . وهو غموض
يجهد دعاة السوفيات لينبؤوا على أساسه نفوذهم وهيمنتهم تمهيدا لما هو أكثر!

ففي الوقت الذي يعرف فيه الحكام العرب والمسؤولون وقادة الأحزاب
والرأي - من خلال المحادثات والمناقشات والاتصالات المستمرة مع قادة
الاتحاد السوفياتي ومنذ عهد ستالين إلى عهد مالينكوف إلى عهد بولفانين
وخروتشوف إلى كوسيفين وبريجنيف والبقية - أن حدود سياسة الاتحاد
السوفياتي من القضية فلسطين تقف عند استنكار العدوان الاسرائيلي
والمساهمة السياسية على صده ورده - بعد أن يقع ! - ودون أن يتجاوز هذا
إبها جلود اسرائيل ، أي جوهر القضية . . . في الوقت الذي يعرف فيه
الكل ذلك بوضوح ، يتعمدون جميعا أيضا ! عن بؤسة أو دفع الجهل
البلولة من موسكو والشيوعيين لاستغلال القضية الفلسطينية بفيضة جر
العرب إلى المزيد من الانحياز وراء موسكو وتسليمها مقاليد أمور المنطقة
ومصائر ناسها .

وفي خلال ذلك يتم - وعلى يد الشيوعيين وحدهم ! - ترويض العقل
العربي على قبول مبدأ قيام اسرائيل وتحويله من الرفض إلى التسليم بالأمير
الواقع ثم خطوة أخرى نحو الاعتراف بسم ثالثة نحو الصلح ، ثم . . ثم
التعاضد السلمي !

في هذا الجانب من السياسة السوفياتية من قضية فلسطين يستطيع
المراقب السياسي أن يلمس بوضوح غموضها المقصود ونفاقها الذي لا حد له
. . كما يستطيع أن يلمس بوضوح أكثر غفلة العقل العربي وجموده
واستسلامه ، وربما يلهمه الذي لا حد له !

فالسياسة السوفياتية تقوِّم بقاء اسرائيل وتعمل بكل ما في وسعها لحماية هذه البقعة اي انها تقف في هذا الجانب على النقيض منا ، في الموقف المتبادل وفي الطرف الآخر .

ولكننا نحقق اقترابا من المشاعر العربية ، لانها - ودون ان تمس قدس الاقداس - كيان اسرائيل - تتحدث دوما عن العدوان وتقرنه بالامبريالية : اي استعمار الرأسمالية في اعلى مراحلها !

ما الذي يعنيه ذلك ؟

ان السياسة السوفياتية تحاول هنا ان تحكم رباط قضية فلسطين بالاستعمار والغرب ، لتفتح ثغرة ممكنة في المعقولة تنفذ من خلالها .

ليس المهم طبعا صحة ذلك . بل المهم ان يستطيع الاتحاد السوفياتي تحقيق حلمه القيصري : حلم الاقتراب من المياه العذبة ، حيث يلعب بامتلاكه موطن قدم في الشرق الاوسط دورا اكبر في توجيه وحكم العالم .

وبتوضيح لنا هذه الخطة حين نتحدث الشيوعية ، اصلا وفروعا عن حلها المقترح لمشكلة فلسطين . فالحل عندها هو في مقاومة الاستعمار وفي مكافحته وفي التصدي له . والاستعمار كل لا يتجزأ ، وهو الذي اوجد اسرائيل ويمهداها باسباب البقاء والحياة (١) . واذن ، فحل مشكلة فلسطين هو زوال الاستعمار ، اي زوال الرأسمالية وسيادة الاشتراكية .

ان هذا الموقف يستتبع بالحتم موقفين يتفرعان عنه :

أولا - استبعاد حل سريع ممكن لقضية فلسطين ، فما دام الاستعمار هو الذي قامها ، وما دام الاستعمار موجودا ، وما دام الاستعمار يعني

١ - هنا ننسى الشيوعية دوزها الاساسي في قيام اسرائيل وتذكر دور الغرب وحده .

لأن الحديث عن فلسطين يستهدف اغراضا اخرى .

الراسمالية فقط ، وما دام الغرب راسماليا وأمريكا قاعدة الراسمالية ، فلا حل لمشكلة فلسطين الا بزوال الاستعمار ، اي بزوال الراسمالية اي بزوال الغرب وأمريكا . وليتظر العرب ذلك قرونا ولن يتحقق ، لان ذلك مجرد افتراض شيوعي . مجرد حلم .

ثانيا - وخلال فترة الانتظار الطويلة هذه ، ولان الاستعمار هو العدو الاساسي ولانه قوة عالمية ، فان على العرب ان يحاربوا الاستعمار ويعملوا على تفويض صروحه . وبالتالي عليهم ان يناهزوا الى القوة العالية المقابلة المتصدية للاستعمار : قوة الشعوب اي الشعوب الاشتراكية، اي الاتحاد السوفياتي !! . ثم ليتنظروا ايضا ومن جديد الحل المقترح لقضية فلسطين .

وعلى افتراض صحة ذلك وامكان تحقيقه ، فما هو الحل ؟

الحل ؟. الحل ؟

هنا تسكت الشيوعية علنا وتترك الحل والحديث عنه لما بعد سقوط الاستعمار . ولكنها تهمس سرا : ان الحل هو في اخاء العالم . فالاستعمار هو الذي يولّد الكراهية والاحقاد والبغضاء والخصومات . الاستعمار كالبرد - تقول العامة - سبب كل مرض ! الشعوب كلها اخوة . والاشتراكية هي الدين الموحد لها جميعا . وسقوط الاستعمار سيستتبع سقوط حكم اسرائيل الموالي له ، وقيام حكم تقدمي يلتقي مع الحكم العربي التقدمي ايضا في رحاب الاشتراكية الجامعة وتحت علمها المظلل لكل الناس . حين ذاك لا تبقى مشكلة . تبقى اسرائيل ذلك شيء آخر . المهم هو ان تزول عوامل الخلاف معها بزوال المشاعر القومية والدينية وعناصر التحريض الخارجية الممثلة في الاستعمار وشركات البترول ... الخ .

اي باوضح :- يصبح الكل تحت النفوذ السوفياتي . وفي القمة منه تحكم الشيوعية ، اليهودية الجوهر !

فالحل السوفياتي هنا ذو شقين : زوال الاستعمار وانهيار نظامه ، وسيادة الاشتراكية ، وزوال المشاعر القومية والدينية ، اي القومية والدين ،

وقيام حكم تقدمي اي اشتراكي اي شيوعي ، ثم تنتهي المشكلة . اي يوجد الحل طبيعيا وتلقائيا ويسود السلام بغير حرب .

في هذا الجانب من القضية الفلسطينية يستغل الاتحاد السوفياتي مشاعر العرب استغلالا منافقا ، فهو يوجهها نحو الغرب وضده ، ويربط الفكر العربي الي الفكر الاشتراكي ويضا محكما ، ثم هو في الجوهر لا يقدم لها حلا سوى الحل الغربي ذاته . اي الاعتراف فالصلح فالتمايش .

على انه تبقى فروق بين الموقفين الغربي والسوفياتي ونقطة خلاف اساسية في المشكلة .

ففي الوقت الذي يعمل فيه الغرب على تحقيق السلام في المنطقة يفرض الاعتراف والصلح والتمايش ، يخطو الاتحاد السوفياتي خطوة ابعد فيعمل على تشجيع المنطقة وافتراسها بلا جهد او باقل الجهد .

الغرب يريد ان تبقى اسرائيل ، وينتهي الامر .

اما موسكو ، فتريد بقاء اسرائيل ، وان يصير العرب شيوعيين . اي انها تريد فلسطين لاسرائيل والبلاد العربية للشيوعية .

باوضح : مع الغرب نبقي بدون فلسطين ، ومع موسكو نذهب مع فلسطين !

على ان الغرب في اصراره على موقفه يبدو فريسة النشاط الصهيوني والمحاولة الدائبة لاستغلال المسألة اليهودية أولا وتشويه حقائق الحياة العربية واتجاهاتها ثانيا . فالغرب يعتقد ان اليهود ظلموا تاريخيا بما يكفي للبحث جديا عن حل لمشكلتهم ، وهو في هذا محق . ولكن الانحراف يبدأ مد يدا البحث عن حل لمشكلة اليهود في فلسطين بالذات وعلى حساب شعب آخر . اي ان الغرب يحل المشكلة بمشكلة . يرفع ظلما ليضع ظلما آخر . يعطي هذا من ذاك دون ان ينظر الي وجه الخطا والصواب فيما يعطي ويأخذ .

وقد ثبت لنا من عرض مراحل تطور القضية الفلسطينية — ويستطيع

من شأنه أن يعيد النظر فيها ، ويلمس وثائقها ونصوصها في مقررات الأمم المتحدة وضبوط جلساتها ومحاضرها - ثبت لنا أن الغرب قد تحول أكثر من مرة عن موقف التأييد للصهيونية إلى جانب العرب ، ولم يكن كما نحسب ونظن مجرد أداة في يدها ولا العوبة . بل إن الصورة التي تعطينا إيها الوفاق عن الغرب ، هي صورة الباحث عن حل لمشكلة موجودة دون أن يتحقق بجديته في عناصر الحل المقترح ربما لأن الصهيونية أحسنت النشاط والعمل . وحين كان العقل العربي يحسن طرح المشكلة والمواجهة فيها كان يحدث التحول في موقف الغرب .

لنأخذ على ذلك مثلا الموقف الأمريكي :

ففي الوقت الذي كان فيه مجلس الأمن يبحث القضية الفلسطينية عام ١٩٤٨ ، بعد أن كانت الجمعية العامة قد أقرت التقسيم وهو المشروع السوفياتي - الأمريكي المشترك ، تراجعت السياسة الأمريكية عن موقفها ذلك ، وعادت إلى فكرة الاحتفاظ بوحدة فلسطين واقترحت لها الوصاية الدولية الموقتة ، وكان ذلك حل أفضل للعرب لو قبلوا به .

وقد هارض الاتحاد السوفياتي ومنتوب الوكالة اليهودية الموقف الأمريكي الجديد واتهامه بأنه جاء لمصلحة العرب ، وإرضاء لرجال البترول وشركائه . وظلت السياسة الأمريكية على موقفها هذا ، حتى قامت إسرائيل وعجز العرب عن أن يمنعوا قيامها بما تدفق عليها من مقاتلي أوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي وأسلح الشيكي ، فاعترفت بها اعتراف الأمر الواقع لا الاعتراف القانوني الكامل وهو ما فعلته موسكو وانفردت به من دون الغرب فكان اعترافها بذلك الاعتراف الأول ، كما كان اقتراح التقسيم منها الاقتراح الأول !

حتى السياسة الإنكليزية ، وهي المسؤولة أصلا عن مشكلة فلسطين ومضاعفاتها ، تراجعت في بعض مراحل عرض القضية أمام الأمم المتحدة واتخذت مواقف محايدة أو أقرب إلى العرب .

ولقد أدركت الصهيونية بوضوح أهمية الغرب في مستقبل القضية الفلسطينية فعملت - وما تزال تعمل - على الإيقاع بين العرب والغرب إيقاعا

لا وجهة بعده وهو ما سبق وفصلنا القول فيه في المقدمة وفي بحث الحركة الصهيونية وتاريخها . فالصهيونية تمدد مثاقب نظرها ان حصول التماثل العاليه هي في يد الغرب أكثر منها بيد الشرق ، وان مفتاح القضية فلسطين بالذات هو في يد الغرب . وقد عطت على كسبه منسذ مطلع هذا القرن ، وأنشأت لقياداتها بقياداته صداقات وطيدة ، في الوقت الذي ظل فيه العرب محرولين عن الغرب تحكم علاقاتهم به عقد الماضي ومخاوفه غير مدركين ان طبيعة التطور الانساني قد أزالت معظم اسباب هذه المخاوف وكان يجب ان تكون صلاتنا به - بالغرب - أكثر انفتاحا واعمق واوضح .

ويجب ان نضيف الى فوارق المواقف الاساسية بين الجانبين نقطة اخرى وهي ان الغرب الرسمي في تأييده للصهيونية كثيرا ما يجد اصواتا من داخله ترتفع بالمعارضة والشجب ولها نشاطها واثرها ، ويقف الى جانب العرب منه اصداقاء وعناصر تؤمن ومصليا او مبدئيا بتوثيق الروابط بين بلادها وبين العرب . وقد شهدنا التحول أكثر من مرة في تاريخ الغرب في موقفه من العرب وضد اسرائيل . مثال ذلك الابرز موقف امريكا عام ١٩٥٦ من العدوان على مصر . فلهذا الموقف اولا وقبل كل شيء يعود الفضل في إيقاف العدوان ثم في ازالة اثره ، على حد التعبير الشائع .

ولكن صوتا واحدا لم نسمع أنه ارتفع من داخل الاتحاد السوفياتي يستنكر موقف موسكو الى جانب اسرائيل يوم أيدتها في الامم المتحدة ثم يوم وقفت تناصر كيانها وهي تنظاهر بتأييد العرب في عدواني ١٩٥٦ - ١٩٦٧ .

بل ارتفعت من موسكو اصوات تستنكر حتى ظواهر التأييد الشيوعي للعرب ، وتنادي بالازيد من تأييد اسرائيل والارتباط بها .

ويجب ان لا ننسى هنا ان موسكو تنظر الى اسرائيل كدولة اشتراكية سبقت في تجربتها الاشتراكية الاخرى ، ليس فسي البلاد العربية : مصر وسورية والجزائر فحسب ، بل هي سبقت في تجربتها بلدان أوروبا الشرقية تلك التي خضعت للتجربة الاشتراكية على يد الجيش الاحمر ونسخت تجربة الاتحاد السوفياتي نسخا فريدا ، ثم كان ما حققته منها اقل بكثير مما حققت اسرائيل .

يتضح لنا من هذا العرض ان الحل السوفياتي لمشكلة فلسطين هو ذاته
الحل الغربي : الاعتراف فالصالح فالتعايش . ويزيد الاتحاد السوفياتي على
الغرب طلبه السيطرة على العالم العربي والعمل بالتدرج على تحويله الى
الشيوعية . فالحل الشيوعي اذن هو : نهاية فلسطين زائد نهاية العالم
العربي . اي بقاء اسرائيل وتحول العالم العربي الى الشيوعية حيث ظلها
الوارث يجمع في فينه العرب واليهود معا : اخوة ، ولكن بشرط نسيان
فلسطين ، وتراثهم التاريخي ، وطابعهم القومي !

فهل هنالك ما هو افضل من هذا الحل ؟

اوليست صداقة الاتحاد السوفياتي اذن ، مما يفض عليه العرب
بالنواجز طلبا وحرصا !!!

لوحة .. لبعض القيادات اليهودية العليا في الحركة الشيوعية ..!

نقدم الى القارئ فيما يلي مجرد لوحة بسيطة لبعض العناصر القيادية اليهودية في الحركة الشيوعية . ولم نعد جميع هذه العناصر لان الاحصاء لها بلغ معنا خلاة فترة قصيرة - ستين - ستة آلاف يهودي كان لهم اكبر الاثر في تاريخ الحركة الشيوعية: فكريا وتطبيقيا . واللوحة مجرد نموذج متواضع .

كارل ماركس .
ولادته وظل يهوديا ! صاحب النظرية المعروفة باسمه ومؤسس الفكر الشيوعي . الماني .
١٨١٨ - ١٨٨٣

لينين .
١٨٧٠ - ١٩٢٤
قائد الثورة الشيوعية في الاتحاد السوفياتي عام ١٩١٧ . يضاف اسمه عادة الى الماركسية فيقال : الماركسية - اللينينية للاشارة الى الفكر والتنظيم معا . اسمه اليهودي : زيد ريلوم .

كروبسكايا .
زوجة لينين . شغلت امانة سر لجنة تحرير الاسكرا اول صحيفة شيوعية . واعانت زوجها حتى وفاته .

تروتسكي :
١٨٧٧ - ١٩٤٠
رئيس ستافيات « بطرسبرغ » عام ١٩٠٥ واحد

المرضين على الثورة التي اخمدت . اسهم في ثورة ١٩١٧ . كان مفوضا للشعب . نظم الجيش السوفييتي ، ثم نفاه ستالين بعد وفاة لينين فغادر روسيا الى المكسيك . وفيها اغتاله ستالين . يعتبر كتابه « الثورة الدائمة » أحد مصادر الفكر الشيوعي ، ويعتق مذهب اليوم الصينيون !! اسمه الاصلي برونشتاين . عاش فترة من حياته في نيويورك .

بارفوس .

رئيس سوفيات « بطرسبرغ » - ليننغراد - بعد تروtsky . اسهم في ثورة ١٩٠٥ .

مارتوف - تسيلر باوم

عضو تحرير صحيفة « ايسكرا » الصحيفة الشيوعية الاولى . قاد الانشقاق ضد لينين وسمي انتصاره المنشفيك .

اكسبرود .

عضو تحرير صحيفة « ايسكرا » ايضا . ومن القادة الاوائل للحركة مع بليخانوف في جنيف .

زاسولوتشي .

عضو تحرير صحيفة « ايسكرا » .

رودا لوخسبورغ

قادت ثورة شيوعية في ألمانيا بعد الثورة الشيوعية الاولى في روسيا ولكنها اخمدت واعدمت . اسهمت في جميع النشاطات الشيوعية الذي سبق ثورة روسيا وكانت مع أعضاء حزبيها فتركته في التخطيط للحركات الثورية في أوروبا .

زيتوفيف .

كان يعرف مع لينين وكامينيف بالثلاثي . وهو صديق لينين الشخصي وأحد أبرز العناصر الشيوعية . عارض ستالين فصفاه مع من صفى !! ترأس الاممية الشيوعية عام ١٩١٩ حتي عام ١٩٢٩ .

ليبر - غولدمان .

من رواد الحركة الاوائل . اسهم في مؤتمر لندن عام ١٩٠٧ وكان أحد العناصر الفعالة والمنشيط في العمل الشيوعي .

• دان - غورفتش •

من « الايسكريين » أي الرواد الاول للحركة .
اسهم في مؤتمر لندن عام ١٩٠٧ أيضا وكان مؤيدا
للينين ثم عارضه وانضم الى مارتوف .

• كامينيف •

رفيق لينين وثالث الثلاثي . عارض ستالين ايضا
بعد وفاة لينين فصفاه واتهمه بالانحراف .

• لتفينوف •

واسمه ماير والاش . وزير خارجية روسيا بين
١٩٣٠ - ١٩٣٩ اسهم في سرقة بنك تفليس التي
نظمها ستالين قبل الثورة للحصول على المال
وتمويل الحركة الشيوعية .

• سفر دلوف •

احد قادة ثورة تشرين في روسيا . ومن العناصر
البارزة في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي
السوفييتي . وفاني رئيس للجمهورية السوفياتية
بعد الثورة ، ورئيس لجنة الدستور .

• مورد كاي بوغروف •

اشتراكي ثوري ومحامي . اغتال رئيس وزراء
روسيا « ستولبين » وأحد العناصر الاساسية
في الحركة الاشتراكية الثورية !

• كامينيف •

اول رئيس للجمهوريات السوفياتية بعد الثورة .

• يوريتزكي •

رئيس مفوضية الجمعية التأسيسية التي قامت
في أعقاب الثورة .

• يوروفسكي •

مفوض الحزب في مدينة ايكاتربيرغ ، وهو الذي
اصدر امر اعدام القيصر وعائلته وخدمه ، وقام
بنفسه بالتنفيذ . ثم امر باحراق الجثث . وقد
اطلق على المدينة بعد الثورة اسم «سفردلوفسك»
تكريما لسفردلوف ثاني رئيس للجمهورية
السوفياتية . وهو يهودي كما تقدم معنا !

• مارتينوف - بيكل •

عضو مجلس تحرير صوت الاشتراكي الديموقراطي
ومن القادة المفكرين للحلقات الماركسية الاولى .

ابراموفيتش •

زعيم الاتحاد اليهودي الاشتراكي . حضر مؤتمر
الحزب الخامس في لندن وأسهم فيه .

رادك •

صاغ نداء مؤتمر ياكو الى المسلمين وشعوب
الشرق وأشرف على اعداده . قىاد الحزب
الشيوعي الالمانى موفدا من الاممية الشيوعية بعد
اعدام روزا لوكسمبورغ . عضو اللجنة المركزية
للحزب الشيوعي بعد وفاة لينين •

واردون اينفوفتش كرم

عضو اللجنة المركزية للمؤتمر الاول للحزب الذي
وحد المنظمات الماركسية في روسيا القيصرية .
وكان يمثل في اللجنة الثلاثية الاتحاد الاشتراكي
الديموقراطي اليهودي •

ديمنتشايين •

اسمه : سيمين ماركوفتش • عمل رئيسا للفرع
اليهودي في الحزب الشيوعي . عمل مساعدا
لستالين في شئون القوميات •

روذن •

رئيس الدائرة الشرقية في جامعة سانت
بطرسبرغ . تولى صياغة التوجيه البلشفي نظريا
من الاسلام والشعوب الشرقية •

كورش •

استاذ الحضارات الشرقية في معهد « لازاروف »
في موسكو في أعقاب الثورة •

ميخائيل بافولوفيتش

رئيس جمعية الدراسات الشرقية . ورئيس تحرير
مجلة الشرق الجديد بعد الثورة •

— لازار فاتتمان —

روزشتاين •

المشرف على جميع الشؤون الشرقية وما يتصل
بالعلاقات الروسية — الاسلامية في الدولة
الشيوعية بعد الثورة وقد أشرف على تأليف أول
حزب شيوعي في فلسطين عام ١٩١٩ وكان حزبا
يهودي القيادة ، والى العناصر اليهودية في هذا
الحزب أوكل امر انشاء الاحزاب الشيوعية في
المنطقة العربية •

شميدت • نائب رئيس تحرير دائرة المعارف السوفياتية الكبرى وكان مسئولاً عن كل ما يتصل بالعرب والمسلمين .

لوناشارسكي • شغل منصب مدير التوعية الثقافية في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي .

بارتولد • متخصص في الشؤون الإسلامية . وهو صاحب شعار : الإسلام دين الاشتراكية . كانت مهمته تفسير الإسلام والتاريخ العربي تفسيراً اشتراكياً .

بيلاكون • قام بثورة في المجر وتسلم الحكم فيها في أعقاب الثورة الشيوعية ثم ما لبثت الثورة أن سقطت وهرب إلى روسيا . اشترك في الثورة الشيوعية مع لينين . أسهم في صياغة نداء مؤتمر باكو إلى شعوب المسلمين في روسيا والشرق !

روزمار • مثل فرنسا في مؤتمر باكو واشترك في صياغة نداءه !

ريس • مثل أمريكا في مؤتمر باكو . وأسهم في صياغة النداء إلى المسلمين .

شتاين هارد • مثل النمسا في مؤتمر باكو . ووقع النداء !

جانسين • مثل هولندا في مؤتمر باكو . ووقع النداء !

شابلين • مثل البلقان في المؤتمر . ووقع النداء !

روث فيشر • تولت قيادة الحزب الشيوعي الألماني موفدة من الاممية الشيوعية عام ١٩٢٤ وقد خلفت رادك الذي خلف روزا لوكسمبورغ بعد اعدامها !

كارل لاينخت • شريك روزا لوكسمبورغ في قيادة الثورة الشيوعية في ألمانيا عام ١٩١٨ . أعدم معها بعد اخفاق الثورة .

لازار كاغانوفيتش .

أحد رؤساء جمهوريات الاتحاد السوفياتي . تزوج ستالين أخته ، وابنة ستالين سفيتلانا ابنه .
واسرة كاغانوفيتش أسرة يهودية عريقة النفوذ في المجتمع الروسي قبل الثورة وبعدها .

أنا باوكر .

سكرتيرة الحزب الشيوعي العامة في رومانيا بعد الحرب الثانية والحاكمة المطلقة فيها . هاجر أخوها وأبوها إلى إسرائيل وهما يقيمان فيها إلى اليوم .

ماتياس راكوزي .

حكام المجر الثلاثة بعد الحرب الثانية - عام ١٩٤٥ - وقد عين الجيش الأحمر راكوزي ديكتاتورا على المجر ، ويلييه جيروثم فاس في المناصب المسؤولة في الدولة .

أبرونو جيرو .

زولطان فاس .

حكام بولونيا بعد الحرب . والآخر كان معتمد الاتحاد السوفياتي لقيادة بولونيا من وراء الستار .

مينك .

سكرينز فسكي .

برمان .

قائد شيوعي تولى تدريس تيتو وتهيئته !

موسى ييجاده .

ديكتاتور تشيكوسلوفاكيا السابق . عينه الشيوعيون في السلطة ثم شملته حركة تطهير كبرى على يد عناصر يهودية أيضا .

سلانسكي .

زعيم الحزب الشيوعي الأمريكي بين اعوام ١٩٣٥ - ١٩٤٧ . أدمنت أخته بأحدى تهمة التجسس في أمريكا لحساب الشيوعية .

ايسلر .

اسمه الحقيقي غولد برغر . مساعد ايسلر في قيادة الحزب الشيوعي الأمريكي .

ج . بيترز .

جون غايتس .

غلبرت غرين .

غس هول .

جيكوب ستاشل .

ايرنغ بوتاش .

كارل ونتر .

أعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي الأمريكي وجميعهم من اليهود !!

- اسرائيل امتر .
- ماريان مكسويل ايت
- الكسندر بتلمان .
- ايزيدور بيغون .
- جورج ب. تشارني .
- اليزابت غرلي فلين .
- بتي غانيت .
- سايمون غرسون .
- فيكتور جيري مي جيروم .
- جاكوب مندل .
- لويس فاينشتوك .
- وليام فون ماينشتون .
- فريد فاين .
- ويليام نورمان مارون .
- سدني شتاينبرغ .
- يعقوب كوجمان .

اعضاء المكتب السياسي الثاني للحزب الشيوعي
الامريكي . تولوا قيادة الحزب بعد اعتقال قادة
الصف الاول .

يهودي عراقي ومن مؤسسي الحزب الشيوعي في
العراق وقيادته !

ثلاثة شيوعيين يهود حملوا الاموال والتوجيهات
الاجنبية للحزب الشيوعي السوري اللبناني .
وقد وردت اسماؤهم في اعترافات رفيق رضا
القائد الشيوعي القديم . وجميعهم من موفدي
الكومنترن !

- اميل .
- اوسكا .
- مولر .

شيوعي يهودي من فلسطين . شهد مؤتمرات
الحزب الشيوعي اللبناني السوري ونصح بتشديد
الحملة على الاحزاب والقيادات الوطنية واتهامها
بالانتهازية !!

نخمان ليفتسكي .

يهودي شيوعي من فلسطين . كان مستشارا
لقيادة الحزب الشيوعي السوري - اللبناني .

برنمو .

مؤسس منظمة الايسكرا في مصر . وقد انضمت
هذه فيما بعد الى منظمة كوريل وغدا اسمهما
المشترك « حداتو » .

هلل شغارتس .

رئيس الحزب الشيوعي فسي سورية ولبنان .
يهودي روسي الاصل من فلسطين . شغل منصب
سكرتير عام الحزب منذ عام ١٩٢٥ حتى نهاية عام
١٩٢٦ . وهو الذي رشع بكداش لقيادة الحزب
الشيوعي السوري اللبناني بعده !!

جاءك تيبير - شامي .

يهودي روسي ، انتدبه الكومنترن لتأسيس
الحلقات الماركسية الاولى في مصر .

افجيدور .

شاركا تيبير في توجيه الاحزاب الشيوعية فسي
سورية ولبنان وفلسطين . والاول يعتبر من ابرز
خبراء الكومنترن في شؤون الشرق العربي وقد
تزعم الحزب الشيوعي في فلسطين بين ١٩٢٤ -
١٩٢٩ .

ابو زيام .
برغر .

يهودي مصري ايطالي الاصل . مليونير . أسس
الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني في مصر ،
وهي حركة شيوعية انضم اليها لفترة من الزمن
بعض عناصر القيادة الحاكمة في مصر اليوم !!

كوريل .

يهودي روسي . انتدبه الكومنترن لتأسيس
الحلقات الماركسية الاولى في مصر .

ناداب .

يهودي عراقي ومن مؤسسي الحزب الشيوعي
في العراق .

صديق يهودا .

يهودي عراقي . أسس الحزب الشيوعي وتولى
مناصب قيادية فيه .

ساسون دلال .

مؤسس منظمة الشعب الماركسية في مصر .

مرسيل اسرائيل .

بعض مراجع الكتاب

- تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي
- منشورات دار الفارابي • موجز وضعته
هيئة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي
في الاتحاد السوفياتي وصاغت عليه
اللجنة المركزية •
- تاريخ الحزب الشيوعي السوفياتي
- جون ريشتر جونيور •
- الاتحاد السوفياتي والشرق الاوسط •
- ولتر لاكور •
- الدولة والثورة •
- لينين •
- الامميات الثلاث •
- باخ • غالكين • بونوماريف •
- عن المؤسسة السوفياتية الكبرى •
- قاموس الشيوعية •
- كارلو هنت •

- الدبلوماسية الصهيونية .
- الدكتور فايز صايغ .
- تاريخ الحركة الصهيونية .
- الدكتور الن تايلر .
- بروتوكولات حكماء صهيون .
- آثرت الحرية .
- كرافتشينكو .
- موسكو واسرائيل .
- الدكتور عمر حليق .
- اليهودي العالمي .
- نورد .
- صفحات من تاريخ الحزب الشيوعي السوري .
- محمد علي الزرقا . الياس مرقص .
- الصهيونية والشيوعية .
- نظرة في احزاب اسرائيل .
- الدكتور اسعد رزوق .
- الماباي ، الحزب الحاكم في اسرائيل .
- ابراهيم العابد .
- تاريخ الاحزاب الشيوعية .
- الياس مرقص .
- مذكرات ايدن .
- انتوني ايدن . رئيس وزراء بريطانيا السابق .
- الدولة اليهودية
- هرتزل .

- روما والقدس .
- موشيه هيس .
- المسألة اليهودية .
- كارل ماركس .
- البيان الشيوعي .
- ماركس - إنغلز .
- رسائل ماركس الى اورباخ .
- ماركس .
- مذكرات وايزمن .
- حايم وايزمن .
- الصهيونية الامريكية . وسياسة امريكا الخارجية .
- ريتشارد ستيفنس .
- الشيوعية المحيطة .
- الحكم دروزة .
- السياسة الدولية في الشرق العربي .
- اميل خوري - عادل اسماعيل .
- تاريخ مصر القومي .
- عبد الرحمن الرافعي .
- الماركسية .
- ستالين .
- الثورة الدائمة .
- تروتسكي .
- خروشوف وشيخ ستالين .
- برترام وولف .

الطبقة والامة .

• غليز رمين

• مجلة فرانساف القديمة

• مجلدات ١٩١٨ - ١٩١٩ - ١٩٢٠ - ١٩٢١ .

• مجموعة صحيفة « صوت الشعب »

• صحيفة الحزب الشيوعي السوري اللبناني السرية .

• منشورات ومقررات الحزب الشيوعي السوري اللبناني

• ما بين أعوام ١٩٣٦ - ١٩٥٦ - ١٩٥٨ - ١٩٦٧ .

• جريدة القاعدة - الحزب الشيوعي العراقي ..

• وثائق الامم المتحدة - النصوص الرسمية ،

لجلسات الجمعية العامة ومجلس الامن

واللجنة السياسية المؤقتة واللجان

الفرعية . أعوام ١٩٤٧ نيسان حتي

آذار ١٩٤٩ . وتقع هذه الوثائق

والنصوص في أكثر من ١٠٠٠٠

صفحة .

budgets de l'Armée et de la Marine. Voyez le cours du change pour traduire en francs. Les Etats-Unis veulent être et seront la première puissance militaire du monde. Il faut être canaille comme Wilson ou stupide comme l'humanitaire démagogue, pour prétendre qu'un peuple ambitieux, énergique, surexcité, fera dix à douze milliards de dépenses militaires par an sans vouloir en tirer profit.

LES ASSASSINS DU TSAR désignés par leurs noms en 1917.



Le général anglais Knox envoyait le 5 février 1919, d'Omsk (Sibérie), une dépêche détaillée sur le massacre de la famille impériale de Russie. On y trouve ce passage :

Quant au meurtre de la Famille impériale à Ekaterinbourg, il est établi qu'il y avait dans le Soviet local deux partis, l'un qui voulait sauver la Famille impériale, et l'autre, mené par cinq Juifs dont deux étaient *résolus à l'assassinat*. Ces deux Juifs, nommés *Vainon* et *Safarof*, accompagnaient Lénine dans son voyage à travers l'Allemagne.

Dans le n° 141 de la *Vieille-France* (2 oct. 1919) nous avons conté les aventures singulières du capitaine H. S. Spencer, des Royal Irish Fusiliers, attaché à la mission anglaise de l'Adriatique.

Cet officier avait adressé le 22 mai 1917, au War Office, un rapport sur les renseignements par lui recueillis à Rome. On y lisait ceci :

Des Juifs d'Allemagne réunis à Copenhague ont décidé d'envoyer Lénine en Russie et d'y provoquer une Révolution qui devancerait la Révolution des Russes. *Par une politique d'extermination*, les Juifs se rendraient seuls maîtres de la Russie. Pour accompagner Lénine d'Allemagne étaient désignés *Vainon* et *Safarof*, deux Juifs fanatiques, sur lesquels on pouvait compter pour organiser une totale extermination de tous les éléments que leur richesse ou leur intelligence rendaient dangereux pour le plan Germaño-Juif, etc.

La Déclaration de Syveton

qui devait tuer la Maçonnerie

Par JEAN DRAULT



Des lecteurs nous ont écrit pour déplorer que nous n'ayons pas, la semaine dernière, publié intégralement la déclaration que Syveton aurait lue aux Jurés de la Seine, le 9 décembre 1904, si la Maçonnerie, prudente, ne l'avait fait assassiner la veille du procès.

Ces lecteurs ont flairé l'importance du document au point de vue de l'histoire maçonnique de la Troisième et aussi au point de vue de la culpabilité des loges dans l'assassinat de Syveton, culpabilité niée alors par le traître Jaurès avec trop d'apreté pour que cet agent prussien n'ait pas été lui-même un Franc-Maçon d'arrière-Loge.

Et puis, le scandale des fiches raconté par Syveton lui-même, c'est un morceau digne de figurer dans notre série des Fastes de la Troisième, trop peu connus de la nouvelle génération.

La *Libre Parole* du samedi 10 décembre 1904 a publié cette page lumineuse, précédée des lignes suivantes :

Le document qu'on va lire est le canevas de la déclaration que Gabriel Syveton devait faire hier devant les Jurés de la Seine.

Il y travaillait encore au moment où la mort est venue le surprendre.

La déclaration que Syveton devait lire.

Messieurs les Jurés,

« L'acte dont je viens répondre devant vous ne vous paraît déjà plus inexplicable, j'en suis persuadé, après les dépositions que vous venez d'entendre. Je n'en suis pas moins tenu à vous donner en toute sincérité les motifs de ma conduite et à vous rappeler les circonstances dans lesquelles le fait s'est produit.

Maintenant, ils paraissent décidés à se réserver pour l'avenir : à surveiller leurs chances en Chine et dans le Pacifique, à développer leurs industries d'exportation pour occuper les marchés perdus par les Allemands, à s'affirmer comme les chefs de la race jaune en face des deux groupes de la race blanche qui seront constitués après la guerre.

Quand sera-t-il permis aux Français clairvoyants et renseignés d'avertir leur nation, de lui démontrer que chaque peuple vit et lutte pour lui-même, de lui prêcher que la destinée de la France dépend de nous, de nous seuls ?

Socialistes et Socialistes

Ceux d'autrefois :

« La France, en dépit de tout, est toujours la première et la plus avancée des nations, celle qui contient les plus grands ferments d'égalité, et la plus capable de dévouement. Or, désirer qu'une pareille nation ait le dessous dans le grand combat qui va se livrer, c'est désirer que l'humanité recule, que le progrès soit retardé de plusieurs siècles...

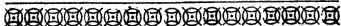
Vous ne vous trompez pas ; je suis chauvin, très chauvin, et je m'en fais gloire. Ne pas aimer sa patrie, c'est pis que de ne pas aimer sa mère. Pour moi, d'ailleurs, dès mon premier balbutiement, les deux noms n'en ont formé qu'un : la Mère-Patrie. Je supposais que c'était une personne, et c'en était bien une, en effet ! »

BARRÈS, Lettre à George Sand.

Ceux d'aujourd'hui :

« Je ne suis pas patriote, je le dis nettement, parce que la patrie, dont on nous parle constamment, elle n'est en réalité que le fait d'un sentiment. Ce sentiment, je ne l'ai pas, je ne le comprends pas, et vous aurez beau me déclarer qu'il faut être patriote, je répondrai que je n'ai pas le sentiment de la patrie. »

RENAUDEL, directeur de *l'Humanité*,
cité à la tribune par P. Pugliesi-
Conti (*Officiel*, 20-9 17).



LA CONSCIENCE DES LACHES



À la barre de la 5^e Chambre correctionnelle (27-12. 17), le F.^r Paul Meunier, député, rédacteur au *Bonnet Rouge* sous Vigo, entre Landau et Goldschild; et à l'*Oeuvre* sous Judas, 42 ans à la mobilisation, a expliqué que « sa conscience » lui interdisait depuis quarante mois d'aller au feu avec ses électeurs!

Les féodaux marchaient au combat à la tête de leurs serfs; les Quinze-Mille radicaux, socialistes et francs-maçons envoient « le peuple souverain » sous la mitraille en se tenant au chaud, dans les tavernes de la rue Royale et dans les « Instituts de beauté » du quartier Vendôme.

Le F.^r Meunier, gaillard costaud, s'en expliquera devant les veuves, les orphelins et les mutilés de sa circonscription. Dans deux cents circonscriptions en France, il faudra que les mêmes comptes soient rendus.

C'est pourquoi les Quinze-Mille prolongent leur mandat. Ils savent ce qui les attend.

Et puis, leur mandat expiré en avril, *sous quel prétexte refuseraient-ils le devoir militaire?* La prolongation du mandat, c'est l'impunité de la désertion.

Les vrais défaitistes, les pires démoralisateurs du peuple et des soldats, sont ces lâches privilégiés qui donnent *le spectacle de la désertion impunie*, cynique, provocante.

Si votre fils ou votre frère avait invoqué « sa conscience » pour ne pas répondre à l'ordre de mobilisation ou pour quitter son poste aux tranchées, *il serait fusillé depuis trois ans!*



Notre N° 55 (27 décembre)

par la chute d'un chiffre, se trouve en partie numéroté 5. Les collectionneurs voudront bien corriger à la main cette fâcheuse coquille.

Et quand vous méditez sur les lambeaux de vérité que nous apercevons ici, quand vous réfléchissez à l'origine et aux péripéties des affaires de trahison, quand vous y trouvez partout les hommes de la Société secrète, ne comprenez-vous pas que « *la peur de la victoire était dans tous les camps de gauche* » ?

En France comme en Russie, les *défaitistes* ne sont pas des égarés ou des traîtres de rencontre. Ils sont les agents d'un plan, les instruments d'une Puissance.

La Curée municipale

Peu de Parisiens imaginent où passent les centaines de millions du budget municipal. Ces sommes énormes sont le butin des conseillers.

Nous les avons vus dépenser, pendant la guerre, des crédits considérables pour acheter des *Femmes nues* en cire, en marbre, en peinture, à des camarades artistes, ou pour se distribuer entre eux des médailles d'or à 5.000 francs pièce.

Quand ils meurent, ils n'ont pas fini de nous détrousser. Ils se font enterrer à nos frais. Nous venons de payer encore (*Bulletin municipal*, 20-12-17, p. 3.449), les obsèques de M. Chazot (1.580 fr. 80), de M. Jacquemin (2.227 fr. 75), de M. Gervais, *sénateur* (2.784 fr. 75), de M. Moine, directeur de l'asile de Nanterre (1.581 fr. 80). Il y en a à tous les prix.

Ce qu'on ignore aussi, c'est que les veuves des conseillers municipaux touchent une rente viagère ! A la veuve du pompier ou de l'agent « victime du devoir », 400 fr. A la veuve du conseiller qui a *volé* 10 500 francs par an dans la caisse municipale et réalisé (Grébeauval, président, *dixit*) un minimum annuel de 80.000 francs en pots de vin, 2.400 francs de rente.

LA DÉCISION DES PUISSANCES

(San Remo 25 avril 1920)



Les Juifs en Palestine!



Les Juifs s'excusaient de voler la patrie des autres peuples en alléguant que, depuis le sac de Jérusalem, Israël était sans domicile.

Les Juifs promettaient d'évacuer et de respecter la patrie des autres peuples si la Palestine leur était rendue

L'Angleterre le leur avait fait espérer (*Déclaration Balfour*, 2 nov. 1917); les Etats-Unis et la France avaient adhéré au projet.

Les lecteurs de la *Vieille-France*, seuls dans notre pays, connaissent les péripéties diplomatiques, les polémiques de la presse juive et des journaux anglais, américains, italiens, les manœuvres du Gouvernement Juif à la Conférence de la paix, les rapports des Délégués Juifs aux diverses agglomérations de leur peuple, l'organisation rapide de l'Etat juif officiel. Tous les journaux de France, vendus à la Banque juive comme ils sont vendus aux Grands Magasins ou à n'importe quelle entreprise, fût-ce contre la France, ont gardé là-dessus un silence complet. La *Vieille-France* a publié les pièces du dossier.

A San Remo, les représentants des puissances ont ratifié définitivement l'engagement britannique du 2 novembre 1917 : la Palestine est livrée aux Juifs.

L'Etat Juif est reconnu.

Les Juifs ont une patrie.

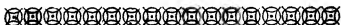
Les fictions de loi Delbrück au moyen desquelles ils se prétendaient citoyens de deux ou trois patries différentes ne sont plus tolérables. *Hors de la Palestine, les Juifs sont des étrangers.*

En Palestine, les Juifs! Hors de France, les Juifs!

pas la Russie qui « socialisera » l'Allemagne, mais l'Allemagne qui « prussianisera » la Russie.

La révolution russe aura été pour l'Allemand *l'ilote ivre*, qui guérit de l'ivrognerie par la nausée.

Nous devons regretter que les ouvriers français égarés dans la faction socialiste n'aient pas aussi sous les yeux la bacchanale maximaliste; ils comprendraient où les mènent leurs mauvais bergers.



LES COUPS DE BOURSE DE 1914

Escobar était de la tribu de Lévi

En rappelant les coups de Bourse exécutés aux mois de mars et juin 1914 par la bande radicale-socialiste — et ces coups de Bourse n'étaient que des épisodes dans la machination conduite *depuis décembre* 1913 par le Juif Rosenberg — nous avons dit (n° 67) que les complices vendirent 210.000 fr. de rente dans deux maisons de coulisse — et qu'ils ramassèrent quelques millions dans l'opération.

Là-dessus, un Juif s'esclaffe et nous démontre que, étant donnés les cours du moment, la spéculation indiquée par nous ne pouvait pas rapporter, sur 210.000 fr. de rente, plus d'une quarantaine de mille francs.

Nous n'avons jamais écrit que les complices avaient réalisé quelques millions sur 210.000 fr. de rente. Nous avons cité cette vente de 210.000 fr. de rente parce que nous pouvions nommer les coulissiers qui en furent chargés: Lattès (beau-frère de René Renoult), de Castro et Gustave Dreyfus. Le renseignement fut publié alors dans la presse financière, notamment dans *la Journée*. Mais nous ne sommes pas assez simples, quoique *goyim*, pour supposer que les agioteurs mettaient tous leurs œufs dans le même panier, qu'ils risquaient d'attirer l'attention, qu'ils ne dispersaient pas leur manœuvre dans un grand nombre d'officines de Bourse!

Voyons, mon vieux Jéroboam, il ne faut pas exagérer la bêtise des Français!

Les membres du tribunal révolutionnaire et des commissions d'enquête ont été, tous, changés plusieurs fois. Plus ils sont importants, plus leur protection est haut cotée, et certains de ces juges nouvelle manière se sont fait remettre jusqu'à cent mille roubles pour signer un ordre d'élargissement.

La commission de ravitaillement a commis des abus tellement ahurissants qu'il fut un moment question de poursuivre ceux de ses membres qui s'en étaient rendus coupables. On y renonça pour éviter des divulgations honteuses. Le pillage sous toutes ses formes est seul organisé. Dans la République de Lénine, chaque citoyen, à condition qu'il soit bolchevik, peut prendre part à la curée. On dévalise les églises, les musées, les magasins d'intendance. On vend l'armement national. A côté d'un soldat qui vous propose une caisse de sucre, un autre vous offre un Rembrandt, un canon de campagne ou une mitrailleuse. *C'est la liquidation générale de la Russie.*

Et les « bolcheviks » de France ou d'ailleurs veulent nous faire croire que ce spectacle séduira les soldats allemands, qu'il les convertira à la révolution, à la république, à la Liberté-commen-en-Russie !

L'Américain que nous citions en commençant, M. William T. Ellis, en juge mieux. Il sait que l'Allemand est un homme d'ordre et de discipline, un travailleur, un patriote, et que l'idée de mettre l'Allemagne dans l'état où il trouve la Russie doit lui faire horreur.

Eût-il des griefs contre l'absolutisme de son kaiser, que le dégoût de l'anarchie russe le rendrait loyaliste.

L'Allemand ne va pas introduire le « bolchevisme » dans sa patrie ; au contraire, il redoublera d'admiration pour les méthodes prussiennes qui rétabliront l'ordre dans cette immense désordre, qui rallieront toutes les victimes de la démente révolutionnaire, qui mettront en valeur les ressources infinies, gâchées, dédaignées ou même ignorées par le gouvernement socialiste. Ce n'est

La " grande Société secrète " et la catastrophe russe

En 1916, alors que la censure obligeait la presse française au mensonge par omission, — souvent plus dangereux que le mensonge direct, — les journaux suisses recueillaient l'écho de l'opinion « libérale » en Russie.

Les « libéraux » de Russie, les partis avancés, exprimaient naturellement les jugements et les vœux qui leur étaient soufflés par la Puissance occulte :

« Une guerre victorieuse consoliderait le tsarisme. Pour la ruine du pouvoir absolu et pour la revanche des Juifs, il faut que la Russie essuie un désastre. »

Le correspondant du *Temps* à Petrograd écrivait dans le *Genevois* (nov. 1916) ce qu'il ne lui était pas permis de publier chez nous :

« La peur de la victoire (russe) est dans tous les camps de gauche (en Russie) ».

A New-York, le *Vorwärts* judéo-allemand, qui paraît en *yiddish* et qui est le plus puissant journal de la ville juive de 1.250.000 habitants, fit campagne avec acharnement contre l'Entente, pour la débâcle russe.

Les renseignements qu'il nous est enfin loisible de puiser dans la presse anglaise nous montrent que la chute de Nicolas II (*fidèle à l'alliance*), l'anarchie russe, la trahison finale, sont l'œuvre des Juifs affublés de faux noms russes qui emplissent les Soviets, peuplent les municipalités, tiennent les journaux en leur pouvoir.

Tout ce qu'a souffert, souffre et souffrira la Russie est donc l'œuvre des Juifs.

Tout ce qui en résulte de désastreux pour les peuples de l'Entente est l'œuvre des Juifs.

Contre le seigneur Ouvrier il n'y a pas de lois.



Un fonctionnaire de l'*Inscription maritime* nous écrit :

Dans la *Vieille France* n° 165, vous vous étonniez que les cheminots et les postiers eussent le droit de faire grève, et vous demandiez pour eux un régime spécial.

Jé suppose que vous ne vous faites pas d'illusions ?

Les Inscrits maritimes y sont soumis, au régime spécial, au code spécial. Quel en est l'effet ?

Si un marin embarque en vertu d'un contrat passé avec l'armateur en dehors de l'autorité maritime et qu'il fasse grève, il peut être condamné à une réparation civile (C. civ. 1142). *Cela ne s'est jamais vu.*

Si le contrat est passé devant l'autorité maritime, le marin qui « met sac à terre » doit être recherché, ramené de force à bord, puni disciplinairement ou correctionnellement (Décret-loi, 24-3-1852 ; loi 15-4-1898). Une circulaire du 29 avril 1893 prévoit même des réquisitions à la gendarmerie départementale.

De plus, pour limiter les grèves d'inscrits qui attentent aux intérêts généraux du pays, le Tribunal maritime commercial n'a qu'à faire application de l'art. 65 du décret de 1852 :

Art. 65. Les gens de mer, mécaniciens, chauffeurs et médecins français et étrangers qui, dans un port de France, s'absentent sans permission pendant trois fois vingt-quatre heures de leur navire ou de leur poste, ou laissent partir le navire sans se rendre à bord, sont réputés déserleurs, et punis de 15 jours à 6 mois de prison.

Cela ne s'est jamais vu.

Cela ne se verrait pas davantage pour les cheminots et pour les postiers, si les textes répressifs existaient.

En effet, ce qui manque au salut du pays, ce n'est pas des Codes.

C'est une âme droite chez les gouvernés, une volonté patriotique et solide chez les gouvernants.

Et nous sommes en anarchie, démagogie, voyoucratie.

A nous, son Peuple d'élection, Dieu a donné le pouvoir d'expansion, et ce qui semble être notre faiblesse a été notre force. *Nous sommes au seuil de la domination universelle.* Il reste peu à construire sur ces bases.

...Nous devons contraindre les gouvernements *goyms* à favoriser le plan d'action que nous avons conçu *et qui approche de son but triomphal*, grâce à l'opinion publique secrètement organisée par le *royaume secret de la presse*.

Pour hâter l'ébranlement des gouvernements *goyms* en Europe, nous ferons sentir à certains d'entre eux notre puissance par la terreur, et nous briserons au besoin les résistances par le canon américain, chinois, japonais.

Donc, dès 1897, le destin de la Russie était fixé.

En 1919, tous les Gouvernements de l'Entente ont eu connaissance de la *Note* établie par le *Secret Service* américain, et remise au Haut-Commissaire de la République française comme à ses collègues :

En février 1916 pour la première fois, on apprit qu'une Révolution se préparait en Russie. On découvrit que les personnes et maisons suivantes étaient engagées dans cette œuvre de destruction :

Jakob Schiff — *Kuhn, Loeb et Co* — *Félix Warburg* — *Otto Kahn* — *Mortimoff L. Schiff* — *Jérôme H. Hakauer* — *Guggenheim* — *Max Breitung*.

Il n'y a donc guère de doute que la Révolution russe, qui éclaira en 1917 cette information de 1916, fut formée et lancée par des influences nettement juives.

En fait, au mois d'avril 1917, *Jakob Schiff* déclara publiquement que la Révolution russe avait réussi grâce à son appui financier.

Au printemps de 1917, *Jakob Schiff* commença de commanditer *Trotsky* (Juif *Braunstein*) pour organiser en Russie la Révolution sociale. Le *Forward*, journal juif bolcheviste de New-York, versa sa contribution.

De Stockholm, le Juif *Max Warburg* commanditait également *Trotsky*. A ce consortium de Juifs bolcheviks et de Juifs multimillionnaires participaient le syndicat (juif) *Westphalien-Rhénan*, le Juif *Olef Aschberg* de la *Nye Banken* (Stockholm) et le Juif *Jivolovsky*, dont la fille a épousé *Trotsky*.

En octobre 1917, quand les Soviets établirent leur pouvoir sur le peuple russe, on y remarquait : *Out. anons*



Les Juifs ont créé le Bolchevisme

Les Gouvernements de l'Entente le savent.



Le Gouvernement de la Nation Juive a machiné et déchaîné la guerre mondiale pour y ramasser des milliards, mais surtout pour disloquer les Etats, ruiner leurs finances, saigner à mort la race blanche, et préparer la Domination universelle du « Peuple élu ».

Le Gouvernement de la Nation Juive a machiné, financé, déchaîné le Bolchevisme pour se venger du peuple russe, mais surtout pour achever l'œuvre infernale de la guerre, pour anéantir les éléments humains et les éléments économiques de résistance que quatre ans de massacre et de destruction avaient laissés subsister.

Nous l'avons répété sans relâche.

Et les Gouvernements de l'Entente savent depuis longtemps ce que nous révélons au public. Ils le savent par les rapports documentés de leurs agents. Ils mentent, ils trompent les peuples, quand ils se prétendent surpris par les événements.

Les Allemands comme les Bolchévicks avaient des complices dans le sein de tous les Gouvernements de l'Entente. Et ils en ont plus que jamais. Les milliards de Berlin comme les milliards pillés dans les châteaux, palais, églises de Russie subventionnent des Albert Thomas et des Malvy dans tous les ministères. dans toutes les hautes administrations de France, d'Angleterre, d'Italie, d'Amérique et des pays neutres.

Dès 1897, on avait pu lire dans le Protocole du Synode Juif

des larmes d'émotion, en écoutant le témoignage officiel de la pureté des jeunes hommes américains. L'orateur et l'auditoire savaient qu'une pareille histoire était une pure blague, mais ils s'efforçaient pieusement d'y croire.

Cet incident comique résume assez bien le travail de la presse américaine tout entière. Ils appellent ça *self-deception*.

Un Congrès Juif permanent aux U. S. A.

En 1917, tous les Juifs d'Amérique avaient envoyé des représentants à Philadelphie, pour régler leurs manœuvres à la Conférence de la Paix (*United Jewry of America*).

Un second Congrès de la Juiverie américaine vient de se réunir (juin 1920) dans la même ville, pour recevoir les rapports des délégués de Paris. La plupart des journaux juifs demandaient que ce Congrès d'Israël fût rendu permanent. Le Juif Mack, président de l'Assemblée, s'y est opposé; mais les partisans de la permanence se sont constitués sous la présidence de Nathan Strauss, avec l'appui du rabbin Wise (connu de nos lecteurs comme un des maîtres de Woodrow Wilson).

Le Congrès ainsi formé a proclamé sa satisfaction de la décision prise par l'Entente à San Remo pour la restauration de l'Etat Juif; il a nommé une commission pour suivre la Politique mondiale (*Welt Politik*) de la race supérieure.

En Russie, les Socialos!

Au moment même où M. Lloyd George, chef du gouvernement britannique, franchissait « un fossé plein de sang » pour tendre sa main fraternelle au bolchewick Krassine, envoyé des soviets, un membre du cabinet Lloyd George, le ministre de la guerre Winston Churchill, publiait son opinion personnelle sur le bolchevisme dans les *Evening News*, et le *Times* mettait au jour un document révélateur, émanant d'un des chefs bolchevicks.

ont une peur bleue de leurs incartades, de leur indiscipline, de leur indiscrétion.

Le spectacle va devenir intéressant. Quand on sait dans quelle sujétion, dans quelle servitude, dans quelle humilité l'homme américain était tenu par la femme non encore citoyenne, on se demande à quelle condition désespérée le pauvre mâle sera réduit désormais par les électriques.

Les Américaines doivent restaurer le Matriarchat, tel qu'il fonctionne dans plusieurs espèces animales et même dans plusieurs tribus de bipèdes sans plumes. Pensez-vous que Semiramis et Catherine II n'étaient pas supérieures à ce fantoche Wilson?

La terre de liberté !

M. Olivier Madox Hueffer, citoyen anglais, perd ses illusions sur l'Amérique :

Au printemps de 1920, un artiste a été arrêté et condamné à l'amende en Connecticut pour avoir dessiné le dimanche; peu après, en Massachusetts, un pieux marguillier, ayant tué d'un coup de fusil un garçon de dix-sept ans qui ne voulait pas aller au prêche, a été acquitté. Si vous enfrez le septième commandement, la prison. Si vous passez d'un Etat dans un autre avec une dame qui n'est pas votre femme, la prison. Si vous publiez une traduction de Théophile Gautier, la prison.

L'Anglais admet qu'il faut refuser la liberté à un peuple incapable d'en jouir. La moitié du *Greater New-York* est submergée par des Allemands, des Juifs de Russie, des Juifs de Pologne, des Slaves, des Grecs, des Levantins, des Moldo-Valaques, définis par leur idole Wilson comme « l'écume de l'Europe ». Cela ne fait pas une nation d'hommes libres !

Toutefois, la prohibition de l'alcool, du vin, de la bière, est moins un attentat contre la liberté qu'un coup de spéculation. Quiconque veut payer son verre de whisky deux ou trois dollars en trouve à tous les coins de rue : « Il y a autant d'hommes saouls dans Broadway après minuit aujourd'hui qu'autrefois ; mais ils sont plus saouls. » L'hypocrisie sauve tout :

J'ai entendu un membre du Gouvernement — *écrit l'Anglais* — proclamer à un banquet, avec des larmes dans la voix, que durant toute la guerre en France, il n'y avait pas eu un seul cas d'ivresse dans l'armée américaine.

L'auditoire, composé principalement de dames, versait

6° Le sabotage (*sic!*) inconscient ou délibéré de l'action gouvernementale des soviets par la population, qui s'y adonne dans toutes les branches de la vie nationale, toutes les fois qu'il y a chance d'échapper au châtement;

7° Les opérations militaires, qui enlèvent trois millions et demi d'hommes au travail productif;

8° Les continuel changements dans le personnel gouvernant, et dans les lois qui se contredisent, provoquant des complications et difficultés administratives, avec une perte de temps considérable.

Le *Mémoire* développe en détail chacune de ces rubriques; il suffit de les énumérer pour deviner le désenchantement du malheureux communiste, placé en face de l'évidence.

Il faudrait y placer tous les nôtres.

Deux des principaux lascars de la Sociale française font actuellement une tournée en Russie. Mais ces enquêtes ne sont jamais que des comédies. Le kamarade Cachin fera la noce à Moscou, pendant que le kamarade Jouhaux fait la noce à Monaco, sans plus de bénéfice pour l'instruction de leurs dupes. Ce sont les dupes elles-mêmes qu'il conviendrait d'expédier dans le bagne bolchevik, sous le knout des Gardes Rouges, des Lettons et des Chinois.

Les journaux ont annoncé que cinq cents cheminots révoqués de l'Orléans demandaient leurs passeports pour la Russie. Bravo! *Qu'on envoie ces cinq cents-là, et cinq mille autres, aux usines russes.* Puisqu'ils se piquent d'internationalisme, puisqu'ils se glorifient d'être *Sans-Patrie* comme l'agent provocateur Hervé, il ne leur en coûtera rien de quitter la France.

Ils la regretteront quand ils se trouveront dans le « repaire de fous furieux et d'esclaves affamés ». Ceux qui reviendront feront justice des scélérats qui les ont égarés, et qu'épargne la pleutrerie du gouvernement.

La plupart des grandes usines sont fermées en Russie : celles qui travaillent encore produisent le *dixième* de ce qu'elles produisaient avant la révolution. Les transports sont arrêtés, faute de locomotives; on ne répare que 15 % des machines existantes; on n'en fabrique pas 50, pour mille que fabriquait l'ancien régime. Au milieu de 1920, les voies ferrées seront complètement hors de service. L'agriculture n'a ni chevaux ni semences; *un cinquième* seulement des terres arables a été labouré. Les paysans ont d'ailleurs limité la production à leurs propres besoins. La Russie donne en ce moment moins de la moitié de ce qu'elle consommait en céréales avant la guerre. Que pourrait-elle exporter, en admettant que l'exportation ne fût pas interdite par la destruction des moyens de transport?

« La situation économique de la Russie — déclare le membre du *Sovnarhòs* — s'aggrave constamment. Toutes les branches du travail et de l'industrie ont été atteintes par l'immensité des destructions. Les mesures partielles qu'on a tâché de prendre pour la reconstruction demeurent inefficaces. »

La cause principale de cette catastrophe réside dans la perte générale d'aptitude au travail qui frappe toutes les classes de la population, en conséquence de :

1° L'abolition de toute envie de travailler chez les individus;

2° L'insuffisance de la rémunération, qui ne couvre même pas les dépenses indispensables à la vie;

3° La faim, les privations, les maladies;

4° L'absence de sécurité personnelle;

5° La nomination, aux fonctions directrices, de gens que rien n'y a préparés, simplement parce qu'ils appartenaient au Parti communiste;

de la victoire quand les Allemands lui ont lancé Lénine comme une bombe de gaz empoisonné. Grâce à Lénine, les Russes ont été dépouillés de la victoire et de ses fruits, qu'ils allaient partager avec nous. Un million de soldats allemands purent quitter le front oriental pour assaillir le front anglo-français. Un million de Français et d'Anglais sont morts *en surcroît* par le crime de cet homme qui adresse la parole à nos travailleurs. Et nos travailleurs ne le maudiraient pas? Et les meneurs de notre socialisme ne sentent pas qu'ils sont les complices d'un égorgeur monstrueux?

Avec la victoire, par le crime de Lénine, la Russie a perdu la liberté qu'elle venait de gagner sur le tsarisme. Elle possédait des institutions parlementaires; elle élisait ses représentants et ses chefs; elle était sur le même pied que les démocraties d'Angleterre, de France et d'Amérique. Les bolchevicks ont détruit le Parlement, détruit les élections et les institutions libres, détruit l'élite de la nation par l'assassinat, détruit des millions de travailleurs par la famine, détruit les instruments de progrès et de civilisation, détruit les outils de production, réduit en esclavage les ouvriers, rejeté les paysans dans la sauvagerie.

Et voilà les modèles, voilà l'idéal que les émissaires de Lénine offrent au peuple de Grande-Bretagne. — en même temps qu'aux peuples de France et d'Amérique! Et les travailleurs ne lapident pas les insensés, les criminels, qui leur proposent un pareil destin, qui cherchent à le leur imposer!

Ainsi parle, en substance, le ministre de la guerre Winston Churchill, pendant que M. Lloyd George étreint Krassine sur son cœur.

Et maintenant, dans les colonnes du *Times*, savourez le Mémoire qu'a rédigé pour ses maîtres un membre du *Soyntarhos* (comité économique du peuple) à Moscou.

Écoutons d'abord M. Winston Churchill. Son article est une réplique au *manifeste* de Lénine que les meneurs socialistes Tarnier et Shaw avaient rapporté de Russie pour engager les travailleurs anglais à transformer leur pays en paradis bolcheviste.

« Lénine — écrit le ministre anglais — a volé la victoire à son pays, en libérant les hordes allemandes qui se sont alors jetées sur les armées de l'Entente; Lénine a détruit la démocratie et les chances de démocratie en Russie; Lénine a changé la Russie en un repaire de fous furieux et d'esclaves affamés ».

Aussi longtemps que le monstre s'est tenu claquemuré dans le Kremlin, pour présider de loin à la destruction de ce qui faisait la puissance et l'espoir de la nation russe, les Occidentaux ont pu l'ignorer; ils avaient assez à faire chez eux pour réparer leurs propres désastres; mais puisqu'il descend de sa pyramide de crânes pour se mêler de notre gouvernement, de notre organisation sociale, il faut le regarder en face et le juger.

L'autocrate socialiste condamne impitoyablement ce que les travailleurs même socialistes d'Occident regardent comme les biens les plus précieux : la liberté de penser, la liberté d'écrire, les libres assemblées politiques, les libres activités civiques. Pour le bolchevick, ce sont là des « préjugés de bourgeois et de boutiquier »; il dénonce comme suspects, comme traîtres au prolétariat, les chefs socialistes qui songeraient à réaliser l'entente harmonieuse et pacifique du capital et du travail. Il enverrait au poteau d'exécution, comme indisciplinés, les agitateurs mêmes qui propagent ses folies en abusant de la liberté conquise et maintenue par les bourgeois.

Mais qu'est-il; cet apôtre? *La créature et l'instrument de l'Allemagne.* La Russie était au seuil

ment l'Europe Occidentale, deux *Goldenberg* et *Ehrlich*, sont des *Juifs* d'origine allemande.

Comme intermédiaire entre Lénine et l'Allemagne, il y avait à Stockholm et à Copenhague le docteur *Helfandt*, un *Juif allemand* qui se faufila sous le nom de Parvus, et Gœnetzki dont le véritable nom est *Fürstenberg*.

Les trois principaux seconds de Lénine au Soviet sont Zinoviets, Trotsky et Kameniev. Leurs vrais noms sont : *Apfelbaum*, *Broustein* et *Rosenfeld*.

La Commission du Soviet qui fut nommée pour enquêter sur le cas de Lénine était composée de personnes qui portaient les noms suivants : *Gottz*, *Handelsmann*, *Leber*, *Dohn* et *Krochmal*. On pourrait aussi citer Gorer et Metskovsky dont les vrais noms sont *Goldmann* et *Goldberg*.

Les noms que nous venons de citer suffisent à montrer que les leaders du Soviet sont *en grande partie des Juifs allemands*.

Outre les membres déjà cités, nous pouvons énumérer encore : Machtor, de son vrai nom *Zederbaum*, Soukhanof, dont le vrai nom est *Himmer*, Zegorsky, que l'on connut autrefois sous le nom de *Krachmann*; Mechkovsky est *Hollander*; Larin s'appelle *Lumer*; Bogdaner, *Seffer*...

Quant à Lénine, tout le monde sait qu'il se nomme *Zederblum*.

Laissez-leur prendre un pied chez vous; ils en auront bientôt pris huit...

Au Sénat, qui est à la fois le Conseil d'Etat et la Cour de Cassation en Russie, le gouvernement provisoire a introduit 9 Juifs d'un coup.

Dans le Comité exécutif [et dans le bureau du Soviet de Petrograd il y a 43 Juifs.

Maintenant, l'*Incurable Imbécile* peut deviner les causes de ce qui se passe en Russie.



Comment appelle-t-on cette besogne ?

Comment qualifie-t-on ceux qui, pour de l'argent, *avec des millions de provenance mystérieuse*, l'accomplissent devant l'ennemi ?

Le gouvernement de la République « met la main au collet » de Daudet et de Maurras, qui ont troublé l'action de Vigo, Landau, Malvy, Goldschild et consorts.

Et les gens de l'*Œuvre*, qui ont travaillé six mois à compromettre l'alliance franco-italienne, pendant que leurs complices cherchaient à ébranler l'alliance franco-anglaise, sont encore en liberté !



Les maîtres de la Russie



Ce qu'on va lire, nous l'avons répété depuis la chute de Nicolas II, tant fêté jadis par nos gouvernants républicains.

On a pu le lire aussi dans la *Morning Post* de Londres (8-10-17).

Mais il est bien plus intéressant de l'emprunter à *l'Heure*, journal radical socialiste de Paris (15 oct. 1917).

ILS VONT UN PEU FORT

On a beau ne pas être antisémite, on ne peut pas s'empêcher de faire une petite remarque sur la composition du Soviet de Pétrograd et sur les origines de ceux qui le composent.

Le vrai nom de Tchernov, l'ex-ministre de l'Agriculture, qui est actuellement l'adversaire acharné de Kerensky, est *Feldmann*.

Le vrai nom de Steklov, l'auteur bien connu de l'Ordre n° 1 à l'armée russe (celui qui abolit la discipline), est *Nahinskes*, — *Juif d'Allemagne*.

Des quatre membres du Soviet qui visitèrent récem-

sonner, à conclure des effets visibles à la cause invisible.

Une chose est certaine : les *Protocols of the Learned Elders of Zion* furent réellement publiés en Russie dès 1905 : et le *British Museum*, auprès duquel notre Bibliothèque Nationale est une bibliothèque de village, en possédait un exemplaire dès le 10 août 1906 (timbre d'entrée).

Le *Times* est obligé d'admettre cette alternative :

— ou les *Protocols* sont bien l'œuvre des Anciens d'Israël ; alors tout ce qu'on peut dire, tenter, exécuter contre les Juifs devient légitime, nécessaire, urgent.

— ou les *Protocols* sont l'œuvre d'un faussaire ; mais le faussaire était un prodigieux voyant, puisqu'il a décrit dès 1906, détail par détail, tout ce qui est en voie d'accomplissement dans l'Europe centrale et occidentale.

« N'avons-nous échappé à la paix allemande, demande avec angoisse le *Times*, que pour tomber dans cet abîme de la paix judaïque ? »

C'est précisément la question que je posais depuis 1906, et que je pose avec une force particulière dans la *Vieille-France* depuis 1916.

Un de nos bons confrères disait récemment que « l'assassinat professionnel d'Urbain Gohier était la honte de la presse française » Je ne pense pas que la presse française soit en état de ressentir aucune espèce de honte, de quelque crime, de quelque lâcheté, de quelque saleté que ce soit. Mais j'ai confiance que les historiens futurs rendront hommage à ma clairvoyance et à mon eou-rage, en cette matière comme en plusieurs autres.

4) La méthode adoptée pour affaiblir, puis détruire les Etats politiques existants consiste à leur injecter des idées aboutissant à leur désagrégation, suivant une progression habilement calculée du libéralisme au radicalisme, ensuite au socialisme, au communisme, finalement à l'anarchie, *reductio ad absurdum* des principes égalitaires. Pendant ce temps, Israël reste indemne des doctrines corrosives...

5) — Les dogmes politiques évoluant dans l'Europe chrétienne, sa politique et ses constitutions démocratiques sont toutes en égal mépris chez les *Anciens* ou *Sages* d'Israël. Pour eux, le gouvernement est un art sublime et secret, acquis seulement par une culture traditionnelle et départi à une élite très réduite, en quelque sanctuaire occulte...

6) — Dans cette conception du Gouvernement, les masses ne sont qu'un méprisable troupeau; et les meneurs politiques des *Goyim*, à peu près aussi aveugles que leur bétail, de simples marionnettes aux mains des Anciens d'Israël : le plus souvent corrompus, toujours impuissants, facilement asservis par la flatterie, par la menace ou par le chantage au profit de la domination Juive.

7) La Presse, le Théâtre, la Bourse, la Science, la Loi, dans les mains qui détiennent tout l'or terrestre, sont autant d'instruments pour affoler l'opinion publique, pour la démoralisation de la jeunesse, l'excitation générale au vice, pour la destruction des aspirations idéalistes (culture chrétienne), pour l'instauration du culte de l'argent comptant, du scepticisme matérialiste, du cynique appétit de plaisir.

Tel est le résumé (scrupuleusement exact) que fait le *Times* de ces *Protocols of the Learned Elders of Zion*, publiés sous la rubrique *the Jewish Peril*.

Tel est le document révélateur qu'ignore la vile et vénale presse de France.

Quand j'ai publié *la Terreur Juive* en 1906, quand j'en ai donné des éditions sans cesse augmentées; quand j'ai continué ma campagne dans l'*Œuvre* hebdomadaire, puis dans les cent soixante premiers numéros de la *Vieille-France*, je ne soupçonnais pas l'existence de ces *Protocols*, soigneusement celés en Israël. On pensera qu'une extraordinaire divination me faisait reconstituer le plan mystérieux de la Juiverie. Mais la prétendue « divination » consiste simplement à voir et à rai-

France, comptez qu'ils ne se laisseront pas ruiner par la canaille syndicaliste et socialiste.

Ils établiront et feront régner l'ordre en France comme en Haïti.

Nous serons humiliés dans notre patriotisme; mais nous éprouverons quelque joie à voir le Gorille tourner la meule sous la trique.

Le Times proclame le péril juif.

« The Protocols of the Learned Elders of Zion. »

La presse anglaise et la presse juive d'Angleterre ont discuté le document ayant pour titre : *The Jewish Peril*; le ministre de l'Intérieur a été interrogé sur le même sujet à la Chambre des Communes. *La Vieille-France* a publié l'incident parlementaire et le sommaire de l'ouvrage dans son numéro 170.

La presse française est aussi muette là-dessus que sur les emprunts ottomans et sur les vols des Grands Magasins.

Le *Times* s'est ébranlé enfin. Jusqu'à la direction Northcliffe, le *Times* était cyniquement enjaivé. Maintenant, il a des velléités (patriotiques) d'indépendance. L'article qu'il ose consacrer au *Jewish Peril* en témoigne honorablement.

Il donne du document cette analyse (8 mai) :

1) — Il y a, et il y a eu depuis des siècles, une organisation politique internationale des Juifs.

2) — L'esprit de cette organisation paraît être une haine traditionnelle, éternelle, de la Chrétienté, et une ambition titanique de domination sur le monde.

3) — Le but poursuivi à travers les siècles est la destruction des Etats nationaux et la substitution à ces Etats d'une domination juive internationale.

Les complicités.

L'*Ordre public* du 9-5 rapportait un entretien de M. Delavenne, vice-président du conseil municipal, avec le préfet de la Seine Autran et le préfet de police Raux. M. Delavenne reprochait au préfet de la Seine d'avoir mis un édifice communal, le gymnase Japy, à la disposition des cheminots *pour y préparer la grève*; il reprochait au préfet de police de tolérer l'*affichage gratuit* de toutes les excitations révolutionnaires et bolchevistes, tandis que des timbres coûteux sont imposés aux exhortations patriotiques et saines.

La complicité de l'Administration dans la fomentation de désordre apparaît ici clairement.

La complicité du Conseil municipal et du Conseil général ressort de ces *Indemnités de chômage* que nous avons relevées dans les budgets. Les indemnités de chômage, qui sont en principe une provocation à la fainéantise, sont octroyées aux grévistes, et deviennent ainsi une provocation à la grève.

Que risquent les grévistes? Pas même la perte de leur salaire; la Ville et le Département *subventionnent leur désertion*.

La grève nous ruine, nous affame, par le renchérissement de la vie; et c'est nous qui fournissons, par l'impôt, les *subventions et primes à la grève*!

Le peuple français est en état de complète insanité; à plat ventre sous la savate des Hébreux, quand il choisit des chefs et des administrateurs, il les choisit parmi les agents et les complices de ses ennemis mortels. Il est justement châtié. Malheureusement, les derniers Français honnêtes, patriotes et sensés partagent la souffrance de la multitude imbécile.

Hypothèse d'une solution américaine.

Les ouvriers français ont résolu la ruine des industriels et commerçants français. Les patrons français n'ont qu'une ressource : vendre à des étrangers, surtout à des Anglais et à des Américains, leurs entreprises et leurs usines.

Quand les Américains, ayant profité de leur change usuraire, seront maîtres de la vie économique en

La Russie entière est infestée de comités ou *soviets* ; chaque ville ou village, chaque ligne ou gare de chemin de fer, chaque usine ou magasin, aux mains d'un soviét ; et ce soviét, composé d'illettrés, de brutes, de singes déchainés. L'industrie, étranglée par les exigences extravagantes des ouvriers, dont l'ignorance et la puérilité ne peuvent être imaginées.

Individuellement, le vrai Russe est bon, sensible, généreux. En masse, il atteint la limite de l'égoïsme et de l'intolérance. Le « socialisme » des nouveaux maîtres a été entendu comme l'appel aux appétits brutaux, à l'arbitraire, à la violence effrénée. Le peuple est en proie à la folie destructive ; il détruit les belles habitations par haine envieuse ; il détruit le matériel des chemins de fer ; il détruit les approvisionnements « pour que la ville ne subsiste pas aux dépens des paysans. »

Le correspondant du *Journal* en Russie, dans une dépêche datée du 18 mars, écrivait :

La racaille rapace et cruelle trouve tout naturel de dépouiller, à son profit, ceux qui possèdent. « Pille ce qui a été pillé » est la devise des troupes bolchevistes. Et je vous assure qu'elle est observée ! On vole et on tue avec émulation. Chaque moujik croit jouer un rôle dans l'Etat. S'il lui en prend fantaisie, l'ouvrier armé d'un fusil peut, à lui seul, vous arrêter, vous interroger, vous condamner et vous fusiller. Les équipes de gardes-rouges qui se sont constituées pour donner la chasse aux contre-révolutionnaires, fusillent sans jugement les personnes qu'elles suspectent...

Pour faire partie d'un des innombrables Soviets de quartiers qui se partagent les destinées de la capitale, nulle connaissance spéciale n'est, d'ailleurs, exigée. Le moujik le plus borné peut prétendre au poste le plus délicat. Mais s'ils manquent en général d'aptitude, les membres de ces assemblées excellent, par contre, dans l'art de toucher des pots-de-vin. Combien de bourgeois, de commerçants se sont vus contraints de verser des sommes énormes réclamées par ces potentats tout-puissants, pour pouvoir recouvrer leur tranquillité !...

rale, éclairée, policée, peuplée d'électeurs « organisés et conscients ». Il déchante. Il a vu de ses propres yeux la jacquerie, la folie furieuse, le chaos.

« Trait pour trait, dit-il, le régime bolchevik est pire que la vieille autocratie. Sa tyrannie et son iniquité dépassent tout. La forteresse Pierre-et-Paul renferme plus de prisonniers que jadis. Des hommes et des femmes qui avaient passé une grande partie de leur existence en exil ou en prison pour la cause de la liberté sont maintenant traqués comme réactionnaires par la bande maximaliste. La liberté d'écrire, la liberté de parole n'existent plus. Des lois nouvelles, d'une portée, d'une gravité telles que l'ancien tsar n'aurait osé les signer qu'après de longues et consciencieuses délibérations avec ses conseillers, sont griffonnées entre la poire et le fromage par un Trotzky!... »

Dans un train de l'Ukraine, où les wagons de première classe sont bondés de gens qui n'ont pas payé leur place, notre voyageur voit une paysanne grimper sur la banquette et clamer sa colère : « La liberté sans pain et sans souliers, qu'est-ce que c'est que ça ? Regardez-moi ce train ; sous le tsar, il marchait ; maintenant nous ne savons pas quand nous arriverons. Peut-être que nous n'arriverons jamais. La révolution, c'est des lois nouvelles tous les jours. On ne sait jamais quelle sera la loi du lendemain. Mais ce qu'on sait bien, c'est que le rouble ne vaut plus rien, et qu'il faut faire la queue des journées pour avoir du pain, ou du sucre, ou des godasses, ou n'importe quelles guenilles, pendant que les gosses piaillent à la maison. Qu'est-ce que les pauvres gens ont gagné ? »

Cette bonne femme était toute prête à brûler un château avec les camarades ; elle n'était tout de même pas enchantée du nouveau régime.

La Russie sous les Juifs socialistes

L'ILOTE IVRE

Victorieuses avec Broussilof ou vaincues par la trahison, les armées du tsar Nicolas retenaient sur le front oriental la moitié des forces austro-allemandes. Maintenant, toutes les forces de l'Allemagne et de ses alliés peuvent se porter sur le front occidental, parce qu'il n'y a plus du tout d'armée russe; la révolution l'a détruite. Les Juifs et les socialistes ont fait la révolution. Les Juifs et les socialistes ont livré la Russie sans défense à l'Allemagne.

Mais leurs complices de France, d'Angleterre, d'Italie, d'Amérique, pour apaiser le ressentiment des peuples de l'Entente, murmurent : « Attendez un peu ! L'empire allemand, tous les empires, toutes les monarchies, vont trouver leur perte dans le triomphe même des deux kaisers. Les maximalistes ne manqueront pas de conquérir leurs conquérants, de gagner à leurs opinions les soldats d'Allemagne et d'Autriche, qui rapporteront la révolution dans leurs fourgons. Les empires centraux s'écrouleront. Lénine et Trotzky seront à la fin les vrais vainqueurs. »

Dès badauds de chez nous, toujours prêts à croire les contes extravagants, admettent cette hypothèse et s'y attachent fiévreusement. Quelle sottise !

Un écrivain américain, revenant de Russie, envoie aux Etats-Unis des informations et des impressions qui montrent la vérité sous un autre aspect.

Ce citoyen des Etats-Unis est naturellement un ennemi du tsarisme, un fervent de la démocratie; comme ses compatriotes, il a cru que la chute de Nicolas II faisait de la Russie une république libé-

ancien officier autrichien, a été trouvé porteur de papiers qui prouvent la préparation d'un mouvement révolutionnaire. Les Juifs conspirateurs devaient s'emparer des chemins de fer; et ils avaient commencé de distribuer des proclamations bolchévistes (*A. Reuter*).

« Tharbouth ».

La société *Tharbouth*, pour le progrès et la diffusion de la langue hébraïque, fonctionne à Paris, 80, rue de Rivoli.

Discussions passionnantes, en hébreu entre le Dr. Sfousch, MM. Tnamar Ben-Avi (élève dans la famille d'Eliezer Ben-Yetuda), Sidersky, Schapiro, Grunberg, Cahn, Pinès et Mlle Waitz.

Le concierge de l'immeuble est Français, peut-être...

Juifs partout:

Dans l'affaire Vigo-Almeryda, qui revient sur l'eau le Juif Hayem.

Dans l'affaire Villain-Jaurès, à la barre, les Juifs Blum; Blumenthal, Weyll, Lévy-Brühl, mis en scène par le Juif Uhry, un des assassins de Clemenceau.

Les Juifs d'Angleterre.

Sir Alfred Mond, « First Commissioner of Works », vient d'envoyer à Israël Cohen, trésorier de la propagande juive, un chèque de 125.000 fr. à compte sur 625.000 fr. qu'il a promis en cinq versements.

Le Juif Mond est le beau-frère du Juif Gerald Rufus Isaacs, fils aîné de l'ex-Rufus Isaac, devenu l'Hebrew-Viscount Reading.

Nous attendons encore le Français qui donnera 125.000 fr. par an à la *Vieille-France*. Quand les Français aimeront et serviront la France comme les Juifs aiment et servent Israël...

Les Journaux anglais s'émancipent avec Israël.

L'autre jour, à Londres, l'électricité a soudain manqué. Les gazettes publient cette irrévérencieuse plaisanterie :

Le lendemain, Cohen rencontre Meyer, avec un visage long d'une aune, et lui demande quel malheur l'a frappé.

— Pendant le court-circuit, répond Meyer, j'étais au... (un Grand Magasin), mais au rayon des pianos. Pas moyen d'en mettre un dans ma poche.

viduellement a été ruinée par la guerre, et qu'elle est un anachronisme ». En même temps, ce Juif sioniste veut rétablir l'Etat Juif souverain en Palestine, et la presse Juive annonce que les intrusions étrangères n'y seront pas tolérées (v. *Vieille-France* n° 109).

Enfin, à Paris, toutes les tentatives criminelles de la Sociale et de l'anarchie sont inspirées, commandées, financées par les chefs de l'*Alliance Israélite*.

Après la guerre machinée par les Juifs, la Révolution machinée par les Juifs : et sur les ruines de la civilisation européenne, sur les cadavres de la race blanche, Israël triomphera.

Les Juifs imposés par l'Entente en Pologne.

Un Polonais nous écrit :

Vous reprochez durement au ministère Paderewski son langage et son attitude en ce qui concerne les Juifs.

Nous seriez moins sévère si vous saviez que le ministère Paderewski a la main forcée par l'Entente et par les Etats-Unis, qui menacent de nous refuser tout appui moral, tout appui militaire et même les aliments, si nous ne soumettons pas aux insolentes exigences de la Juiverie. Alors, que faire ?

Ainsi la Pologne n'aura entrevu sa délivrance et sa résurrection que pour retomber dans l'esclavage le plus infamant. Délivrée des Allemands, des Autrichiens, des Russes, dont la tyrannie du moins reposait sur la force, la Pologne est livrée à la horde mélando-sémitique.

Exactement le même sort que la France.

Nous avons donc raison de répéter, depuis 1914, que la catastrophe mondiale a été machinée par les Juifs, et que les Juifs en seront partout les bénéficiaires. Maîtres en Pologne comme en France, en Russie comme en Allemagne : quel triomphe !

Toute l'Asie doit tressaillir en voyant l'humiliation, l'abâtardissement de la race blanche. Quelles perspectives !

Complots juifs.

L'*Agence Reuter*, de source officielle polonaise, a révélé la découverte d'un complot juif à Cracovie. La synagogue et des maisons particulières étaient bondées d'armes et de munitions. Un des chefs de la Juiverie,

Israël



Les Juifs, meneurs du Bolchévisme universel.

La sauvagerie bolchéviste a forcé le cordon sanitaire que l'Entente croyait avoir établi autour de l'infortunée Russie. Les Bolchévistes sont arrivés d'un bond à Budapest, et ils se font de la Hongrie un bastion avancé au cœur de l'Europe.

Le *Temps* du 27 mars publiait ces déclarations du prince Windischgratz au *Journal de Genève* :

Quant au nouveau gouvernement (bolchéviste), composé uniquement d'Israélites, il est certain qu'il ne représente rien en dehors de Budapest et qu'il suffirait de 2.000 soldats français ou anglais résolus, pour rétablir l'ordre dans tout le pays. Mais si ce gouvernement reste au pouvoir, il en sera sans doute autrement dans six mois, par suite de l'intense propagande qui se prépare.

Les journaux les plus enjuivés ont dû reconnaître que tous les meneurs bolchévistes de Russie sont des **Juifs**; toutes les organisations de bourreaux et de pillards en Russie sont dirigées par des **Juifs**. Le principal commanditaire du Bolchévisme russe, avant qu'il se fût emparé des richesses de l'empire, était le milliardaire Schiff, de New-York.

Les journaux allemands que nous avons cités maintes fois énumèrent les chefs des organisations bolchévistes en Prusse, en Bavière, en Saxe : tous des **Juifs**.

En Angleterre, ce sont des **Juifs** d'importation récente qui prêchent la grève générale, le pillage des quartiers « bourgeois », la constitution de Conseils d'ouvriers et soldats.

Le **Juif** Israël Zangwill, un des Grands Prophètes de la Juiverie moderne, préside des réunions (v. *Times*, 10-2) où l'on célèbre Rosa Luxemburg, Liebknecht, le Sinn Fein, et où l'on proclame qu'il faut « profiter de l'agitation chez les mineurs pour paralyser toute la vie industrielle ». Le même Zangwill (v. *Morning Post* 20-3) déclare « que l'idée de souveraineté des Etats indi-

Liez, faites lie :

La Race à partir : la guerre, les de l'intérieur —
Les marches de frontières. — Le montage
et ses compléments. — Les forces morales et
les forces sociales de la Grande Guerre.
Le livre qui restera.

Verdun la France aux Français. — Le de l'effort et
appelé, ce qui doit être et ce qui doit être
la France qui construit une nation.

Le Socialisme, histoire, principes et documents de la
socialisme jusqu'à 1914. En 2 tomes.

Le Socialisme aux Socialistes du Katanga. — Les
pour préparer.

Le Socialisme et la Race européenne. — Les de la
race d'Europe. — Les de la race d'Europe.
Le Socialisme et la Race européenne. — Les de la
race d'Europe. — Les de la race d'Europe.

Pour être sage : — Les de la race d'Europe.
Le Socialisme et la Race européenne. — Les de la
race d'Europe. — Les de la race d'Europe.
Le Socialisme et la Race européenne. — Les de la
race d'Europe. — Les de la race d'Europe.

Le Socialisme et la Race européenne. — Les de la
race d'Europe. — Les de la race d'Europe.

Le Socialisme et la Race européenne. — Les de la
race d'Europe. — Les de la race d'Europe.

Le Socialisme et la Race européenne. — Les de la
race d'Europe. — Les de la race d'Europe.

Ces ouvrages se trouvent aux bureaux
de la *Vieille France*

A l'inter du 10, 100, 101, 102, 103, 104, 105, 106, 107, 108, 109, 110, 111, 112, 113, 114, 115, 116, 117, 118, 119, 120, 121, 122, 123, 124, 125, 126, 127, 128, 129, 130, 131, 132, 133, 134, 135, 136, 137, 138, 139, 140, 141, 142, 143, 144, 145, 146, 147, 148, 149, 150, 151, 152, 153, 154, 155, 156, 157, 158, 159, 160, 161, 162, 163, 164, 165, 166, 167, 168, 169, 170, 171, 172, 173, 174, 175, 176, 177, 178, 179, 180, 181, 182, 183, 184, 185, 186, 187, 188, 189, 190, 191, 192, 193, 194, 195, 196, 197, 198, 199, 200, 201, 202, 203, 204, 205, 206, 207, 208, 209, 210, 211, 212, 213, 214, 215, 216, 217, 218, 219, 220, 221, 222, 223, 224, 225, 226, 227, 228, 229, 230, 231, 232, 233, 234, 235, 236, 237, 238, 239, 240, 241, 242, 243, 244, 245, 246, 247, 248, 249, 250, 251, 252, 253, 254, 255, 256, 257, 258, 259, 260, 261, 262, 263, 264, 265, 266, 267, 268, 269, 270, 271, 272, 273, 274, 275, 276, 277, 278, 279, 280, 281, 282, 283, 284, 285, 286, 287, 288, 289, 290, 291, 292, 293, 294, 295, 296, 297, 298, 299, 300, 301, 302, 303, 304, 305, 306, 307, 308, 309, 310, 311, 312, 313, 314, 315, 316, 317, 318, 319, 320, 321, 322, 323, 324, 325, 326, 327, 328, 329, 330, 331, 332, 333, 334, 335, 336, 337, 338, 339, 340, 341, 342, 343, 344, 345, 346, 347, 348, 349, 350, 351, 352, 353, 354, 355, 356, 357, 358, 359, 360, 361, 362, 363, 364, 365, 366, 367, 368, 369, 370, 371, 372, 373, 374, 375, 376, 377, 378, 379, 380, 381, 382, 383, 384, 385, 386, 387, 388, 389, 390, 391, 392, 393, 394, 395, 396, 397, 398, 399, 400, 401, 402, 403, 404, 405, 406, 407, 408, 409, 410, 411, 412, 413, 414, 415, 416, 417, 418, 419, 420, 421, 422, 423, 424, 425, 426, 427, 428, 429, 430, 431, 432, 433, 434, 435, 436, 437, 438, 439, 440, 441, 442, 443, 444, 445, 446, 447, 448, 449, 450, 451, 452, 453, 454, 455, 456, 457, 458, 459, 460, 461, 462, 463, 464, 465, 466, 467, 468, 469, 470, 471, 472, 473, 474, 475, 476, 477, 478, 479, 480, 481, 482, 483, 484, 485, 486, 487, 488, 489, 490, 491, 492, 493, 494, 495, 496, 497, 498, 499, 500, 501, 502, 503, 504, 505, 506, 507, 508, 509, 510, 511, 512, 513, 514, 515, 516, 517, 518, 519, 520, 521, 522, 523, 524, 525, 526, 527, 528, 529, 530, 531, 532, 533, 534, 535, 536, 537, 538, 539, 540, 541, 542, 543, 544, 545, 546, 547, 548, 549, 550, 551, 552, 553, 554, 555, 556, 557, 558, 559, 560, 561, 562, 563, 564, 565, 566, 567, 568, 569, 570, 571, 572, 573, 574, 575, 576, 577, 578, 579, 580, 581, 582, 583, 584, 585, 586, 587, 588, 589, 590, 591, 592, 593, 594, 595, 596, 597, 598, 599, 600, 601, 602, 603, 604, 605, 606, 607, 608, 609, 610, 611, 612, 613, 614, 615, 616, 617, 618, 619, 620, 621, 622, 623, 624, 625, 626, 627, 628, 629, 630, 631, 632, 633, 634, 635, 636, 637, 638, 639, 640, 641, 642, 643, 644, 645, 646, 647, 648, 649, 650, 651, 652, 653, 654, 655, 656, 657, 658, 659, 660, 661, 662, 663, 664, 665, 666, 667, 668, 669, 670, 671, 672, 673, 674, 675, 676, 677, 678, 679, 680, 681, 682, 683, 684, 685, 686, 687, 688, 689, 690, 691, 692, 693, 694, 695, 696, 697, 698, 699, 700, 701, 702, 703, 704, 705, 706, 707, 708, 709, 710, 711, 712, 713, 714, 715, 716, 717, 718, 719, 720, 721, 722, 723, 724, 725, 726, 727, 728, 729, 730, 731, 732, 733, 734, 735, 736, 737, 738, 739, 740, 741, 742, 743, 744, 745, 746, 747, 748, 749, 750, 751, 752, 753, 754, 755, 756, 757, 758, 759, 760, 761, 762, 763, 764, 765, 766, 767, 768, 769, 770, 771, 772, 773, 774, 775, 776, 777, 778, 779, 780, 781, 782, 783, 784, 785, 786, 787, 788, 789, 790, 791, 792, 793, 794, 795, 796, 797, 798, 799, 800, 801, 802, 803, 804, 805, 806, 807, 808, 809, 810, 811, 812, 813, 814, 815, 816, 817, 818, 819, 820, 821, 822, 823, 824, 825, 826, 827, 828, 829, 830, 831, 832, 833, 834, 835, 836, 837, 838, 839, 840, 841, 842, 843, 844, 845, 846, 847, 848, 849, 850, 851, 852, 853, 854, 855, 856, 857, 858, 859, 860, 861, 862, 863, 864, 865, 866, 867, 868, 869, 870, 871, 872, 873, 874, 875, 876, 877, 878, 879, 880, 881, 882, 883, 884, 885, 886, 887, 888, 889, 890, 891, 892, 893, 894, 895, 896, 897, 898, 899, 900, 901, 902, 903, 904, 905, 906, 907, 908, 909, 910, 911, 912, 913, 914, 915, 916, 917, 918, 919, 920, 921, 922, 923, 924, 925, 926, 927, 928, 929, 930, 931, 932, 933, 934, 935, 936, 937, 938, 939, 940, 941, 942, 943, 944, 945, 946, 947, 948, 949, 950, 951, 952, 953, 954, 955, 956, 957, 958, 959, 960, 961, 962, 963, 964, 965, 966, 967, 968, 969, 970, 971, 972, 973, 974, 975, 976, 977, 978, 979, 980, 981, 982, 983, 984, 985, 986, 987, 988, 989, 990, 991, 992, 993, 994, 995, 996, 997, 998, 999, 1000.

de jours, aux Etats-Unis, sous prétexte d'écoles en Palestine, un fonds de guerre d'un milliard de dollars.

C'est de l'argent volé aux goym qui va servir à leur perte.

NOTES BREVES

La Corruption des Parlementaires.

Au 2^e Conseil de guerre, 4 février, acquittement de Marcel Petit, avocat mobilisé au grade du 3^e conseil de guerre, sous le capitaine Bouchardon.

L'accusé avait essayé d'extorquer 7.000 francs d'un dentiste condamné pour vol, en lui promettant sa grâce. Il a soutenu, pour sa défense, que les 7.000 fr. étaient destinés à la rétribution d'un *Parlementaire*, courtier en grâces présidentielles. Puisque le 2^e Conseil de guerre a prononcé l'acquittement, c'est que l'excuse était fondée.

C'est une autre « affaire Wilson ». Seulement, aujourd'hui, on l'étouffe.

Qui est le *Parlementaire* en cause ?

Bien qu'au *Journal*, deux douzaines de *Parlementaires* touchent des pots-de-vin de 30.000 fr. et au-dessus pour faire supprimer les innombrables procès de la maison et pour soustraire Henri Letellier au poteau de Vincennes. *Le Parlement est plus pourri qu'il ne l'a jamais été.*

Dans un procès en cours devant la 1^{re} chambre on vient de produire une correspondance qui établit l'intime complicité de Pierre Lenoir et de Letellier. Les *Parlementaires* du *Journal* réclament un supplément de sportule... Attendons l'Affaire Caillaux.

Réduire les Quinze Mille!

Les Quinze-Mille, de qui nous entretenons pourtant les bayadères dans les Harems subventionnés, réclament une augmentation de gages.

dit Lénine (demi-Juif), Braunstein (Trotsky), Nacham-
kes (Stockloff), Zadorbaum (Martoff), Apfelbaum (Zi-
novieff), Rosenfeld (Kameneff), Gimsel (Soucharov),
Krochmann (Sagerski), Silberstein (Bogdanoff), Lurpe
(Lévin), Goldmann (Gorev), Radomistsky (Uritsky),
Katz (Kamnev), Furtenberg (Gantaky), Goursmitch
(Dan), Goldberg (Meschkovsky), Goldfand (Parvix),
Goldensbach (Rissanov), Zibar (Martinoïff), Chernomor-
dine (Chernomorsky), Bleichmann (Solntzeff), Zivin
(Piainisky), Rein (Abromovitch), Voïnsen (Zuesdin),
Natansohn (Nietzky), Eriodox (Axelrod), Gersfeld
(Gersfeld), et d'autres, tous de faux noms russes.

En même temps, aux Etats-Unis, le Juif Paul
Warburg laissait voir des relations si étroites avec les
personnalités bolchévistes qu'il ne fut pas reçu au
Federal Reserve Board.

Jakob Schiff a pour intime ami et pour agent très
puissant le rabbin Judas Magne, protagoniste du Judaïsme
International, qui a lancé aux Etats-Unis la première
organisation ouvertement bolchéviste, dite *Comité du
Peuple*. Le 24 octobre 1918, Judas Magne a fait la dé-
claration publique de son adhésion sans réserve au
Bolchevisme, dans une réunion du Comité Juif d'Amé-
rique à New-York. Commandité par Jakob Schiff,
administrant avec lui la *Kebillah* juive, le rabbin Judas
Magne est le directeur effectif de l'organisation sioniste
Poale, et du « Parti travailliste juif ».

La firme juive Kuhn, Loeb et Co est étroitement liée
au Syndicat Westphalien-Rhénan, aux Juifs Lazard de
Paris, à la firme juive Gunsbourg (Pétrograd-Paris-
Tokio), à la firme juive Speyer et Co (Londres-New-
York-Francfort) et à la firme juive Nye Banken (Stoc-
kholm): d'où il apparaît que le Bolchevisme est l'ex-
pression d'un mouvement général juif, où sont inté-
ressées les grandes banques juives.

La reconnaissance formelle d'un Etat Juif en Pales-
tine, la constitution de Républiques juives en Allemagne
et en Autriche ne sont que les premiers pas vers la
domination du monde. La Juiverie internationale s'a-
gite fiévreusement. Elle a réuni dernièrement, en peu

Ah ! la belle patrie

que nous avons !

Au Parlement français,

la Provence est représentée par Schrameck

la Guyenne, par Jacobus Rothschil-Mandel

le Béarn, par Amosel Mager Rothschil

l'Artois, par Abratani

la Picardie, par Klotz

l'Alsace, par Lazare Weiller

la Champagne, par Israël

l'Île de France, par Uhry et Sokanowsky

Paris, par Blum, Strauss et Lévy

Ah ! la belle victoire

que nous fêtons !

Si les Allemands nous avaient vaincus, ils nous auraient imposé *presque* autant de fonctionnaires étrangers que nous en avons, mais ils n'auraient pas osé introduire dans notre Parlement les intrus que nous y mettons.

C'est la France elle-même qui se rend.

0.40 cent.

Quatrième Année

DEPOT LÉgal N° 160

12 - 15 Février 1922

LA VIEILLE-FRANCE



SI MANGIN AVAIT VOULU !...

Le ghetto des Affaires étrangères.

LA CRISE SOCIALE AUX ÉTATS-UNIS.

Le Bolchevisme juif. - Les Parlementaires vendus.

Le premier numéro de la *Libre Parole*.

5, rue du Pré-aux-Clercs
PARIS (VII^e)

Urbain GOHIER

محتويات الكتاب

٧	الى القاريء
١٤	ماركس اليهودي .. والمساءلة اليهودية
٢٠	الشيوعية ... والمساءلة اليهودية
٢٦	الحلقات الماركسية الاولى والتنظيم الشيوعي
٣٨	الشيوعية اليهودية في بلدان اوروبا الشرقية
٤٢	عن الصهيونية وسياسة العزل
٤٣	١٩٠٤-١٨٦٠	...	يتودور هرتزل -
٤٨	النشاط الصهيوني في انكلترا واعد بلفور
٥٣	هدفان للصهيونية : بناء علاقاتها وتخريب العلاقات العربية
٥٤	مقتل اللورد موين
٥٦	قضية لافون
٥٩	قضية كوهين
٦١	زيارة الملك فيصل الى امريكا
٦٨	الشيوعية - الصهيونية : صلات وروابط !!
٧١	فضائح الجاسوسية في امريكا
							التأييد السوفياتي للصهيونية ١٩٤٧ - ٤٨ -
٧٨	٤٩ في الامم المتحدة .. وقيام اسرائيل !!
٨٠	الاتحاد السوفياتي والوكالة اليهودية
٨١	اللجنة الخاصة وتحديد الاهداف
٨٢	اقتراح التقسيم الاول
٨٥	قرار التقسيم المشترك
٨٦	التراجع الاميركي والتصميم السوفياتي

- ٨٧ روسيا تدافع عن التقسيم
- ٨٩ اعتراف قانوني كامل
- ٩٠ السلاح والمتطوعون
- ٩١ الاتحاد السوفياتي يدعو الى توطين اللاجئين
- ٩٤ الاتحاد السوفياتي يؤيد احتلال النقب
- ٩٥ فارس الخوري يتهم الاتحاد السوفياتي
- ٩٧ على هامش الموقف الشيوعي
- ١١٧ مستمسكات : وثائق ونصوص من أرشيف الاسم المتحدة
- ١١٧ قضية فلسطين قضية اليهود
- ١١٩ نائب سوفياني للعرب
- ١١٩ الاتحاد السوفياتي يقترح تقسيم فلسطين وإقامة اسرائيل
- ١٢٠ من حق اليهود ان يفرضوا سيادتهم على فلسطين
- ١٢١ « الامة اليهودية » وحقوقها الازلية بفلسطين
- ١٢٢ الفزة العرب
- ١٢٢ لوم سوفياني لامريكا بسبب تراجعها عن تأييد التقسيم
- ١٢٤ لوم آخر لامريكا واتهام مبكر للبرتول
- عدوان عربي يهدد الامن - وحركة تحرير وطني يؤيدها
- السوفييات ! - والتمذوبون العرب رجعيون لا يمثلون
- ١٢٥ شعوبهم
- الغزو العسكري العربي لفلسطين - السوفييات يؤيدون
- الهجرة اليهودية المستمرة - والعدوان على اسرائيل
- ١٢٧ مؤامرة حاكمتها الرجعية العربية
- السوفييات يقترحون ايفاد مراقبين عسكريين منهم
- ١٣٠ لحماية اسرائيل!
- اصوات الاتحاد السوفياتي والكتلة الشيوعية هي
- ١٣١ التي حسمت قرار التقسيم
- الاتحاد السوفياتي يرفض الهدنة ويؤيد الصلح والتعايش
- السلمي وبكسي للاجئين اليهود ويطالب بتوطين
- ١٣٢ اللاجئين العرب
- ١٣٣ هدنة فسلم فصلح فتعايش وحديث عن تصارع القوى
- ١٣٥ اسرائيل وجدت تبقى - هكذا قال المندوب السوفياتي
- محمود فوزي يدين السياسة السوفياتية ويكشف
- ١٣٥ انحيازها لاسرائيل

الموقف السوفياتي .. من اقيام اسرائيل حتى اليوم !! ...	١٣٨
حرية التصرف ٠.٠٠	١٣٨
وفاة ستالين وصفقة الاسلحة ...	١٣٩
موسكو: اسرائيل ايضا تستطيع ان تشتري منا السلاح !!	١٤٢
موقف الاتحاد السوفياتي من عدوان ١٩٥٦ ...	١٤٥
عدوان ١٩٦٧ والنصيحة الفالية !! ...	١٤٩
خلفية العلاقات .. والعداء المصطنع ...	١٥٤
من تاريخ الاحزاب الشيوعية العربية ...	١٥٨
عن مؤسسيها اليهود وموقفها من قضية فلسطين ...	١٥٨
تiber اليهودي سكرتير عام الحزب ...	١٥٩
المال اليهودي للحزب ...	١٦٠
بوادر الخيانة ...	١٦٣
سكوت عن الهجرة ...	١٦٦
الموقف من الداخل ...	١٧١
وثيقة ...	١٧٢
اليهود اسسوا الاحزاب الشيوعية الاخرى ...	١٧٤
مهاجمة الصهيونية والسكوت عن اسرائيل ...	١٧٧
بكداش سكرتير عام الاحزاب الشيوعية العربية ...	
واسرائيل ايضا ...	١٨١
لفساد هلسنكي ...	١٨٣
الرجعية العربية ...	١٨٧
الشيوعيون يمتدحون الملكة العربية السعودية ...	١٩٠
لم يشتمونها ...	١٩١
المعدون ؟ ...	١٩٤
الاستعمار ؟ ...	١٩٦
المساواة ؟ ...	١٩٧
بين حلين : الحل العربي لقضية فلسطين والحل السوفياتي ...	١٩٩
لوحة لبعض القيادات اليهودية العليا في الحركة الشيوعية ٧٠٠٠	٢٠٧
بعض مراجع الكتاب ...	٢١٥
الوثائق المصورة بالزئكوغراف ...	٢١٩